

مكتب الترجمة الاسبانية العربية

فرنسيسكو دي كيبيدو

سيرة الشاطر

تعريب

1950
مطبعة المخزن
تطوان

سيرة الشطار

في

الادب الاسباني

تحتل قصص الشطار في أدب العصر الذهبي الاسباني مكانا رفيعا وهي تؤلف وحدها [illegible] أبدع فيه كتاب ذلك العصر أيما ابداع حتى [illegible] يكونون [illegible] مؤلفاتهم [illegible] [illegible] رائعة مثل [illegible] مرات خاصة اعارها مؤرخو أدب الاسباني من اسبانيين وأجانب [illegible] وخصوها بأبحاث ودراسات مستفيضة وكان [illegible] انه فكر وضع بحث واسع حول هذه الظاهرة من الأدب الاسباني [illegible] من [illegible]

ان نقدم لهذا الكتاب الذي ننشره الآن معرفاً بكاتبه وان موجزة عن قصص الشطار ابدرك القارئ مكانة الكتاب ادبيا وتاريخيا

وأول واجب علينا هو تحديد معنى كلمة الشاطر Picaro ان الشاطر لشخص يعيش على هامش مجتمع ويكره العمل والنظام ويعشق الكسل والغوص في الملذات لا يحترف حرفة ولا يمتهن مهنة وانما يمد يده الى اللقمة حيث يجدها دافعا بها بيد رمقه دون اجهاد نفسه بعمل مثمر مضحك من مشاكل المجتمع الذي يحيط به وأهدافه ومطامعه فهو يحتقرها لا يمت اليه بصلة فيسمها انانيين في كفاح مستميت للحصول على الرفعة والمجد ويسميها المجتمع يسعى بارادة حديدية وعزم اكيد ويتمثل اعلى اداة بالشاطر - على حد تعبير المؤرخ الاستاذ دبات بلاجيا - ممدد تحت دور الشمس يسأل نفسه عما اذا كانت هذه الصفعة تحقق ان خاطر المرء من اجلها هذه المخاطرة

وأول قصة من هذا النوع هي قصة «لاثاريو

دي طورمس واقدم طبعة لها معروفة ترجع الى سنة 1554. وهي حكاية صبي فقير اتخذه احد العميان دليلا (وكلمة لازاريو معناها دليل الاعمى) وكان يسيء معاملته حتى انتهى به الامر الى تركه والانصراف الى خدمة كاهن وبعد ذلك الى خدمة نبيل معدم وما زال ينتقل من خدمة سيد الى سيد آخر حتى نال في آخر الامر وظيفة دلال في اسواق طليطلة وفيها تزوج بخادمة احد الكهنة وهنا تنتهي القصة

وتمتاز قصة لازاريو دي طورمس بسهولة اسلوبها ودقة تصويراتها وسيطرة روح المرح عليها رغم بعض المشاهد المؤلمة لكنها بعيدة كل البعد عن ذلك العمق التحليلي الذي نشاهد في القصص التي جاءت بعدها حين بلغ هذا الفن درجة نضوجه التامة وهي بالاحمال تدل على ان فن قصص الشطار لم يزل في فجره لكنه فجر يبشر بنهار جلي

وفي سنة 1620 ظهرت في باريس نسخة القصة

تحت عنوان. «القسم الثاني من قصة لاثاريو دي طورميس» لترجمان اللغة الاسبانية هـ دي لونا H de Luna لكن المؤلف خرج فيه عن اسلوب القسم الاول وحشاه بالمشاهد الخلاعية التي تخدش الحس لمطالعيها أما من الناحية الفنية فيفوق القسم الأول

والآن لا بد لنا ان نقف للتساؤل عن أصل هذا الفن الادبي وعلاقته الحقيقية بالمجتمع الاسباني المعاصر لنموه وهي والحق يقال من المسائل التي اعارها الباحثة عظيم العناية وتضاربت حولها آراء مؤرخي الادب ولقد اراد بعض النقاد ومعظمهم من الاجانب وممن يعرفون القليل من اسبانيا وهي في شأن مجدها ان يروا في قصص الشطار تصويرا للمجتمع الاسباني في ذلك العصر ليستنتجوا من هذا التصوير ان مستوى المعيشة في اسبانيا كان منحطا وان الفقر كان يخيم على طبقاتها الشعبية وان عدد المتسولين الطفيليين كان وافرا لكن الابحاث الصادقة قد دلت على خلاف ذلك وقدمت البراهين

الدامغة على ان مستوى المعيشة الشعبية في ذلك
العهد لم يكن منحطا كما قد يستنتج من بعض مشاهد
قصص الشطار. وانما تصور هذه في حقيقة الامر
سلسلة حوادث فردية شخصية من حياة مؤلفيها
اصبحت غايتها حلة وفكاهة تولع في نسجها

بقي علينا أن نتساءل هل استمدت قصص
الشطار أصلها من آثار أدبية سابقة ؟ ان مؤرخي
الادب يجمعون على القول انها وليدة القرن
السادس عشر لكنه اصبح من المحقق المعلوم أن
الاجيال المرتجلة، مستحيلة في عالم الادب مثله
في عالم الاحياء ولذلك نراهم بالرغم عن اجماعهم
على القول المذكور يردون بعض أصولها الى
قصص الفروسية والى بضعة كتب أخرى اسبانية
وأجنبية ظهرت بين أوائل القرن الرابع عشر
ومنتصف السادس عشر من أهمها : كتاب الحب
الحسن للارسبريستي دي هيتا Arcipreste de Hita
و كورباتشو أو نحب الحب الدنيوي، للارسبريستي
دي طلبيرة Arcipreste de Talavera وكتاب سيل

Spill للمؤلف الفالنسي خاومي روبج Jaume Roig والرواية الشهيرة المعروفة باسم لا ثالستينا ففي كل هذه المؤلفات مشاهد ولقطات تصويرية ومرح وفكاهة يمكن اعتبارها من جملة الأصول التي استوحى منها مؤلفو قصص الشطار

ويرى المستعرب الاسباني المرحوم صونت انخيل غونثالث بالنثيا في مقامات الحريري مصدرا محتملا من جملة مصادر قصص الشطار وجعل ابي زيد السروجي في نظره هي نفس الحيل التي يلجأ اليها أبطال تلك القصص للحصول على اسباب العيش وكلامه عن فن الكدية في المقامة الساسانية مثلا لجدير بأي كان من هؤلاء الشطار. ويقول غونثالث بالنثيا انه وان كان الالمام بالعربية في اسبانيا حين ظهرت قصص الشطار كان قد ضعف أو كاد يتلاشى بحيث لا يمكن الاعتقاد بالاطلاع على مقامات الحريري في أصلها العربي ليس من المستبعد أن تكون حوادث أبي زيد السروجي قد أصبحت متداولة بين العامة

من حمله القصص السعيه بعد أن بلغت بلك المقامات الاندلس وتداولها أيدي أدبائها وشرحها السرسيسي أوفى شرح

هذا واننا في واقع الامر ان بحثنا في الادب العربي وجدنا كثيرا من قصص الشطار المبعثره في المجموعات الادبيه وفي كتاب البخلاء للجاحظ يشار الى الشطار عده مرات ففي مطلع الكتاب يقول انه وضع رساله عن : لصوص النهار وما لصوص النهار في الواقع سوى الشطار بالمعنى المقصود هنا والذي نراه في القصص الاسبانيه وفي مكان آخر يسرد لنا الجاحظ عده أسماء فارسيه الاصل اطلقت من الناس انسوا في الجمعيه سوى من يشير اليهم تحت اسم الشطار، اذ يقول في حديث خالد بن يزيد حين سأله بنو تميم وكان قد نزل في بني منهم واذاك يعرف المكديين فأجاب : وكيف لا اعرفهم وانا كنت كاخان في حداثه سنى ثم لم يبق في الارض مخطرانـي ولا مستعرض الافعه ولا بنجاد ولا كاغاني ولا بانوان

ولا قرسي ولا عوا ولا مسعب ولا مزيدي ولا اسطل الا وقد كان تحت يدي، وبعد ان يفرغ الجاحظ من سرد القصة يسرع بتفسير معاني تلك الكلمات فيقول

الحطراني: الذي تأتيك في زي ناسك ويريك ان بنانك قد قور انسانه من اصابة لانه كان مؤديا فهاج به نفخ فاذ كما يصنع من نشاب ولا يرى انه اسادا اليه وانساه في الحرفة كانسان النور وان احد من حدع بذلك ولا بد للمحطراني ان يكون معه واحد يعبر عنه او لوح او قرطاس قد كتب فيه شانه وقصته والكاغاني الذي يتجنن ويزيد حتى لا يشك انه مجنون لا دواء له اسده ما يزيل بنفسه وحتى يعجب من بقاء مثله على مثل علته والبانوان الذي يقف على الباب ويسل الغلق ويقول بانوا وتفسير ذلك بالعربية يا مولاي والقرسي الذي يعصب ساقه وذراعه عصبا شديدا ويبيت على ذلك ليلة فاذا تورم واحتقن الدم مسحه بشيء من صابون ودم الاخوين وقطر عليه شيئا

من سمن واطمق علمه حرفه وكشف بعضه فلا
يشك من رآه ان به الاكله او دابه شبه الاكلة
والمسعب الذي بجمال للصبي حين بلد دان بعمه
او يجعله اعسم او اعضد ليسأل الناس به اهانه
وربما جاءت به امه وأبوه ابوطي دلك منه بالعزم
المعمل لانه يصير حينئذ عقده وعلة واما ان يكسبا
به واما ان يكرداه بكرا معلوم وربما اكروا
اولادهم ممن يمضى الى افريقيه فيسأل بهم الطريق
اجمع بالمال العظيم فان كان دقه ملبنا والا أقام
بالاولاد والاجره كمملا والكاعان العلام المكدي
اذا واحر وكان عامه مسحه جمال والعواء الذي
يسأل بين المغرب والعشاء وربما طرب ان كان
له صوت حسن وحلق شجي والاسطيل هو المعامي
ان شاء اراك انه منخسف العينين وان شاء اراك
بهما ماء وان شاء اراك انه لا يبصر للخسف وارتج
السمل والمرندي الذي يدور ومعه الدريهمات ويقول
هذه دراهم قد جمعت لي في ثمن قطيفه فزيدوني
فيها رحمكم الله وربما احمل صبيا على انه لقيط

وربما طاف في الكفن والمستعرض الذي عارضك وهو ذو هيئة وفي ثياب صالحة وكأنه قد هاب من الحياء ويخاف أن تراه معرفة ثم يعترضك اعتراضا ويكلمك خفيا والمتعبس الذي يقف على الميت يسأل في كفنه ويقف في طرق مكة على الحمار الميت والبعير الميت يدعي أنه كان له ويزعم أنه قد أحصر وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والافريقية ويعرف تلك المدن والسكك والرجال وهو متى شاء كان من أي مخاليف اليمن شاء والمكدي صاحب الكداء »

وإنما أردنا هنا مجرد الاشارة فحسب دون أن نجرؤ على تأكيد وجود علاقة بين مؤلفات الجاحظ هذه وغيرها من القصص وهذا النوع من الأدب الاسباني ونحن نرجو أن يوفق الله أن نعود إلى بحث هذا الموضوع في المستقبل

* * *

مرت خمسة عقود وقصة « لاثاريو دي طورمس » وحيدة من نوعها إلى أن ظهر سنة ١٥٩٩ القسم الأول من قصة « غرمان دي الفرانسي

التى سماها مؤلفها ماتيو أليمان مرصد الحياة البشرية ، ويقع هذه القصة فى مجلد ضخم وهى تعتبر أنضج ثمرة لهذا النوع الادبى واكملها فيما لكن الكآبة تغلب فيها المرح والمرارة تفوق الفكاهة والتشاؤم يسيطر على التحليل النفسانى والاجتماعى

وفى سنة 1605 ظهرت قصة الشاطرة جوستينا منسوبة لفرنسيسكو لوبث دى اوبيدا وفى سنة 1613 أصدر سرفانطيس مجموعة القصص المثلى وقد تضمنت بضع قصص يمكن ردها الى هذا النوع وهى السابحة النبيلة ، و رنكونيتي وكورتاديو ، و الزواج الخادع ، و ومناجاة الكلاب وهذه اهمها

ومثل ذلك بسنة أى سنة 1612 ظهرت قصة اسمها لاتلستينا ومؤلفها الونصو جيرونيمو دى صالاص باربادو وفى سنة 1618 ظهرت قصة حياة ماركوس دي أوبريغون ، وهى تصور

كسيرا من الحوادث التي وقعت لمؤلفها سيبطى اسبيمل وسمار بدفه التصوير وعمق الملاحظه

وفي سنه 1624 ظهرت قصه حياه الشاطر ، لفرنسيسكو دي كيبدو التي نسير هنا تعريبها وهي الى جانب الاحلام ، نعبير من اكمل مؤلفات ذلك الكاتب الشهير الذي يوضع في المقام الاول من كتاب العصر الذهبي

والقصه صغيرة بحجمها كما يرى القارئ وبالرغم عن صدورها مطبوعه سنة 1624 يرد المؤرخون تاريخ وضعها الى ما بين سنة 1601 و 1614 أي حين كان كيبدو في سرح شبابه وفي حياه الشاطر مطعه ومبهجالده يمثل هذا النوع الذي في أرقى وأكمل درجاته لانها تجمع الى روح المرح والفكاهه براعه في التصوير تؤدي بالمؤلف الى حد المبالغه في الوصف لاخراج الصوره الفكاهيه على شكل يحمل الى نفس القارئ أوفر قدر من المتعه والمرح يسيطر على القصة باكملها بحيث لا نرى فيها أثر للمراره والالم اللذين حملان

المقام الاول في قرمان بي العرنسي أصف الى
هدا كله مادة في المركب يكاد يبلغ في كثير
من الاحيان درجه التعقيد وكثيرا ما تعمد الى
التوريه والتلاعب بالكلام بشكل جعل مهمه المعرب
شاقه عسيره

وقبل ظهور القسم الثاني من قصه "لاسارو
دي طورمس" بسنه أي في سنه 1619 ظهرت في
باريس أيضا قصه الدكتور كارلوس غرسيا عنوانها
باستهاء مضى العمر وهي وصف لحيل ومغامرات
أحد اللصوص يرويها للمؤلف وهو في السجن
ويسيطر عليها روح التهكم ممزوجة بالمراره والالم

وممن برعوا في هذا الفن الادبي صوبت
الونسو دي كاستلو سولورتانو الذي نشر سنه
1632 قصه طريفه تحت عنوان فتاه الاكاذيب
ترزا دي مانساريس وفي سنه1637 قصه المادون
برادانا

وظهرت بعد ذلك خلال القرن السابع عشر
عده قصص اخرى نذكر منها خاصه بالسبطان الاعرج،

المكاتب الساعر لوىس ىىلىت دى عمارا و ٮحياه
صوں عرىعوردو عوادانىا لاىطوىىو ادرىكىب عومىب
و حياه ومآثر اسىاىىو عوىصالىص الىي ظهرت
في مدىىه اعدرىس الىاحىكىه سىه 1646

وىعد ٮحياه الدكىور صوں ددىعو ثى طرىس
ىباروىس ، الذي ىدأ ظهورها سىه 1743 حاىمه المؤلفات
المىسىه الى هذا الىوع في اسىاىىا

والحياه ىمكں القول ان قصص السطا مں
اىرز الآثار الادىىه الاسىاىىه واعىاها واكملها فىما
وقد ىعدت سهرىها حدود اسىاىىا فىقل معظمها الى
كثير مں اللغات الاحىىىه واسىرعت مىد زمں
ىعىد اهىمام المحاىه والمؤرحين

كيبيدو
1645 - 1580

يعد فرنسسكو دي كيبيدو من أعظم كتاب العصر الذهبي الاسباني ولد سنه 1580 وتلقى المبادئ الاولى في مدريد وفي سنه 1592 دخل مدرسه الاباء اليسوعيين حيث بقى اربع سنوات ثم انتقل الى جامعه قلعه هنارس حيث بقى حتى سنه 1601 اذ انتقل الى بلد الوالد وهناك بدأت مؤلفاته تنتشر بين جميع الاوساط الادبيه والسعيده رغما عن انحرافه في سلك طلاب جامعه تلك المدينه

وفي سنه 1606 عاد الى مدريد وفيها أقام حتى استقدمه الى صقليه سنة 1613 نائب الملك فيها الدوكي دي اوصونا الذى الحقه بخدمته كمستشار خاص وأدى له خدمات جليله وقام بمهمات سياسيه خطيره دلت على مقدرته ثم عاد الى مدريد سنة

1619 ووقعت بعد عودته قطيعة بينه وبين الدوقي
وانقطع عن خدمته

وبعد مدة قربه اليه الوزير الكونتي اوليفاريس
لكنه لم يلبث ان نقم عليه واغضب عليه ايضا
الملك فأمر بزجه في السجن حيث بقي ما يزيدو
على ثلاثة اعوام ولم يخرج منه الا بعد عزل
الكونتي اوليفاريس لكن صحته باتت كسيرا
بسبب ما عاناه من متاعب وتوفي يوم 8 سبتمبر
(ايلول) سنة 1645

هذا واننا قد وضعنا تحت عنوان «كيفيدو
أمير الظرافة» كتابا خاصا نرسم فيه حياته ومؤلفاته
بكل تفصيل

سيرة الشاطر ضون دابلوس

إلى القارئ

كم أراك راغبا أيها القارئ أو المستمع —
إذ أن العميان لا يفرقون — في التعرف إلى
طرافة ضوء الفانوس أمير حماة الشطارة
فاتك واحد هنا في جميع أنواع الشطارة
— وهي في ظني ما يفعله الأكثرون — خدائع
وحيلا وبدعا وطرفا كلها ناشئة عن الفراغ
المعشش من الجهل والكذب وليس ثمة عامل
ما يمكنك أن تجنيه منه إذا أغرتك العبرة
تباهت وإن لم تفعله فاستعد على الأقل
لما فيه من مواعظ لأني أشك في أن واحدا
من الناس يشتري كتابا يكتب ليجد فيه
شيئا يحرص عليه غير الفاسد وعلى كل
حال فليكن ما يريد يصفق له فهو المصفق
... يحق وإذا ضحكت من نكتة فليكن

ثناؤك على دكاء من دعرف كيف ان في الاطلاع على حباه الشطار ووصفهـا وصفـا طريفا من اللذه ما امس في اسكارات أحرى اعظم واهم

اما المؤلف فادلك دعروه والكتاب لست تحهله فهو عندك، ان لم سكن قد تصفحته عند دائع الكتب، ودلك امر عليه دعبل ومن الواجب استئصاله بصرامه قصوى لان من الناس من يطلعون على الكتب كتطفر عسرهم على الموائد ومنهم من يطلعون على رواده دعرائدها سما سما في مرار محاماه ثم ريعون احمرا هذه المقطع ودلك لمن المؤسف حسب ان واعاه ينم دون ان دكاله دمسه أي مال. ودلك دماه رسمه وبداله ام يبلعها «فارس الكلاده» (1)

---

1) اشارة الى الكتاب الذي وضعه كسمدر تحت عنوان فارس الكلاده وهو محبوته مس

حفظك الله من الكتاب النسرين ومأموري العصا (1) والمرأة الشعراء الأحوج المستديرة الوجه

الرسائل تصبح كالسهام لقارئ تصابه حمى من كل أنواع الطفيليين والطفيليات

1) استعملت كلمة مأمور العصا أو المأمور العصائي لتعريب لفظة Alguacil وهي عربية الأصل مشتقة من كلمة الوزير وفي النظام العصائي الحالي تدل على مأمور مكلف بإبلاغ أوامر المحكمة

إلى ضون فرنسيسكو دي كيبيدو

من صديقه لوسيانو (1)

أي ضون فرنسيسكو! بمعيار واحد من الجد والهزل فسّر مصابيح صائبة وتجعل صوتين بالنفوس ناظرا في آن واحد

---

(1) إشارة إلى المؤلف اليوناني لوسيانوس الذي عاش من سنة 191 إلى 125 قبل المسيح وبعد أن تعاطى المحاماة في انطاكية جال عدة بلدان ملقيا دروسا ومحاضرات في جميعها وبعد عودته إلى الشرق انصرف إلى الأدب وامتاز بالأدب البديع وترك أسمى ونفائس مؤلفا شعريا ومجموعة من الأشعار التي نقلت إلى معظم اللغات الحديثة وكان كيبيدو يحذو حذوه وفهم من نقود لوسيانو أساسا

اني لاعترف بانه سيكون والكلاده(1) بصحبة الشاطر(2) شيئا وحمله اياها لن يعوق الحديث عن حفظه لا بل بالعكس فلو أنه سار بدونها لكان نعمة

---

(2) اشارة الى الكتاب نفسه وهو «حماة الشاطر»

(1) اشارة الى كتاب المؤلف «فارس الكلادة»

وفي الاشارة هنا الى الكتابين تورية حسنة وظاهر الكلام معناه ان الشاطر اذا سار مصحوبا بالكلادة فحبذا به ناحية حسنا وباطنه ان مؤلفه الحديد حماة الشاطر كمل مؤلفه السابق فارس الكلادة ولا يضر أحدهما بالآخر ولا يحط من قدره

سيرة الشاطر

المسمى دون بابلوس

مثال العاطلين ومرآة المحتالين

الفصل الاول

وفيه الكلام عن نسبه ومسقط رأسه

أنا يا صاح (1) من بلدة شقوبية ومنها كان والدي – أودعه الله الجنة – واسمه كلمنتي بابلو وكانت حرفته الحجامة حسب قول الكل عن انه

---

1) وضع المؤلف هذا الكتاب بصورة اعتراف يدلي به بطل القصة بعد اعتزاله حياة الشطارة وهو اسلوب متبع في معظم قصص الشطار. وبالشكل نفسه بدأ حكاية لازاريو وحكاية غوزمان دي الفراتشي.

كان يسمو افكاره بأنف من ان يلعب حجاما فيقول انه حاتم الوجهات وحياط اللحى ويقال انه كان عريقا في النسب وكانت سيرته تحمل على الاعتقاد بصحة هذا القول اما زوجته فهي الصوفيا سانوريتو دي ريمونو ابنة اوكسافيو دي رسوبو كانودينو وحفيدة لبديو بون كونتي

وكانت تحوم في البلدة ريبة حول عرق نسبها في الديانة المسيحية (2) بالرغم من انها كانت تدعى بالنظر الى اسماء احدادها النحدر من سلالة الملك الروماني (3) وكانت بهية المنظر والبدا تصوب أنظار الماجنين بحيث لم يبق في المدينة واحد من شعراء الزجل الا وتغنى بها.

---

(2) كان الانتماء الى نسب عريق من اعسر أماني الانسان في مطلع القرن السابع عشر فادعاء القدم في الديانة المسيحية قد يكون حجة على الانتماء الى طبقة الاشراف

(3) اشارة الى الملك الروماني الذي تألف من اوكتافيو ولبيدو واطونيو

وعقمت زواجها مست دانعات كسرة، وبعد ذلك
أيضا، لان أاسه بدينه كانت تقول على ادبي بان
بده بمد الى الجنوب، وقد بث عليه ان جميع
من كان يحلق لهم اللحى بما كان يرفع وجوههم
الى المغسله لتصب عليها الماء كانت بد احي البالغ
من العمر سبع سنوات تسرب بحفة الى جيوبهم
فتستخرج محتها وقد توفى ذلك الملاك على اثر
جلدات جلدها في السجن بحزن عامه والذي حزنا
شديدا، لانه كان يستولى على افئدة الجميع وأهذه
المرهات واحرى غيرها ادخل السجن ولكني
اخبرت فيما بعد انه عادره باصبع الصحيفه مصحوبا
بمثنى جدرة (4) وان لم يكن واحده منها ممن
سار اليها باعث المتاوه ويقال ان النساء كن
يطللن من النوافذ امريه لانه كان حسن الطلعه

---

(4) أتى المؤلف هنا بتورية لا يمكن ترجمتها ومداره كلمة «كردينال» التي تعني «جدرة» وهو المقصود اولا وتعني أيضا الرتبة الكنسية المعروفه وهو المعنى المقصود دائما

ان ماسا وان راكبا ولا اقول هذا مماحرا

فالكل يعلم كم انا عن المفاجره بعيد فاذن ندرى

اذن ان من انه يصب يكوارث وذات يوم كانت

يمدحها في محضري عجوز ريسي فقالت انها كانت

من اللطافه على جانب لسر فسحر (5) كل من

عاشرته وقالت انها أفسدت لها مره بكلام عن

سس (6) وكاد ذلك يؤدي الى حملها على معاطاته

علانيه (7) واشتهرت بحديد العماء وبعض السعر

---

5) يكرر المؤلف هنا التوريه في كلمه تسحر فيستعملها بالمعنى المجازى اي استماله الاراده وبالمعنى الحقيقي اي معاطاه السحر وهو المقصود في الجمله التاليه

6) كان الشمس يعتبر رمزا للسلطان وكانوا يروون ان السلطان يجد سكن نفس حين يظهر السحرات المحلله

7) المقصود انه اشتهر امرها بانها تتعاطى السحر وكان تعاطيه في ذلك العهد من الجرائم الكبرى

واحصاء السبب فالبعض كانوا يسمونها مرفعة للادواق والآخرون حابره للارادات المضطربه وباسم سفنه يدعونها سوادة و فلوس (٨) لمال الجمع وكانت امي تسمع مستمعه الى كل هذه الاقاويل فيزداد بذلك امتلاكها للخواطر والقلوب ولن اتوقف لاصف ما كانت تأتى به من امانه وكفاره. فعرفتها التى لم تكن لتدخلها سواهــا وانا ايضا — لان ذلك كان مباحا لى صغيرا بين — كانت محاطة من داخلها بالجماجم وعندها يقول انها لتذكرها بالموت بينما البعض يقولون على وجه الذم انها لممارسه السحر وكان سريرهـا منصوبا على حبال المسانق وكانت تقول انى

---

(٨) فلوس Flux لفظه تستعمل فى بعض انواع اللعب بالورق وتدل على اجتماع كل الاوراق التى هى من لون واحد ومن اجتمعت لديه كان هو الرابح، فقولهم Hacer flux عمل فلوس، معناه مجازا ذهب بماله ومال غيره دون ان يدفع لاحد ما عليه

تأمل يا بني ! أني تذكري هذه الحال أصبح
حتى أنجو من الوقوع فيها بالعكس كمن يحمل
رقبة على كتفه (٩) حيث لا يمكن الاطلاع على
عضلاتهم ولو تصغر الدلائل وقد وقع نزاع كبير
بين والدي في تقرير أيه واحدة من حرفتيهما يجب
أن يتبع أمر أبنا — وقد ساورتني منذ صغري
أفكار أمي بالسهولة — فإنه أكثر لأميل الى
واحدة منهما وقال والدي يقول لي إذا بني
نسيت الخصوصية من الحرف اليدوية (١٠) بل
العقلية وبعد أن يسكت قليلا يتنهد ثم يضم يديه
ويتابع قائلا إن من لا يسرق في هذه الدنيا لا يعيش

---

(٩) حمل رقبة على كتفه مثل إيطالي قديم
يقصد به العيش بحشمة واحتراس كما يفعل من
له عدو فإنه يمشي ملتفتا يمينا ويسارا

(١٠) أتى المؤلف هنا تورية في كلمة mecanica
التي يمكن تأويلها على وجهين: المهنية و اليدوية
فالتأويل الأول هو المناسب لوصف اللصوص
والتأويل الثاني هو المطلوب لمناقضة العنصر المالي

ولماذا نذكرهما في طلك الحكام ومأمورو القضاء هذا المقدار فيعضون علينا بالنفي احيانا وبالجلد اخرى وبالشنق غيرها؟ احلى! لا أقدر ان اقول ذلك دون ان تسيل دموعي - وكان الشيخ المسكين حين يصل في كلامه الى هذا الحد يبكي كالطفل متذكرا المرات العديدة التي رفضت فيها اصابعه - لانهم حيث يكونون لا يرضون بان يكون من لصوص غيرهم ومعاونيهم لكن الجملة نجحنا من كل شيء ففي سنامي طالما كنت آوي الكنائس (11) وكم كنت حمارا على الحمار (12) لو اعترفت في كرسي المعترف ولكني

---

11) لان الكنائس كانت تعتبر حرما فلا يمكن لمأموري السلطة دخولها للقبض على المجرمين الذين يلتجئون اليها وهذه العادة لم تزل متبعة في المغرب بشأن المساجد واضرحة الاولياء فمن التجأ اليها استحال القبض عليه ما دام فيها

12) كان المحكوم عليهم بالجلد يطاف بهم راكبين على حمار ويجلدون في الطواف

لم أعرف (13) قط الا في المواعيد التي تأمر بها
امنا الكنيسة المقدسة فهذا وممارسة حرفتي لعبث
امك اسرف عبس قدرت عليه فسور حينئذ ثائرة
امي التي كانت تتألم اعاله مماي الى معاطاة السحر
والشعوذة فتصيح قائلة كيف تقول انك اعاسي؟
الست انا التي اعاملك واخرجتك من السجن بحمله
واستعملك بالمال وانت فيه؟ وان لم تعمر اوكان هذا
من داع بعسك ام بعصا بما سمعتك اداه من اسرته؟
أحل بالعصا لمواصلي. ولولا خوفي من ان
تسمع كلامي خارجا لابحث تلك الحادثة حين
دحت من المدرسه واحرجتك من السطح ولو لم
تمكنك من سدة الضربات سحبه من اضراس الموتى
ثابت بين يديها بالعصب في القول لما كان تبدو
عليها من الغضب

---

(1) أدى المؤلف سوريه في استعمال كلمة
اعرف فاراد بها اولا اقرار المجرم بجريمته امام
السلطة وثانيا السر الكنسي المعروف وهو الاقرار
بالخطايا للكاهن

وبعد ان صرب السلم حماه فوقهما قلت
لهما اني عازم ان اسلك جادة الفضيلة واواصل
السير الى الامام بمواداي الطيبه وطلبت منهما ان
يدخلاني المدرسه لانه لا شيء ممكن بلا قراءة ولا
كتابة فاستصوبا رأيي بعد ان تفاهما بشأنه حينا
ثم عادت امي الى تنظيم الاضراس في السبحه
ومضى ابي ليحلق لاحد زبائنه ـ حسبما قال ـ
ولست أدري ان لحيه او جمه وبقيت وحدي
اشكر الله الذي جعلني ابنا لوالدين بلغا هذا الحد
من المهاره والاهتمام بصالحي

الفصل الثاني

في ذهابي الى المدرسة وما وقع لي فيها

ما أصبح اليوم التالي حتى كانت الكراسة بين يدي وأجازوه مع الغلام قد تمت فذهبت بالصباح الى المدرسة فاستقبلني المعلم باسما وقال لي ان امارات العظمة والادراك مرتسمة على وجهي فحملني قوله هذا على تأدية الدرس في ذلك الصباح تأدية حسنة لكي لا اخيب ظنه في وكان المعلم جاءني الى جانبه وفي اكثر الايام ربح الجائزة لاني كنت أول من يصل وآخر من يخرج فاقضي بعض الحاجات لسيده — وهو الملعب لدي طاعة على زوجه الامام — ويسمل هذه المعاملات أصبح الجميع يحسدونني ويبالغوا في احتقاري فازداد بعضه الصبية حسدا مني اما انا فكنت أتصل بأبناء الاشراف وخاصة احد ابناء صون آلوصو

كورونل دى روبيعا فانجدنا انحادا وتمعا وصرت آدهب الى داره فى ايام الاعياد واراوفه فى كل يوم واصبح الاحرون، اما لانى لم اكن احادبهم واما لانهم كانوا يعسروبى منحرفا، يطلعون على الفايا يسير الى ابى فالبعض يسمونى ضون باباحا (1) والبعض الاحر ضون بطوسا (2) وهذا يقول نيريرا لحسده انه يكرهنى لان ابى سرق لئلا احبسه الصعرديس وذاك ان ابى قد استدعى الى داره ليطعمها من القمران فاخذا بذلك سمنه وطا (3) والبعض يصحون بى حين امر بحبسهم ساببي (4) والاحرون مس، (5)

وحاصل الامر انه بالرغم عن كل ما اعبادونى به لم يلطعنى منهم اهانه قط ولله الحمد وانى وان

---

1) Navaja اى الموس
2) Ventosa اى المحجم
3) اى لصا
4) لفظه يستعمل لطرد القطط
5) لفظه يستعمل لدعاء القطط

كنت أحجل مما يقولون وقد كنت احس احياناً
خجلي متحملا كل شيء الى ان جرأ يوما أحد
الاولاد على القول لي بصوت عال ربما اذن الساعة
الساحرة وبما انه لفظ تلك العبارة بوضوح لا يترك
مجالا للسكوت — اذ لو انه قالها مبهمة لغضضت
الطرف عنه — فما كان مني الا امسكت حجرا
ورميته به فجرحت رأسه ووليت راكضا شطر
امي نحيبني

وأخبرتها بكل ما جرى لي فقالت نعم ما
فعلت يا بني وقد ذهبت عني انت وانما اخطأت
في انفعالك عن سؤاله من قال له ذلك وحين
سمعت كلام أمي — وقد كنت اضمر دائما افكارا
سامية — التفت نحوها قائلا آه يا أماه انما يؤلمني
اشد الالم ان بعض الذين كانوا حاضرين الحادثة
قالوا لي انه لا داعي لغضبي بسبب ذلك الكلام
ولم اسألهم ان كان ما يقولونه لي يرجع الى صغر
سني فاتاه ام بسبب آخر ثم رجوتها ان تخبرني
اذا كان وسعي ان اكده عن حق وان تعلمني

اذا كنت ابن أبي حقا امان في حملها بي اسرا كا
اغنة رجال؟ فضحكت وقالت حربنا الك! اهذا
القول نعرف ان نقول؟ او اناه ابت؟ أحال. ان
كلامك مدعاة للعجب ولقد احسنت صنعا حين
فحصت رأسه واعلم ان هذه الامور وان كانت
صحيحة يجب الا تقال فتهت كالمت حين سمعت
هذا الكلام وعزمت على حمل ما أقوى عليه ضمن
ايام قليلة ومغادرة دار والدي من بعده ما عمله
الحياء في نفسي عن أبي احفت ما في خاطري
وسار ابي الى دار الصبي فضمد جراحه وهدأ
خاطره وردني الى المدرسة حيث استقبلني المعلم
بغضب شديد لم يخف تأديبه الا بعد ان سمع
وعرف سبب المشاجرة فاعتبر ان اداك ان الحق كان
بجانبي

وخلال هذا بداية كان ابن ضور أ وتصبو
دي روتيعا واسمه ديعو لا ينقطع عن زيارتي
اذ كان يضمر لي الود والعطف فاصلت بيني
وبينه روابط الصداقة والاتحاد وصرت اعتبره

واعطيه مما أتعداه دون ان اطلب منه مما أكله

واسري له صورا واعلمه المصارعه والعب واداه

لعبه السراي واسليه دائما فحس ساهد والداه

مقدار فرحه نرفقنى اصحا برحوان والدى فى

اكثر الايام ان يسمحا لى بالبقاء معه لاتعدى

واتعشى وفى معظم الايام لايام الليل ايضا

وحدث ذات مره فى الايام الاولى التى عدنا

الى المدرسه فيها بعد عيد الميلاد ان رجلا مسهورا

بالاحتيال يدعى بصمو دى اغسرى كان مارا فى

الشارع فقال لى صوت دمعو ؟ناده باسم بصمو

بلاطو واطلق ساقيك للريح فادنه بهذا الاسم

ارضاء لخاطر صاحبى فما كان من الرجل الا ان

غضب وجرى ورائى مجردا خنجره الى ملمسى

فاضطررت الى الالتجاء فى هربى الى دار معلمى

ودخل الرجل ورائى صائحا فتقدم معلمى لحمايتى

طالبا من الرجل ان يعفو عن جنايتى مؤكدا انه انه

سيعاقبنى عقابا صارما وهكذا كان بالرغم عن

توسلات زوجته وتوسطها من اجلى لما كنت

أقدم لها من خدمات وأمرني بنزع قميصي ثم
أخذ يجلدني ويقول بعد كل جلدة أتعود إلى
القول بنطيو بيلاطو؟ فأجيبه لا يا سيدي. ولقد
أحسنه مني عن كل جلدة جلدنيها ووجدت في
تلك الجلدات عبرة للتحامي عن ذكر اسم بنطيو
بيلاطو ونشأ بسببها في نفسي خوف من التلفظ
بهذا الاسم بحيث أنه إذ أمرني المعلم في اليوم
التالي على عادته بتلاوة الصلاة على نية التلامذة
حتى وصلت إلى قانون الإيمان ـ ولاحظ حضرتك
مكرري الحري ـ وبلغت فيه حد قوله "وتألم على
عهد بنطيو بيلاطو (1) تذكرت أنه ينبغي أن لا
أعود إلى لفظ كلمة بيلاطو، فقلت "تألم على
عهد بنطيو بي آخري" وحين سمع المعلم بداخيي
هذه ورأى الخوف المستحوذ على من أجله ضحك
حتى بدت نواجذه وعانقني وأعطاني وعدا كتابا

---

(1) بنطيو بيلاطو أو بيلاطوس البنطي هو الوالي
الروماني على فلسطين الذي صلب سيدنا يسوع
المسيح على عهده

بانه نعفو عني في المدرس المفلسين الامين اسحق فعبسا الحامد وذهب راضيا مسرورا

ثم اقبل زمن الربوع (٦) فأمر المعلم بان نتظم لعبة «ملك الديوك» (٨) بروحجا عن نفوس تلامذته ووقعت القرعة بين اثنى عشر منا فكان الحظ حليفي واوعزت الى والدي ان يدبرا لي اتوانا فاخرة وحين اقبل اليوم المعين خرجت ممتطيا صهوة جواد داكن مصدور يحمي رأسه كمن يسلم باحترام لا يأذن بان يعرج ثم باحدى ساقيه وكان ذ كفل عاري الشعر فصير الذيل ككفل القردة وذا عنق يفوق طولا عنق البعير ولم يكن في وجهه سوى عين واحدة على انها عمياء وكان يقرأ على بدنه ما يحمله الكافر بعيدنيه من نفسه

---

٦) هي الايام الثلاثة السابقة لصيام النصارى وعند الموارنة هي الاسبوع السابق كله

٨) هي لعبة يقوم بدور ذلك مع ...ات رأسه وعنقه فوق التراب ثم يعصب عينا احد اللاعبين وعليه ان يعدما ... في ... ما ... الديك والسيف في يده

وصوم وما قامته من عس في سراذه اه العلف. فسما
كست سائرا على مسه اربحح د نبا ودسارا كفرنسى
(١) في سمره ونعمه الاولاد وراتى نرده بهم مرردا
دساحه البلدة — ان ددى دعسعر لحرد ذكراها —
وحس وصاما الى موائد البفالات — بحادثا الله —
حطف حصادى كردسا لواحده مهن وناسرع من
البرق ارسله الى امعائه حبث لم دصل في تدحرجه
داخل حلقومه الا بعد وقت عير دسير فاحدت
البقاله — وكانهن كما دعام بعمهات — بردسط بم
وحملت الاحربات مصحوبات دعض السطار رافعات
حرات كسرة وسلاجم صحمه وبادنجانات وعمرها
من البقول وسرعن بمطارده الملك المسكين اما
اذا فحين رأيت انها معركه ملحمه لست في ان

— — — — — — — — — — — — — — — —

(١) الفرنسيون حماعه من اليهود كانوا
يتظاهرون بالنسك والتعبد ويمسكون بظاهر
الشريعه غافلين عن روحها وكثيرا ما حمل عليهم سيدنا
يسوع المسيح كما نرى في الانجيل المقدس وقد
اصبحت كلمه فريسى في الاسلاميه مرادفه لمنافق

اسارك فمها راكما اردت ان ادرحل لكن حمادي داهى صرنه عسه في وحهه وهو حاول ان دسو واذا ده بهوي دى - حاساكم - فى احد المراحض وتركني كما دوسعات ان نصور وكان مبادى قد تساحوا دالحجاره وسرعوا بمطارده الممالات فمحوا رأس انسن منهن اما انا فقد اصحبت بعد سقوطي في المرحاض اكثر من دجاج السه في المساحره ثم اقبل مأمور العداله فقبض على العمالات والصبيان وبين عمد تحاوله من الاساحه فرقها منهم حيث ان لبعض منهم كادوا قد حردوا حناجر وسيوفا صغيرة من التي جاؤوا بها للزينة وحين وصل ولم يعر معي اي سلاح لانهم كانوا قد نزعوه عني ووضعوه في احد المنازل مع المعطف والقبعة لتنشف طلب مني سلاحي فأجبته والوقاحة تجاني ان لا سلاح آخر لدي اذا كان هذا لا يؤدي الا دوف ولا بد لي ان ادرك عرضا انه حين سدأت برميني بالباذنجان والسلجم ودفعه المغول طيبت اذ كنت احمل رسالي فعصي انهن اعتبرنني والدي

وادهن درمسها عن قصد كما فعلت مرارا أخرى وأخذت اصيح على دلاهي وطفولتي قائلا ها احوادى ابي وان كنت أحمل رسا لست الدوقصا سادوردو دي رنيو والذي كما او ابهى لم يكن امرين ذلك من قامتي ووجهي لكن الخوف ووقوع الصدمة جاءه معذرة لخطاي

والبعد الان الى مأمور العدالة فقد اراد سوقي الى السجن لكنه لم يفعل لانه لم يجد في ممسكا من جرح سعطني ودوحاي فذهب البعض من جهة والاخرون من جهة اخرى وعدت من الساحة الى داري معذبا اذوق كل من اصادفهم في طريقي وما كدت ادخلها واخبر والدي بما حدث حتى غضبا غضبا شديدا وهما تصريح لما آذاني عامة من سوء حالة اما انا فكنت ألقي اللعنة على الحصان الذي اعطيته محاولا ارضاهما، وحين رأيت محاولتي فاشلة خرجت من الدار متوجها الى دار صديقي صور دنيعو فوجدته قد اصيب بجرح في رأسه وقد عزم والداه بسبب ذلك على

الا يرسلاه فيما بعد الى المدرسه وهنالك احسست ان حصاني حين رأى نفسه في ضيق حاول ان يروض الكبوه من صعقه الراقد ليقطع كبلته وبقى في الوحل على شفير الهلاك، واذ ابصرت العبد قد بعكر صفوه والبلده في هرج ومرج ووالدي قد ثارت ثائرتهما وصديقي قد فتح رأسه وحصاني قد مات عزمت أن لا اعود ابدا الى المدرسه ولا الى دار والدي، وقررت ان امضي في خدمه ضون دسعو او بالاحرى في صحبته وذلك برضى والديه التام لما كانا يريانه من ولائي نحو العمي، فكتبت الى والدي معلما اياهما باني لم اعد بحاجه الى الذهاب الى المدرسه لاني وان كنت لا احسن الكتابه فذلك لا يضيرني لان الطاووس في محاولته التحليق باجلاق الغربان هو الا يحسنها المرء والذلك اتخلى عن المدرسه لكي لا اجافيهما نفقه وعن دارهما لاوفر عليهما التبعات واعلمتهما بمجرى الحديد والشروط التي عشت فيها وباني لن أراهما حتى اتلقي منهما اذنا بذلك

الفصل الثالث

في ذهابي الى مدرسه داخليه بصفه خادم

لصون دىيغو كورونيل

وعندئذ عزم صون ألونصو على ارسال ولده الى مدرسه بعمل طلابا داخلين ليبعده من جهه عن حياة الرفاهيه وليوفر على نفسه نفقة العلو عليه من جهه اخرى وعلم ان في سقوبية كاهنا اسمه كبراه (1) منصرفا الى تربيه أبناء النبلاء

---

1) كابرا Cabra ويظهر ان الكاهن الذي وصفه كيبدو هنا قد وجد حقيقه ويستدل على ذلك برساله بعثها الى المؤلف تدعه جوان آداب دي لابارا وفيها يقول لطيب سقوبيه وكم يطول بي القول عما ضحكته حين زرت الاب كابرا واعد احدث بصوره الكنه لم بعد الان

فارسل الله ابنه وارسلني معه لارافقه واخدمه وسقطنا يوم الاحد الجديد (٢) من بدني الجوع الجسم لان ذلك الموسم لا يعمل الزيادة وكان لاب كثيرا كالاستطاعة لطول العادة لا غير صغير الرأس. انقص السعر، ولا يحتاج الى زيادة في المعرفة من يعرف الناس العاقل لا فقط ولا بلت من ذلك الاول وكانت عيناه قريبين من بعضه فيبدو كانه يطالع من وراء مقطعين ومن شده غور هما وسوادهما يصلح موضعهما ان يكون حانوتا لاحد التجار وقد اكلت ابنه نور ابنها الركام، وهي

مضادها الصورة التي رسمتها له لان المسكين قد زادت حالته سوءا واصبح على سفر العماء بحيث يدعو الى الشفقة وحسن ظنه ابنه المعلم الذي صور في وصلك قال لي انه اولى بك ان يكون اكثر مروءة واقل عقوقا ولم يبق للمسكين بلادة الان وليس يوسعه ان يعيم العداس وانما هو هيكل عظمي يمشي مما ورد في ايامه السبعة.

(٢) هو الاحد الاول بعد عيد الفصح او القيامة

ان لم تكن ثمرة الرذيلة فلأن في ذلك عمقة اما اللحمة فقد وعدت لونها حو وامن الهم المجاور الذي كان يدو من الجوع المضني كأنه يهددها بالافتراس والانسان بنفسه معظمها وابطن انها نعمت من ذلك المكان لتكاسلها وتقاعدها عن العمل (3)

والعنق طويل كعنق النعامة مع جوزة بائنة كأنها ستبعد لغادرها سعيا وراء غذائها بعد ان احدقت بها الفاقة والذراعان ناشفان واليدان كريهة من الرجوب واذا تطاعنت الى تحته الاسفل حتمه شوكة او بركارا طويل الساقين هزيلهما يطوي السير اذا عصب فلا يسمع لعظامه قرقعة كقرقعة الواح ساي لارارو (4) وان تكلم صعد الكلام من

---

3) كان النفي من العقوبات المفروضة عندنا اذاك على المسرفين الكسالى

4) الواح «ساي لارارو» هي الواح ثلاثة تحمل مربوطة بخيط يمر في ثقب وتمسك اللوحة الوسطى وتحرك فتحدث قرقعة وتستعمل لاستجداء الصدقات لمستشفيات ساي لارارو

صدره كبير الاجمة لم يمسها قط يد الحلاق حتى الاعماق وكان يقول انه يفضل الموت على ان يرى يد الحلاق على وجهه لما يجلبه هذا الامر من كره في نفسه اما شعر رأسه فيجزه له احد الطلاب وفي الايام الشمسية لبس قلنسوة القبة القوقازية مزينة بالدبيب ...ط من ... فيما مضى ... ومبطنة بالحرارة فكان البعض يقولون عند رؤيتها انها من الشعر انها من جلود الضفادع والاخرون انها من نسيج الوهم فتظهر عن قرب سوداء وعن بعد مائلة الى الزرقة وكان يرتديها بدون زنار ولا قلنسوة ولا اردان فيبدو بشعره الطويل وجبهته القصيرة المبدلة كانه من خدام الموت اما بعقلانية فصل بينهما كان كسادا لان يكون احدا لفلسطيني (1) واما عن ... فماذا يقول؟ انه كان خاليا حتى من العنكبوت وكان بعد الغفران عنه خوفا من ان يعرض له بعض الكسر الذي يحفظ بها

---

(1) كان يقال عن شخص انه فلسطيني اذا ارتدت المبالغة في ضخامة جسمه

ومن الارض اتخذ سريرا مد فوقه الفراش فنام دائما
على جانب واحد لئلا يتلف المفارش وبالاختصار كان
صاحبنا عالة في العصر ومثالا للبؤس فمن يرى هذا
الرجل ووقف ابا وصوت دمعوا وفي ابناه وصوابا دانا على
عرفنا والغنى علمنا عطفه قصيرة لم يطلها لئلا يسرف في
الوقت واشار علينا صاحب ان نعمله ونعلمنا بهذا
حتى ساعة الغداء وحينئذ ذهبنا الى قاعة الاكل
وكانت العادة ان ياكل الاسياد اولا ثم يأتي بعدهم
الخدام بخدمتهم وكانت القاعة المذكورة عبارة عن
غرفة ضيقة وقد جمع حول مائدة واحدة خمسة
اشخاص واول ما لفت نظري في تلك الغرفة هي
الغطاء ولما لم ارها سألت عنها جانبا قد ما جرى
عليه الهزالة علامات الاقامة في ذات المنوى فاستغرب
علي عند سماعه هذا السؤال وقال كيف تسأل
عن الغطاء؟ ومن اخبرك ان الغطاء يجب العموم
والمعيشة؟ اخال ان سؤالك يدل على حداثة عهدك بهذا
المكان وحين سمعت هذا القول بدأ الغم يدب
الى نفسي واردت جوابا حين رأيت ان جميع من

سمعوا لي سكنى هذا الـوى كادوا كـالجاحف،
كان وجوههم قد طليت بمراهم (الدياكيلون)(6)
فجلس الآن كـاـرا والفى المركـه ثم اكل الحاضرون
اكله الذيه لا ابتداء لها ولا نهاية فحتى اولا نمرق
في وصاح من الحسد لو اكل نرسيسو (7) في
واحده منها لكان من صفاء ذلك المرق في خطر
اشد من من خطر الغدير ولاحظت معمما ان الاصابع
الهزيله كانت تسبح سعيا وراء قمحه ثمينة وحيدة
تائهت في قعر القصعه، وبعد كل حسوه يقول

---

(6) الدياكيلون مرهم كان يستعمل في
الجراحات لازالة الدمامل

(7) نرسيسو Narciso في الميثولوجيه هو ابن الالهه
سفيسو Celiso وعروس الماء ليريوبا Liriopea وكان
غايه في الجمال لكنه لم يفتح قلبه لعواطف الهوى،
وتروي الاسطوره انه وقف ذات يوم جانب غدير
صفا ماؤه كالبلور فابصر صورته معكوسه فيه وفتن
بجمال ذاته ايما افتتان وغطس ذراعيه في الماء ليقبض
تلك الصورة التي ظنها لشخص آخر

كـادرا الحق نقال انه لا شيء كـالقدر (٨) مهما تقول المتسدقون، وما عداها رذيله ووهم وما كـاد نفرغ من ترداد هذه العبارة حتى خرج ما في القصعه دفعة واحده قائلا هذا كله عافيه وذكاء فقلت في نفسي : فاللك الله (!!) حين رأيت غلاما هزيلا كأنه جا من عالم الارواح ودس يديه صحفه فيها احم كانه قطعه من بدنه وعرته امه معاسرة وقال المعلم ألعب اللذكاء احل، انه لا نطلب لي

---

٨) كلمه Olla في الاسبانيه تعني في الاصل القدر وهو الاناء المعروف لكنها اطلقت ايضا على اكله تتركب من لحم وشحم وحمص وخضر وبطاطا تضاف اليها شيء من القادو توضع كلها في قدر وتغلى حتى تطبخ وهي الاكله الوطنيه الشعبيه في اسبانيا الى يومنا هذا

٩) ادى المؤلف تورية في كلمه ingenio فاستعملها اولا بمعنى ذكاء وثانيا بمعنى حيله فآثرنا تعريب الجملة الثانيه بقولنا : قاتلك الله وهو المقصود

حجل مثلها كلوا فان صدري لينشرح حين أراكم تأكلون ثم وزع على كل واحد منهم قدرا صغيرا من اللحم حيث بعد في طبق ما أصاب كل واحد بين ما النصوق بأظافره وعلق بين أسنانه وانما هذا كان كافيا ليطاع النهم قائلا كلوا فاذكم لفتيان ويسرني ان ارى فيكم هذه الشاهية وأمل اصلحك الله ما احسنها من نوافل لمن كانوا يتمأدون جوعا

واخيرا فرغوا من الاكل وبقيت فوق الخوان بعض الكسر وفي الصحفة بعض الاهب والعظام فقال المعلم فليبق هذا للخدم اذ من حقهم ان يأكلوا ايضا ولا يأكله بحق كله اما انا فكنت اقول في نفسي بلاك الله وما اكلته بسوء يأسفي! وماله من تهديد رمت أمعائي به ثم القى البركة وقال فلتبرك المكان للخدم واذهبوا حتى الساعة الثانية ورضوا احسامكم لئلا يضركم ما أكلتموه فلم انمالك حينئذ من الضحك ملء شدقي وعضب المعلم غضبا شديدا وقال لي ان يعلم الحشمة وزد

على مسامعي ثلاث او اربع حكم قديمة وذهب الى
حال سبيله فجلسنا نحن وحين رأيت القطعة
خاسره وامعائي تطلب الانصاف هجمت على الصحفه
بصفتي اكبر الخدم وافواهم كما هجم الاخرون
ولقمت من التلات كسر اسنين والاهاب الوحيد
الذي كان فيها واحد الثلاثه يدمدمون متذمرين
فدخل كاترا حين سمع الجلبه وقال تشاكوا
كالاخوه قال الله قد رزقكم ما تاكلونه مجانين
ولا تتنازعوا فان اديكم ما يكفي الجميع ثم غادر
بسببين وتركنا وحدنا هذا واني اؤكد احضر لك
انه كان بين الخدم واحد من سكانا اسمه سري
دلع به بساطه كنمت تؤكل ومن ادب انه رفع
كسره اصابعه الى عمه مرتين دون ان تصبت
في دوحته يديه الى فمه ثم طلبت ان اشرب
حيث ان الباقين الذين كانوا يكونون تابعين
لم يطلبوا ذلك فاعطوني كأس ماء وما كانت
الكأس تمس شفتي حتى كانت بد الغلام المنحدر
روحا الثاني كأسي منه اذ طبقت المرء ببادئه

مىي كما لو كان ماء معدسا فعمت والغم بملاء دعسي
حين رأيت الذي في دار ىسرت وبها الهـم دحت
الامعا ومعحر هده عن معادلىه نالمل (10)

ويعرت دحاحه الى المرر وان لم اكن قد
اكلت فسألت احد الاقدمين عن المرحاض فقال
لست أدري اذ لىس في هدهالدار من مرحاض وعلى
كل حال ان درارا ىمرره مرة واحده طماه افامسك
هنا ىمكنك ان تحرجه اىما كان. وهأنا اذا قد مر
عىي شهران في هده الدار ولم احتج الى ذلك سوى مره
واحده يوم دحولي كما يريد ان يفعل أنت الان
وذلك مما دعىسه في ذاري عن المائه السابعه
وكىف أصف ما اسىولى على من الحزن والغم حين
سمعت هدا القول احل. لقد كان ذلك عظيما الى
حد اني نعد ان تأملت في صآله ما دحل حسمى
لم أحرأ بالرغم عن رغمي، دافرار شىء مما في داخله

---

(10) اى ان ما ىدحل الفم فلىل بحىث لا ىصل
الى الامعاء فلهذا لا نعدر هذه ان ىعادل من دسرت
دحمها دالمل

دسلسا حتى حلول الليل، وكان ضوء دبمعو
بسألني اننا دالك عما عساه ان يفعل لبعيع معديه
دأنها اكلت لادها ام دكر لصدقه وكانت دطوى
الساعات حاويه في دلك الدار كما كانت دعضها
محومه في دار احرى واحمرا اقبلت ساعه العساء
لان ساعه العصر مرت دون ان يأتي احد على
دكر العدوه فعسما اقل مما دعدساه دكبير ولم
يكن في العساء لحم عجل بل فابل مسوى من اسد
المعابم (1) وبأمل رعاك الله اذا كان المسن عسه
بعدر على ابداع امر كهذا فقد كان المعلم يقول
في العساء الخفيف صحه البدن لان المعده يبقى
عاطله، ويمنع قواه هذا بلائحه لا نهايه لها من
الاطبا الحيمسس ويكبر الساء على الحميه واذلا ابنا
سمعي عن المرء الاحلام المزعجه اعلمه ان من في
داره لا يمكنهم ان يحاموا بشيء آخر سوى انهم
ياكلون فعسوا وبعسما حمعا ولم يعس احد

---

(1) اي من لحم الناعر لان المعلم اسمه كابرا
Cabra ومعناها ماعز

ثم سرنا لنرقد لكن مضى الليل ولم يغمض لنا جفن لا لي ولا لصوت يدعو اذ كان هو يهيئ شكواه الى والده طالبا منه ان يخرجه من ذلك المكان وأنا انصحه ان يفعل ذلك وان كنت في الاخير قد قلت له «أتعلم يا سيدي علم النفس ان كنا في عالم الاحياء؟ لأني أتصور اننا قتلنا في مقاومة المعالات وانما نحن الان انفس تعذب في المطهر وعليه ارى انه من العبث ان نقول لابيك ان يخرجنا من هنا اذا لم يقم احد بالصلاة من أجلنا بسبحة ذات حبات كثيرة ويخاصنا من العذاب بتقديمه قداسا تاما في مذبح ممر يغفران كاملا»

وبين هذه الثمرات والقليل الذي رقدناه جاءت ساعة النهوض اذ دقت الساعة السادسة فنادانا كابرا الى الدرس فذهبنا واصغينا اليه جميعا. اما انا فبعد أصبح ظهري وخاصرتاي تسبح في داخل القميص والسراويل تسمع لسمع سيلان مثل ساقية وعلت الطراوة اسناني فصررت صفراء محلية بالرأس وامرت عراة الفاعل الاول على

مسمع من نفسه التلامذه لكن حوعى كان كبيرا
بحبت فطرت بعض الكلمات وان يتردد في
تصديق ما أقوله من عرف ما حكاه لي غلام
كادرا اذ قال لي انه رأى أم عمه حوادث
فريسس (12) دخلا الى ذلك الدار وخرجا بعد
يومين صامرين يشبهن طيران في الجو سرعه
وانه رأى دراوش عليطه ادخلت اليها أيضا ثم
خرجت بعد ثلاث ساعات وقد صارت ملوفيه
عدائه وانه في مده الصوم رأى مره اناسا كثيرين
منهم من ادخل رجله ومنهم يده ومنهم جسمه
كله في رواق الدار مستمرين على تلك الحاله
برهه غير وجيزه وان اناسا كثيرين غيرهم كانوا
يعدون من الخارج لهذه العاده فحسب. وسألته مره
عن ذلك لان كادرا قد غضب لسؤالي اياه فقال
لي ان منهم من هو مصاب بالحرب ومنهم من

---

(12) اي آتين من فرنسا او سيسان الى
ذلك النوع من الحمل الذي يبار بعوده للفوائد
وغيرها

به نورم من البرد وبوضعهما في تلك الدار نمو بان
جوعا بحيث لا يأكلان بعد ذلك اليوم (13) وقد
أكد لي أن ذلك صحيح وانا الذي عرفت الدار
أصدق ذلك القول وأقول هذا لكي لا يعتبر
كلامي من باب المبالغة

ولنعد الآن الى الكلام عن الدرس فقد
ألقاه المعلم علينا ثم رددناه كلنا معا وعلى هذا
النمط الذي وصفته واصلت العمل وانما اضاف
كادرا شيئا من شحم الخنزير الى اكله
المرق بسبب شيء لم اطلع عليه قيل له جارحاص

---

13) الجرب والنورم الناشيء عن البرد
Sabañones مرضان ينتشران في الجسم بسرعة كأنهما
يأكلانه وعن ذلك نشأ في الاسبانية مثل قديم
فقال «آكل من النورم الناشيء عن البرد وهذا
ما سمح المؤلف بالتلاعب في الكلام فسمه المرضين
بشخصين اكولين اذا ادخلا دار كادرا هلكا
جوعا ولا يأكلان فيما بعد جسم المريض

صفائح نسه (14) وكان تمده تسبدو من الحديد
كله ثقوب كالمصفاه فتفتحه وتضع فيه قطعة من
شحم الخنزير ثم تسده وتدليه مربوطا بخيط داخل
القدر ليتسرب اليها شيء من المرق من خلال
الثقوب وتعطى الشحم لليوم التالي (15) ثم ـ ان

---

14) كان اليهود المهتدون حديثا الى النصرانية
يحتفظون بشيء من الكره نحو لحم الخنزير ولهذا
كانت تنكر عليهم صفة القدم في الديانة المسيحية
وفي ذلك يحضر كثير

15) وزعموا انهم (اهل خراسان) ربما ترافقوا
وترافقوا شاهدوا وتلازموا في شراء اللحم واذا
اشتروا اللحم قسموه قبل الطبخ واخذ كل انسان
منهم نصيبه فيشكه بخوصة او بخيط ثم ارسله في
خل القدر والتوابل فاذا طبخوا تناول كل انسان
خيطه وقد علمه بعلامة ثم اقتسموا المرق ثم لا
يزال احدهم يسل من الخيط القطعة بعد القطعة
حتى يبقى الحبل لا شيء فيه ثم يجمعون خيوطهم
فان اعادوا الملازمة اعادوا تلك الخيوط لانها قد

انه وبما بعد ان في هذا بقدر كبيرا واكتفى

بان يجعل قطعة السحم بطال على القدر اطلالا

وعلى هذه الحالة كما يقضى الايام انما يمكنك

ان يتصور وقد بلغ الامر حتى ويتصور بعثو انما

حدث انه يجد سبلا للاكل فيسما عن طريقه

مكنا من الاعوم في الصباح فصمما على الممارس

كما ان يدع السحوبة لانه اذا لم يكن انكسف

الخديعة سهوته وان يدع الما في الرأس او في

الاضراس لم يغمر هذا الالم عاتقا كافيا للازمة

الفراس، فعلنا احسرا انما مصابون بألم في الامعاء

لانما لم تمر مدة ثلاثة أيام مؤملين ان المعلم ان

يحسب لنا عن دواء حرصا على ألا يصرف فلسين

اسرافه لكن السلطان دبر الامور بالعكس حسب

انه كانت المدة وجعله وريثها من ابنه الذي كان

بعد ذلك وحمى عرف دائما هيأ حصة ودعا شمعه وهي

تحور بلاغ السبعين من العمر وقال انها ان يصعها

بشرين المسمى (الجاحظ كتاب البخلاء ص 24-25

طبعة لندن سنة 1900)

لما وبدأوا بصوت دمعو محجل المسكين وارتبك
وبدلا من ان يرميها العجوز في الداخل رميها بين
القميص وفقار الظهر وبلعت فقاه وهكذا جاء ريثه
في الخارج ما كان معدا لان يكون بطانة فمفي
القمي يصيح وعندئذ جاء كادرا وحين رآه امر بان
احمل بالنافي ثم يعاود الكرة مع صوت دمعو
وكنت أريدي ثيابي اداك لكنه لم يحدثني بعدما
اذ امسكني كادرا واشخاص آخرون وحملني العجوز
بالخدمة لكي ارجعها لها حالا فاصبحها في وجهها
فغضب على كادرا غضبا شديدا وقال انه سيطردني
من داره اذ قد اتضح أن كل ما يدعيه انما هو
خداع صرف لكن لم يشأ سوء طالعي أن يطردني
فانعدا صوت الوجو سكوتا لكن كادرا كان
جماله على الاعتقاد بانه انما يعمل ذلك تهربا
من حضور الدرس ولذلك لم يحدثنا الموسلات
بعدما ثم اتخذ المعلم تلك العجوز لتطبخ وتخدم التلامذة
وصرف الخادم لانه رأى معه يوم الجمعة صاحبا
بعض قنات من الخمر أما ما حملناه من هذه

العجوز ولا نعلمه الا الله اذ كانت صماء لا تسمع
شيئا البته وتفهم بالاشارة، عمياء كسيرة، الصلاة الى
حد ان سجنها تكتكت دوما فوق القدر فجأة
فيا صحته أعمى من 'كانه فاحد البعض يقولون
عليه حمص اسود ولاسك انه حى به من الخمسه
ويقول الاخرون أتكون حمصا في حالة الحداد؟
من ماذا؟، واما سيدي فقد ابتلع احدى الخرزات
فانكسرت واحده من اسنانه وهو يضعها وكان
من عادتها ان تقدم اما يوم الجمعة تصا مكسوا
بقدر من السعر المتساقط من رأسها تؤهله
لممارسه الحجامة (16) اذ كان من الامور العاديه
ايجاد الرؤس الصغيره المعدة لمل الخبز بدل الغرفه
وارسال حفنه من المرق مباته بالحصى وقد عثرت
الف مره في القدر على هوام وعودان ومشاقه مما
كانت تعزله فالهشه كله الدخل الامعاء ويزيد في
حجم الداخل اليها

---

16) كان من عاده الحجامين في ذلك العهد
ارجاء لحاهم

وهكذا فضينا حتى حلول الصوم وفي مطلعه سقط احد الرفاق مريضا وامتنع كابرا عن استدعاء الطبيب حرصا على المال حتى اصبح الفتى يطلب الاعتراف اكثر من كل شيء آخر وحينئذ استدعى احد المعالجين وبعد ان جس نبضه قال ان الجوع سبقه الى قتل ذلك الرجل (17) ثم جاءوه بالقربان الاقدس وحين شاهده المسكين - وكان قد مر عليه يوم كامل دون ان يمس بنت شفة - قال " يا سيدي يسوع المسيح ! لقد كان دخولك الى هذه الدار لازما لاقنع بانها ليست هي الجحيم » فانطبعت هذه الكلمات في قلبه ثم لفظ الفتى المسكين النفس الاخير فدفناه في حمارة حقيرة لانه كان غريبا وبقينا كلنا مدهوشين وانتشر الخبر القطيع في المدينة كلها وبلغ مسامع صوت " الوبيو كورنيلي " وبما انه لم يكن له سوى ابن واحد زال اعتباره اذاك بقساوه كادرا واخذ يعير ابدا صاحبه الى كلام سمجين - اذ كنا قد بلغنا هذه الدرجة من

---

17) يحكم فاس على اطباء ذلك العهد

الهزال وجاء ليخرجنا من تلك المدرسة وكان يسألنا عن انفسنا ونحن بين يديه وقد شاهد من حالنا ما حمله على الاغلاظ في القول للمعلم (تخمانا)(18) وأمر بنا فحملنا على كرسيين الى الدار وودعنا رفاقنا الذين كانوا يدعون لنا برعايتهم واعتقهم مصطفى الباوهات التي تصعدها الاسرى الذي تقع في الجزائر (19) حين نرى رفاقه يغادرون الاسر

---

18) سماه هنا تخمانا vigilia ومعناها في الاسبانية التقشف او الانقطاع عن اكل اللحوم والتقشف والخامس مبالغة في وصفه بالشح اي انه حسم التقشف فيه

19) كان اسم الجزائر في ذلك الزمن مقرونا الى فظائع الاسر لانها كانت اعظم قاعدة للقرصان ومن جملة من وقعوا بين ايديهم في الربع الاخير من القرن السادس عشر امير الادب الاسباني ميغيل دي سرفانطيس وبقي في الاسر خمس سنوات

الفصل الرابع

في تعافينا وذهابنا للدراسة في قاعة هنارس

دخلنا دار صون الوصو فالقونا على سرير
بغية كسره لئلا تتبدد عظامنا التي أصابها الجوع
وجاؤوا بكساوة يفتشون عن أعشاب في الوجه كله
اما انا وقد كان تعبي أكثر وجوعي أشد — اذ
كنت على كل حال اعامل كخادم — فقد مضت
برهة غير يسيرة قبل ان يعثروا على عشبي تم
جاؤوا بالطعام فأمروا بان ينظف تنظيفا من رنس
كما تنظف الرواقد (1) التي وراء المذابح والحق
يقال اننا كنا معذبين ولا عذاب الشهداء وأمروا

---

(1) أتى المؤلف هنا تورية في كلمة retablo
التي معناها «راقدة وراء المذبح» ومنها التعبير
retablo de duelos أي راقدة الالام الذي معناه «معذب»

أيضا فإن يعطى مرق الدجاج فإنه من أي يتغير أول لعوق وأول طائر بالسموع التي أوقدتها أمعاؤنا فرحا إذ كل شيء كان عندها جديدا

وأمر الأطباء أن لا يرفع أحد صوته في غرفتنا مدة تسعة أيام لأن معدتنا كانتا حاويتين تسمع في داخلهما صدى كل كلمة بلفظ

فهذه العناية وغيرها بدأنا نسترجع الحياة غير أن فكوكنا لم تكن تقوى على التحرك إذ كانت سوداء تامة فاشير بأن يعدلوها لنا كل يوم بواسطة يد الهاون وبعد أربعة أيام بدأنا نخطو بعض الخطوات ولما نزل كأشباح رجال آخرين ونحولنا وهزالنا كنا كأننا من سلالة سكان الصحارى

وكنا نقضي النهار في رفع تشكراتنا إلى الله الذي فكنا من أسر كاترا القسوم وتوسل إلى المولى عز وجل ألا يسمح بوقوع واحد من النصارى بين يدي الفاسقين وإذا حدث أثناء الأكل أن تذكرنا ما كنا نطعم في دار العلم ازداد جوعنا

ازدىادا دمصاعف معه دهعه ذلك الىوم وكىىرا ما
كىا دعص على صوت الودصو كىف كان ىفىح لىا
المهم حىں ىحلس امام الخوان مع اده لم دعرفه
وط في حىاىه وكىىرا ما ىعهعه حىں ىحىره ىاىه
كان ىدحل صمں الوصىه الالهىه الفاىاىه لا ىمل
الحال والدىوىك وكل ما لا ىرىد اں ىعطىىا اىاه
وكىىحه اںه ىں هدا الجوع ىعىىه اد ىطهر اىه
كان ىعىىر مں الحطاىا لا مىل الحوع فحسب ىل
وىرىىه حسىما ىؤحد مں طعامه

وهكدا انقصت ىلاىه اسهر واحىرا عرم صوں
الودصو على ارسال اىىه الى فلعه هىارىس لىىم
دراسه النحو فسألنى عما ادا كىب ارىد مرافعه
ولم آكں لارعب الا فى الرحىل عں ارص ىىمع
فيها اسم ذلك اللعىں مصطهد الجنىا فعرصت علىه
اں اكوں حادما لاىىه وعىں له احد الخدمه فهرماىا
ىدىر ىؤوں الدار ودعدم له حساىا عما ىىعق مں
المال الدى كان ىرسله لىا ىحوالات على رحل
اسمه حوىان مرلوىا ووصعىا الامىعه فى عحلة

رحل يدعى دييغو موديخي وكانت تتألف من سرير بصفي وسرير آخر من امراس في اسفلها دواليب لتوضع تحت السرير الاخر الذي كان لي والمهرمان المسمى ارانداً ومن خمسة فرش وستة ملاحف وثماني مخدات واربع بسط وصندوق يحتوي على الملابس الداخلية والبسط وبقية قماش الدار. وركبنا نحن في عربة عند الاصيل وقبل الغروب بساعة ووصلنا عند نصف الليل الى خان بيبيروس (2) لا بارحه اللعنة وكان صاحب الفندق طرازاً من الموريسكوس (3) فبالغ بالحفاوة

---

2) خان «بيبيروس» Venta de viveros كان هذا الخان قائماً على الطريق بين مدريد والقلعة فيحل فيه الطلاب في ذهابهم وايابهم وقد اشتهر بما كانوا يقومون به فيه من مداعبات وورد ذكره في عدة مؤلفات هزلية من ذلك العهد

3) الموريسكوس: الاسم الذي اطلق على بقايا المسلمين في الاندلس ثم ظل مستعملاً لمن اعتنق منهم النصرانية

دنا ونما انه كان على انفاق مع رجال العربدة
ـ الذين وصلوا بالامتعة قبلنا اذ كنا نسير على
مهل ـ التصوف بها ونمد يده لمساعدتي على
النزول منها وسألني اذا كنت ذاهبا المدرسة
فاجبته ان نعم، فقادني الى الداخل حيث كان
يقيمان بصحبة بعض الفاسقات وكانهن نصابي، وتناحر
شيخ سخيف يحاول ان يتناسى حاجته الى العشاء
وطالما من ذوي المعاطف المقصرة (1) يتشاكسان
عن شيء تافه، فقال موليّ على صغره وحداثته
عهده في الفندق: يا صاحب الفندق، اعطني مما
عندك لي ولخادمي فأجاب فورا احد الشعراء
انما كلنا خدام لحضرتك ولا بد لنا من القيام
بخدمتك، اي صاحب الفندق، فلكن نسألك ان
هذا السيد سيكرك على كل ما يقوم به فاسرع
ما ادخرته وما كاد ينتهي من هذا الكلام حتى

---

(1) ذوي المعاطف المقصرة كان الطلبة
الفقراء الذين يرافقون طلبة اغنياء كخدم لهم
يستترون عنهم باثوابهم

وصل واحد آخر ونزع المعطف عن صون دنيعو قائلا «فليسمح حضرتك يا سيدي» ووضع المعطف على مصطبة هناك أما أنا فقد استولت على عند رؤيتي كل هذا روح الكبرياء وصرت كأني رب العمدو، وحينذاك قالت احدى الفاجرات «ما أحسن سمته وابنه! ألمدراسه يذهب، او ابن خادمه؟» فاجبت معتقدا بان الامر كما يقولون بابنا انا والاخر خادمنا» فسألوني عن اسمه وما كدت اتلفظ به حتى وصل احد الطالبين منا كما وعانقه معانقة حارة ثم قال «آه يا سيدي ضون دنيعو من كان يقول لي منذ عشر سنين اني سأراك اليوم على هذه الحالة! ربنا اي من مسكين ان حالتي قد تغيرت الى حد انك لم تعد تعرفني» فدهش صون دنيعو ودهشت انا ايضا بحيث اقسمنا فيما بيننا اننا لم نره قط واثناء ذلك كان الطالب الاخر ينفرس في ضون دنيعو ثم قال لصديقه أهذا هو ذلك السيد الذي طالما حدثني عن أمه؟ اجل لقد سنح حسن طالعنا ان نلتقي به ونتعرف عليه على

كبره، صانه الله! ثم أخذ يرسم على صدره اشارة الصليب وبعد هذا كله من لا يصدق انهما رفيقا معا؟ اما صوت دبعو فقد عرض عليه مساعدته وبينما كان يسأله عن اسمه خرج صاحب الفندق وسط السماط واذ شم رائحة الاحتفال قال «دعوا هذا فبعد العشاء تتحدثون اما الآن فقد برد الطعام» ثم وصل احد السفهاء فوضع مقاعد للجميع وكرسيا لصوت دبعو، وجاء الآخر بصحيفة وقال «الطالبان فقط حضرتك الآن واما نحن فسنقوم بخدمتك ريثما تفتشون لنا شيئا مما حضر». فصاح صوت دبعو قائلا «حاشا ان يكون ذلك لأنكم جلساني وخدامي». وأجاب السفهاء — مع ان كلام صوت دبعو لم يكن موجها اليهما — «لا يا سيدي! فيما بعد اذ انما نحن من اعداد كبير شيء». اما انا فحسب رأيي البعض يدعون والآخرين يدعون انفسهم اسودا على العموم وحسب ...
وقوع ما وقع لان الطالبين تناولا السابقة التي كانت قبلا وضعوه لا بأس بها وطلعا الى مولاي

فائلين «ليس من اللائق ان نبقى هانان السيدتان
بلا أكل حتى يوجد سيد من يدرك فالنامر
حضرتك بان دعسيهما لعمه فما كان منه الا ان
دعاهما تأدبا فجلسا امام الخوان وتأهل من اربع
لهم ادبا هما والشالمان على السلطه» فلم يتركوا
منها سوى فتات حسه اردده صوت دنعو وحين
ناوله اياه ذلك الطالب الخسن قال كان احد
احداذك وهو عم والدي اذا رأى حسا اعمى عليه
فرحا أجل اعد ان رجلا كل الرجل وما كاد
يفرغ من كلامه هذا حتى تناول قرصا من الخبز
وتناول رفيقه قرصا آخر حيث ان العاجزيان كانتا
قد ابتلعا رغيفا كاملا غير ان الذي فاق الجميع
أكلا هو الكاهن ولكن بالنظر فقط ثم جلس
السعمهان امام نصف جدي مشوي وشرنجس من
لحم الخنزير وفرخي حمام مطهيين وقالا «ياحضرة
الاب علام انت هناك ؟ اقترب ومد يدك فان
مولاي ضون دنعو يغمرنا جميعا بفضله» وما كادا
يقولان هذا حتى كان الكاهن جالسا معهم

وحين رأى سيدى ان الجميع قد تراكموا عليه بدأ بعضهم ويتقاسموا كل شيء فيما بينهم واعطوا صور دينو بعض العظام والاجنحة اما البقية فقد التهمه الكاهن والاخرون وكان السفهاء يقولون لا نعيش كثيرا ياسيدى فانه مصر، فيجيبهم الطالب الملعون وعلاوه عن ذلك من الواجب ان نعتاد على قاع الاكل للاقامه في القلعه. (آ) وكما انا والخادم الاخر نتضرع الى الله ان يرق قلوبهم فيتركوا لنا شيئا وبعد ان أكلوا كل شيء التفت احد السفهاء وقال وحتى من خاطىء انسا لم نترك شيئا للخدم الوبل لكم يا صاحب الفندق اعطهم ما يتوافر لديك وهات هذا الدينار وقاطعه فجأة سيد مولاي الشريف - اعني الطالب الاخير - قائلا اسمح لي ياحضره الشريف ان اقول لك انك لا تعرف كثيرا من اصول المجامله أتدري لمن تعرف ابن عمي؟ أجل انه اطعم خدمه وحتى خدمنا لو كان لدينا خدم كما أطعمنا نحن فرد

(آ) يعني قلعة هنارس

عليه الاول قائلا «لا تغضب ياصاح؛ فانى لم أكن لاعرفه حق المعرفه» وحين رأيت انا هذا المكر الكبير اغدقت عليه من اللعنات ما كنت أعتقد أنه لا آخر له

ورفع الحوار واشار الجمع على ضون دميعو بالرقاد اما هو فاراد ان يدفع ثمن العشاء لكن المنافس احاطوه بان لديه متسعا من الوقت ليقوم بذلك في اليوم التالي وامضوا شطرا من الوقت في السمر واستفسر ضون دميعو الطالب عن اسمه فاجاب قائلا انه يسمى ضون فلان كورنيل أخزاه الله بنار جحيمه أنى كان هذا الكذوب! ورأى الرجل الشحيح قد رقد فقال «أتريد حضرتك ان تضحك؟» فليعد لعنة على هذا الشيخ الذى لم يأكل سوى اجاصه طول الطريق مع انه وافر الثروة» فقال السمسار نعم ما راى الطالب؟ افعل ما بدا لك فانت في ذلك مصيب» فتقدم الطالب وسحب من تحت رجلى الشيخ النائم خرجا ووجد فاذا فيه صندوق فافاق الجميع كمن يفيق على صوت المقبر

يدعو الحرب ومحوه فاذا هو مملوء من الحلوى فاخرجها الطالب ووضع مكانها أحجارا واعوادا وعبر ذلك مما وقعت يده عليه. ثم نثر فوق ما وضعه ووضع فوق النثار نحو اثني عشرة آجرة قديمة ثم أغلق الصندوق وقال ما هذا بكاف فان معه رفا ثم اخرج الخمر من الشرق وأتى بمحدة من عرسنا وجردها من عشائها وبعد ان صب في قعر الشرق قليلا من الخمر ملأه صوفا ومساه ونده ثم ذهب الجميع ليرقدوا ساعة او نصف ساعة بعد ووضع الطالب كل شيء في الخرج وجعل حجرا كبيرا في قعة الرداء واخيرا مضى ليرقد وحين وافت ساعة الذهاب افاق الجميع سوى الشيخ فقد ظل نائما فنادوه وحين نهض لم يعو على رفع قبع الرداء فامل ما فيه واذا بصاحب الصندوق يصيح به عن قصد بالله ألم تجد أيها الشيخ ما تذهب به سوى هذا الحجر ، ما راى حضراتكم لو انه مضى دون ان اراه وأني لافصل هذا الحجر

على مائة دكه (6) لانه يشفي وجع المعدة وكان الشيخ يقسم ايمانا مغلظة أنه لم يضع هذا الحجر في المعقه

وحسب الفقهان ثمن العشاء فاذا به يبلغ ستين بلونا. أحال ابن جوان دي لغانوس (7) لعجز عن فهم هذا الحساب وكان الطالبان يقولان بما انما سنخدم حضرتك في القاعة فانما مقابل ذلك نعتبر انفسنا براء من النفقة، ثم فطرنا قليلا وتناول الشيخ خرجه وحل رباطه في الطاقة تحت الرداء لئلا يرى ما بخرجه ولا يقاسمه مع أحد وامسك كسرة اخرة مدهونة والقاها في فمه وضغط عليه بضرس ونصف سن كانا باقيين له ولولا السر لاضاعهما فاخذ يمص ويبدي امارات الاستمرار والالم فوصلنا كلنا اليه والكاهن في المقدمة مستعذر اياه عما حصل له وشرع الرحل

---

6) دكه ducado نقد ذهبي اسباني قديم

7 Juan de Leganos (7 يظهر انه شخص خيالي يضرب به العامة المثل في الذكاء.

دسنعيد بادلبس ورمى الخرج فوصل اليه الطالب
قائلا ورائك دا ابلبس، ان الصلب فوقك، وفتح
آخر كتاب صلاه الكاهن وحملوه على الاعتقاد
بان به مسا حتى أمر اخرا بحقيقة ما جرى
وطلب منهم ان يتركوه بمضمض بقليل من
الخمر جاء به في الزق فتركوه واخرج الزق وفتحه
ثم صب في كأس قليلا من الخمر فخرج من الزق
خمر يرى اودن الحى ممزوج بالصوف والمساقه
بحيث لا يمكن ان يشرب ولا ان يصفى وحينئذ
عنر صبر الشيخ لكنه عند ما رأى القهقهات
تتصاعد فصال السكوت وركوب العربه مع الشعبهس
وانما انما الكاهن والطالبان فامتطوا حمارا
وجاسنا حتى في العربه وما كدنا نسرع بالسير
حتى أخذ الجميع يهزؤون بالعلانيه مبينين ان ما
فعلوه بنا انما كان سحره وكان صاحب العندي
يقول باحدث العهد بكفك فادجاب فليله كهذه
لسسب ويردد الكاهن قائلا كاهن انا فيم نعام
لك وداسات بدل هذا ونصح الطالب اللعس

قائلا دا ادس عمى' فى المره القادمه حك حلدك
حس نعص لا دعد دلك، اما نحن فعاضنا عما
كادوا يقولونه والله دعلم كم كان حجلنا كبيرا
ومن هدن ودلك وصلنا المدينه وجالمسا في
احد الفنادق وامضينا النهار كله ـ اذ كنا وقد
وصلنا الساعه التاسعه ـ في غد من المساء الفائت
دون أن دتمكن من تعويم حساب ما ادفق

الفصل الخامس

فى دخولنا قلعة هنارپس ووقع ضربة الصاعقة
وما لحقني من هول الحادثة فى المدرسة

وقبل ان يلقى الليل رداءه غادرنا الفندق
الى الدار التي اكتريناها لنا وكانت واقعة خارج
باب سيساقب (1) مقام الطلاب حيث يسكن الكثير
منهم فى دار واحدة وان لم يكن فى دارنا هذه
سوى ثلاثة طلاب آخرين لا غير وكان صاحبها
من الذين يؤمنون بالله محبته وحسب او مكرا
وحذرا ويقولون هم المعروفون بين العامة باسم
المورسكوس والمنسوبون الى هذا الصنف كثيرون

---

(1) باب سيساقب — كان هذا الباب واقعا
فى شمالي المدينة قرب الكنيسة والشارع الذى
يحمل اليوم هذا الاسم

وكذلك ذوو الانوف الواسعة تشم كل رائحة ما

خلا رائحة شم الحرير (2) اقول هذا مع اعترافي

بالنبل الذي يتصف به كبارهم وانهم يعتدون

وقد استقبلني صاحب الدار بوجه عابس ولا

استقباله الاعرابي الاقدس وليت شعري أكان صنيعه

هذا ليحملنا على احترامه أم من طبيعته إذ ليس

من المستغرب أن يكون رجل مثل من كان ذا

فضل [illegible] فوضعنا أمتعتنا وأعددنا السرير ونمنا

بعد أن ودعنا ذلك الشيخ وحين أصبح الصباح إذا

جميع أهل العشيرة قد أتوا إلى اليوم يطلبون

مولاي ليدفع ضريبة بلده (3) وقال هو يجهل

معنى ذلك [illegible]

[illegible]

[illegible] أجمعين والأعشاب

[illegible] في ذلك العهد

[illegible] من الطلاب الجديدة ضريبة

[illegible] طلابهم

فانسللت انا من ذلك من فراشي اتقاء لما قد يقع
ولم يبق خارجا سوى نصف رأسي كأني سلحفاة
وظلوا دقائق من الملل فاعتلوا ما حاولوا
وحينئذ اخذوا يصيحون باعلى اصواتهم صاحب
[illegible] فانتبه [illegible] الرفيق وانقلب في حصن
[illegible] العمارات الاقدمة [illegible]
[illegible] بالجرس [illegible] وما [illegible]
الحس كالجرس وبعد هذا [illegible] صاحبك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الطلبة [illegible]
وهكذا دخل [illegible] اما انا [illegible] اخرى
[illegible]
[illegible] كانت [illegible]
[illegible] وبدأوا [illegible]
اصحابك [illegible] الامر [illegible] كان [illegible]
في [illegible] لم [illegible]
او سبعة وبدأوا يضحكون فاحمرت وجنتاي! — لا

سمح الله بذلك فما بعدا — اذ مسك في الخمس
واحد منهم كان الى جانبي انفه بيده وابعد عني
واثلا من رائحة هذا الغاز يرى انه يحتاج الى
الى من يعصمه من الموت (1) فابعد الجميع اذاك
عني وسدوا انوفهم فظننت حينئذ انني ساحو
فسددت انفا انفي بيدي وقلت ان حضرات
لعلي حول احال ان رائحته لبده فضحكوا كثيرا
مما قلته وكانوا قد نفوا حين ابعدوا ما يقارب
المائة وابدأوا حينئذ ينتزعون ما في افواههم
وحناجرهم ويخرجون من خلال السعال والابصاق بعج
ويعلو ان نبات كسره دهنا العلك شيء وانما
هذا بعدد طاب مستاوي (2) مركوم ورماني بقطعة
كبيرة وقال منها فالك بن اصبع اما انا فرأيت
نفسي اذاك في مأزق حرج وقلت والله انني
[illegible] ولكن عينا من المضاف الغليظ سقط على
بيدي فجال [illegible] ونس [illegible] الحالة التي بدأتها

---

(1) يريد بذلك انه ليس كالناس الماي
(2) اي اجابه من مقاطعه المسا

وكان وجهي معطى بالمعطف وكنت في حالة من
النعاس بحيث كان الجميع يسددون سهام دعاباتهم
نحوي والله كم كانوا يصيبون المرمى وهكذا
أصبحت كالمطمور بالملح من أم رأسه إلى أخمص
قدميه لكن أحد الماكرين حين رأى ملمسا ورأى
وجهي أنه يصب بسبب البرد نحوي قائلا بعصبية
كيف تدعي؟ لا يعلمون وبما أني كذلك لا أعتقد
من تصرفاتهم هذه بديهة فأنا لا مجال له كشفت
عن وجهي لا طائل خير وإذا بذات الذي كان
يصيح يرميني به سرعة في فتأمل مليا عيني في هذه
الحالة ثم أحدث تلك الجماعة الخمسة يصيح مزاحا
على عاتي وقد استحدث ما ردوه علي من معاطفهم
أنهم ينتظرون قدوم طلاب جدد ليتسببوا بوقت
لأجرة الأطباء وثمن الأدوية وبعد هذا كله
أرادوا صفعي على قفاي لكنهم لم يجدوا مجالا
لوضع يدهم علي دون أن يدهنوا بعض الزيت
الذي على معطفي الأسود الذي أنظف بسبب
ذنوبي وآثامي فتركوني وشأني وبعد [illegible]

المسيح مكللا بالمعاق فسرت الى داري وما اصبحت في دخولها الا بعد جهد النفس ومن حسن طالعي ان الوقت كان صباحا اذ لم اصطدم الا باثنين او ثلاثة من العمال الطيبـي القلب دون شك لانهم اقتصروا على الهزء بي ثم مضـوا في حـال سبيلهم فدخلت الدار وحين رآني الموريسكو اخذ يضحك وبادر بحركات كمن يحاول التصفيق على مخرج من ان يفعله وقلت له: بالله عليك باصاح! لست انا بالمسيح المجلود (6)» ولما لبسني لم افه بها لانه يخشى برطلس من الضربات على كتفي

---

6) Ecce-humo «هذا هو الرجـل» هذه هـي العبارة التي لفظها بيلاطوس البنطي امام اليهـود بعد جلد المسيح ويطلق الان هـذا الاسم عـلى صوره المسيح مجلودا وكذلك من نوع المحار على شكل النفس الوجه وقد اخطأ المؤلف هنا استعمال هذا التعبير لان صاحبه اعتدو من اصل مسلـم لا يهودي فلو كان يهوديا لكان ممن ساء هـذه الكلمة ان تمس عصبه

بالعمارات التي كانت بين يديه . وبعد ان اسلمت
هذا الخوان صعدت الى الطابق الاعلى منه لنستريح
ووقفت برهة طويلة في البحث عن نقطة امسك
بها الجثة والمعطف واخيرا نزعته عني ووضعته على
السطح وارتميت على الفراش وبعدئذ جاء سيدي
وظن انه وجدني نائما وكان يجهل الحادثة الكريهة
التي اصابتني فقد غضب واخذ يعنفني بسرعة الى
حد انه لو زاد على ذلك فلربما لانقطعت اضلع
فقمت معتذرا مسكينا فانتهرني سيدي وقد اخذت قبضته
قائلا اهكذا تخدمني يا بالمؤس؟ ام انها خيانة
اخرى؟ اما انا فحين سمعت قوله خيانة اخرى
تلمست انه الموت فقلت اجل ان حضرتك ستجعلني
في عماي انظر الى تلك الجثة وذلك المعطف المدمى
واما مقام [illegible] لكثر [illegible] [illegible]
الاسبوع المقدس وما كدت اردد [illegible]
حتى اخذ الدمع ينحدر من [illegible]
بحسبي [illegible] فوالى وبحث عن الجثة [illegible]
[illegible] لي وقال اوضح عملك يا [illegible] فان الامر

هنا اسديد ولس لك من سهر عليك سوى نفسك،
واحرديه بكل ما وقع لي فامرني بنزع ثيابي وبحملي
الى مرقدي حيث كان يرقد اربعة خدام احرين
امر لاء للدار وهنالك نمت وعند الليل بعد ان
تناولت غداء وعشاء طيبين وبفضل ما ثمة بتعرف
نفسي فوبا كما لو انه لم يقع لي شيء البتة
ولكن حين بدأ التكمات بالسقوط على المرء يظهر
انها لا نهاية لها فسير مسلسلة يجر بعضها البعض
فقد افيق بعد الخدم يرقدوا وبعد ان حدثني
ب او ني عن سبب ملازمتي الفراش وعما اذا
كنت مريضا فقصصت عليهم قصتي فأخذوا
يرسمون على وجوههم اشارة الصليب، كان يقولهم
لا يصير اي شيء فاتلس ان سبعة كهذه لا يقع
حتى بين اللوتريين (7) ايعقلها؟ آه كم من الشر
في الناس! ويقول الآخر بان عميد المدرسة هو
المسؤول لانه لا يمنع جدا لهذه الامور، ايعرف الذين
فعلوا هذه الفعلة؟ فاجبته ان لا وشكرتهم على

---

(7) اتباع لوثر مؤسس البدعة البروتستانتية

المعروف الذي كان يلوح انهم سيقومون به
بحوي. وخلال هذه المسامرة فرغوا من نزع ابوابه
ورقدوا بعد ان اطفأوا الضوء فرقدت انا بدوري
وقد خيل لي انني بين والدي واخوتي

وحوالي الساعة الثانية عشرة اذا باحدهم
يصيح بصاحبه قائلا: آه انهم يطلبونني! اللصوص!
اللصوص! وكان يدوي على سريره اصوات ووقع
مفزع فرفعت راسي وقلت: ما هذا؟ وما كدت
انكشف حتى كانت فرقعة قاطعة ذات حدين تهال
على ظهري فمددت اسكني وحاولت النهوض وكان
الآخر يمسكني ايضا انما المشارع تهال على وجهي فدأبت
اصيح قائلا: يا عدل الله! لكن المشارع كانت تهال
على بسرعة الى حد انه لم يبق لي من قوة. ولما ان
كنت رميت باللحف الى اسفل سوى الاخذ تحت
السرير وهناك اغمي علي. وفي الحال خمد الاثنان
الآخرون لئن كانوا نائمين يصحون اصواتهم
ان المشارع لم تزل تدوي ضمن ان واحد
فرشنا عند تصرنا جميعا واذا هذه البعض بات

الذى كان يحاذي الى سريري ودرر فوق العراش
ثم غطى البرار وبعد ان عاد الى سريره انقطع
دوى المقارع وقام الاربعه صائحين وقائلين انهما
لخدعه كبرة ونحب ان لا نمضى هكذا اما انا
فكنت لم ازل تحت السرير استكي ككلب سد
الباب على ذيله منكمشا كالسلوقى الاسنج فطاهر
الاخرون بانهم يغلقون الباب وحينئذ خرجت من
حيث كنت وصعدت الى سريرى مستفسرا النافس
عما اذا كانوا قد اصبحوا نادى فاذا بالجميع يشكون
كمن اشرف على الموت
فقمت وتعطيت ورودت بانه وبما انى
كنت اغدت في الفراش وانا نائم فقد وجدت
نفسى حتى اسقف وسخا من قدمي حتى وسط
جسمي ونهض الجمع ونمت انا دائما معتذرا عن
الملاس بالمقارع التى تلقها ليلا وما كنت لاتحرك
من الجانب الذى ارقد عليه وكان الحجل مسولا
على نسما كنت افكر فيما اذا كنت بادرى قد
اذنت بتلك الفعله الشنيعة من جراء الخوف وسط

ذلك الاضطراب دون ان اشعر بالامر ام حدث

كنت نائما وملخص القول اني كنت نرينا منهما

دون ان اعرف كيف ادفع التهمة عن نفسي

ووصل الرفاق الى سكن مداخرن اسألوني عن

حالي واحسهم انها سيئة للغاية لاني تلعثمت مقارع

كسره وسألهم عما يمكن ان يكون ذلك فقالوا:

لعمري انه لن نعلم من الدنيا لان الساحر

يعلمنا به واكتب لندع هذا ونرى هل اصبت

بجراح ذلك كسر السكوني وما كادوا يقولون

هذا حتى تقدموا لرفع اللحاف رغمه في فصحي واثناء

هذا دخل سيدي قائلا امن الممكن يا نابلوس ان

اعجز عن حملك على اكتافي؟ انها الساعة الثامنة

وانت لم تزل في الفراش فما فتح الله وجهك، فقص

عليه القصة بكاملها مدافعه عني وطلبوا منه

ان يتركني انام وكان احدهم يقول واذا

كنت حرك لا تصدقه فانعم ومسك باللحاف

لترفعه لكي كنت عاصيا عليه نسيان لئلا يروا

الدرار وحين رأوا ان لا يجعله من ابتهاج ذلك

السبل صاح احدهم قائلا بالله بالها من رائحه
كريهه ورد ضوء دعو الكلام نفسه لان ذلك
كان حقا ثم اخذ الجمع يفسون لعل في الغرفة
سوه ويقولون انه لا يمكن الا هنالك وقال
احدهم ان هذا لحسن جدا بئس اراك البدرس
وفتسوا الاسرة ورفعوا الفرش ابروا نجحتا ثم
قالوا هل ملك ان تحب سرير بالناموس سيئا ما
فلنعطه الى احد اسرتنا ولنعتبر نجده اما انا وقد
شاهدت ان الصفقه خاسره وانهم لا محاله يكتشفون
امري فتظاهرت بالصرع وقبضت على عقد ان السرير
مقلبا وجهي وحيث كانوا واقفين على الحفرة
بالعوا في ندكاسي قائلين يا المسكين فامسكني
ضوء دعو باصبعي الوسطى واخرا يمكن الحسه
معا من رفعي وحين رفعوا الملحفه كادت الدار
تميد من قهقهاتهم اذ وقعت ابصارهم على شيء
جديد لم يكن فرحا فحسب بل حمامه كسيره (8)

---

8) Palomin فرخ حمام وبطاوق محارا علي
لطحه من المرار في اسفل البطن وبهذا المعنى

وكان الذاكرون يتظاهرون بالأسف على فاطين
بأنه مسكين. أما أنا فتظاهرت بالإغماء فأشاروا
على مولاي بأن يكثر من حك أصبعي الوسطى
ومن كثرة ما حك معتقدا أنه يعفيني بذلك
فلك في تلك الإصبع وحاول البعض أن يسلوني بعض
المقارع على وجدي ويقولون لا شك أن المسكين
قد بين الآن حين أصابه الصرع والله تعالى يعفو
كان يحول أذاك في عيشي مما جعلني من ضجر
ومن فك أصبعي ورقتي ذاتي عملي وشك أن
أضرب بالنبوت واحدا طالبا بالعودة إلى داري
خوفا من أن أضرب إذ كانت الأمراس قد وقعت
فوق وجدي ولما أنهم كانوا يصرفون عن حمق
فأثرتهم عن التراخي في التظاهر بالعودة إلى داري
تركوا بي في كل وجه علامة قدر أصبعين ثم
تركوني قائلين بالله يا لك من هزيل وكنت
أبكي عصا فيقولون معتذرين لا داعي للبكاء

استعملها المؤلف وقابلها بكلمة حمامة Paloma دلالة
على كثرة التلطخات وأثرها

لان ما دفعله انما هو من اجل صحتك لا عقوبه
على شررك ثم وضعوني في السرير بعد ان غسلوني
وذهبوا

وحين خلوت بنفسي ما برحت أفكر في
كيف ان ما وقع لي في الغابه خلال يوم واحد
يربو على كل ما وقع لي منذ كنت صغيرا وعند الظهر
ارتديت ملابسي وذهبت لتناول غدائي على
عتبتها كما فعلت اخرى ... حيث كان الذي
ما كان قبل حتى استمتعت من حالي واكل
جميع من في الدار وكانت ما ... وان دكر
بلا ... ثم احسست السعادة في ارواق ووجدت ان
يحكم الخبز ... حدا من الخيبه
التي ... في ... وتحلق الجنين ... اذا
حجلا ... في نفسي حدا ... بالمدرسه
وعرفت ان على انتهاج حياه جديده وصداقه
بصاحبتي وعشت كل من كنا يسكن تلك الدار
كالاخوه ولم يزعجني احد بعد ذلك اليوم لا في
المدرسه ولا في صحون الدار

الفصل السادس

فى فظائع الوصايه وما ادت اليه من نتائجه

يقول الملك السابق وهو فى المنفى مصيبت

«افعل حسبما ترى ونسده ما تاملت فى هذا الشأن عزمت على ان اكون ماكرا مع الماكرين وان اكون امكرهم اذا امكن الامر ولا ادرى اذا كنت حققت بغيتى لكنى اؤكد لحضرتك انى بذلت جهدى فى ذلك

واول ما فعلته انى حكمت بالاعدام على كل الخنازير التى تدخل دارنا وعلى جميع دون ربه الدار التى تجار من حوشها الى عرشى. فحدث ذات يوم ان دخل خنزيران من اراضى ما ساعدت فى حادثى وكنت اذاك مع عمه الجديد ويتبعهما خنزيران فطلبت لاحدهم امض وانظر من يتحرش فى دارنا، فعاد قائلا انهما خنوصان فلما سمعت هذا

حتى استولى على الغضب وبادرت اليهما قائلا ان اجيء لدار العمر لمسهي المكر والفجه واعقبت كلامي بطعنة خنجر في صدر كل منهما بحيث اوصلته الماء ثم احبرتا عليهما فعوا ولئلا تسمع الضجة التي كانا يحدثانها جعلتنا ترفع اصواتنا بالصياح كما لو كنا نغني وهكذا قضينا عليهما دون انذار ثم اخرجنا الكرسي وحملنا الدم وسطنا اغمتنا فيها فوق شيء من الغش في الحظيرة بحيث انه حين قال اسيادنا كان كل شيء منهما وان لم يكن على غاية ما يرام ما عدا الكرسين فاننا لم نفرغ من جوانبهما قصدا وما ذلك لعدم الاسراع انما والحق يقال قد تركنا فيهما دفعا للتاجر بعض ما كان في داخلهما

ثم اطلع صوت دنغو والقهرمان على الامر وحلفا على خفقا شديدا اخبر بعده الفارسين في الدار الذين كادوا لا يتمالكون من الضحك ان يقصدوا الدفاع عني وكان صوت دنغو يتأنى عما افواه فيما اذا اعيب وقبض علي بيد العدالة فاجبه

فاني استنجد بالجوع الذي هو حرم الطلاب وان
لم يحدثني ذلك بمعنا افل. ثما انهما دخلا الدار
دون ان يقرعا الباب كمن يدخل داره طيب انهما
انا فضحك الجميع من الاعتذار وقال صوت ديبعو
بالله عليك بابانلوس! كيف انك تحسن المخلوف
ينوب من حولك فقد كان مما يستلفت النظر
مشاهدة مولاي على عادة ما من الهدوء والتدمس
ومشاهدتي انا على عادة من الشطارة اذ كنا على
طرفي نقيض احدنا بالغ في الفضيلة والآخر في
الرذيلة

اما الوصيفة فكانت لانسمالك من الفرح لاني
كنت واياها يدا واحدة فائتمرنا بنيت المؤونة وكنت
انا وكيل الخرج بهودا (1) ومنذئذ وردت في هذه
المهنة شغفا بالسلب مما اسرته فاللحم لم يكن
يقع بين يدي الوصيفة المرتبت الثاني لانه كان
يسير دائما من اكثر الى اقل ومتى امكنها ان

---

(1) اشارة الى يهودا الاسخريوطي الذي باع
السيد المسيح

دسنندل داصاں لحم ماعر او دعجه لم دحجم عں
دلك واذا وصعت ى الرو عظاما لم ـدحله سى
من الهمر وهكذا كانت دعد قدرا من الطعام كانها
مسئوله من سدة الهرال ومروه او جمدت لامكں
ان دصنع منها سموط من حرر وتمسرا للعمدىں
كانت دصف الى العدر لسسها دعض اطراف
من محم الغىم وكانت عول لمولاى
محصرى الحق دعال ادـه لا مىل لساملوس في
الخدمه لو لم ىكں ساطرا فلنحىعط ىه حصرتك
اذ ىمكں عص الطرف عں ىطاره معادل امانته
فانه داى ـحمر ما في السوق فاىسي على دلك
مىلما قال عىى وهكذا كانت الدار واقعة ى
احاىں حدىعىىا فاذا اسرىا رىما او صادوىا او
سحم حىرىر دالجمله حىأىا الىصف وحىں ىطهر لىا
الامر مماسىا ىعول ادا او الوصعه رويدا رويدا
ى اىعمه وولحق ان واطسم على الاسراف فىان
حرىه الملك لا دكعىكم وها قد ىعد الصادوں او
الردىں احال لعد ىفد سرىعا ولكں فلىامر حصرىك

بشراء كميه جديدة وانا الكفيلة بانها ستدوم اكثر
بكثير من السابقة؛ اعطوا مالا لبالدوس، فيعطوني
المال وسع حينئذ النصف الذي كان مخبئا ونصف
ما يسرقه. وهكذا في كل شيء. واذا حصل اني
اشتريت مرة شيئا من السوق بنية الخفية وكنا
نتنازع عن قصد انا والوصيفة فتقول هي غاضبة
لا تقل لي يا بالدوس ان هذه السلطة تساوي
قرشين، فأبكي واصيح واذهب الى مولاي
لاقدم له شكواي ملحا عليه في ان يرسل القهرمان
الى السوق ليتأكد من الامر كي تسكت الوصيفة
التي كانت تصر على رأيها عن عمد فيذهب
القهرمان ويسأل عن الثمن ويعرفه ويجد بعدئذ
ان اشتراكه رب البيت والقهرمان اللذين كانا
يشهدان على تصرفاتي من جهة وعلى غدر الوصيفة
من جهة اخرى فيقول لها صوت ينعو معنفا
يا لو ان بالدوس يجري في ميدان الفضيلة كما
يجري في ميدان الامانة! هذا هو الاخلاص بعينه
فما تقولين فيه؟

وهكذا ظللنا نمضيها كالعلق وأنى أراهن
على أن فراشك لم يبعد من عظيم ما لعبت في
آخر أيامه كأنه المال فهو دلالتايه كان كبيرا
أكدت لم يكن به موجب الارتياح إلا الوحدة كانت
تعترف وتتناول كل ستة أيام ومع هذا لم أر منها
قط رغبة في ارتياح شيء ولا توبة على ما تفعله بالرغم
عن قداستها كما أخبرت إذ كانت تحمل في عنقها
سبحة في منتهى الكبر تحسب أن حمل حزمة
من الحطب كان أرخص من حملها وكانت تتدلى
منها زمر من الصور والصلبان والخرزات الكثيرة
وتقول إنها تصلي جميعها من أجل المحسنين إليها
وبعد ثمانية وماية قديس شفعاء لها وفي الحقيقة
كانت بحاجة إلى كل هذه المساعدات لتعوض عما
ترتكبه من الخطايا وكانت تردد في غرفة فوق
غرفة سيدي وتردد من الصلوات أكثر مما تردده
الأعمى فتبدأ بصلاة القاضي العادل وتنتهي
بعلمك السلام أيتها الملكة وتردد هذه الصلوات
باللغة اللاتينية عن قصد متظاهرة بالبراءة مما

حملنا جميعا على ان نستلقي على ظهورنا من
شدة الضحك وكانت بارعة في امور اخرى:
فستهوى الارادات ونستميل الاذواق وذلك بوارى
ن يقال عنها انها فوادة لكنها كانت تعتذر
امامي قائلة ان هذا الفن جاءها عن سبيل الوراثة
كما تلقى ملك فرنسا نعمة شفاء داء الخنازير (2)
وقد ظن حضرتك اننا كنا دائما على اتفاق
تام ولكن من يجهل انه اذا كان صديقان حميمان
يعيشان معا لا بد ان يحاول كل منهما غلب الاخر؟
يحدث ان الوصيفة كانت تربي دجاجا في حوش
الدار وكانت لي رغبة كبيرة في اكل واحدة
منها وكان عندها نحو اثني عشر او ثلاثة عشر
ديكا كبيرا وذات يوم بينما كانت تطعمها اخذت
تناديها مرارا تيو تيو (3) فما كدت اسمعها

---

(2) كان من جملة الاساطير الرائجة اذ ذاك
ان ملوك فرنسا يتمتعون بنعمة شفاء داء غدد
العنق المسماة بالخنازير
(3) لفظة تستعمل لنداء الدجاج و ...

بادي بهذه الكلمات حتى احدث اصبح قائلا بالله
'دعها الوصيفه' يا ليتك قتلت شخصا او سرقت
خزانه الملك ـ وكلاهما مما اقدر على السكوت
عنه ـ ولا فعلت ما فعلته وهو مما لا يجوز لي
ان اسكت عنه؟ يا لتعسي وتعسك'، وحنت رأسي
بشدة واستبدت اضطربت بعض الشيء وقالت ..
فعلت يا بالوس؟ ان كنت تسخر بي فبالله تعالى
لا تزد تعسي

ـ كيف اسخر؟ في هذا الامر؟ اذ لا يمكنني
الا ان اعاقب بالعصبة بمحكمة التفتيش والا حرمت

فصاحت قائلة: بمحكمة التفتيش؟ وجعلت
ترتجف واضاعت قواها فهل خانت الايمان نسيتي؟
فقلت: هذا سر ما في القصة اذا؟ ولكن بقصة
التفتيش بل اعترفي بملاهيك وقولي انك ترجعين
عما فهت به ولكن لا تنكري النعمة والقصة
ومن شدة خوفها قالت لي: واذا رجعت يا بالوس
عما قلته اتعفو عني؟ قلت "لا" وانما يصفحون
بذلك فقالت: اني ارجع عما قلته ولكن قل لي

انت الآن عن أي شيء لاهٍ ورحمة مولاي لا
أعرف أني قلت شيئاً. قلت: أمن الممكن ألا
تشعري بأي شيء؟ فوالله لا أدري كيف أقوله لك
لأن المعصية جسيمة إلى حد أنها تملأ قلبي حتماً
ألا تذكرين أنك بادئت الأفراح بقولك ثوب ثوب
مع أن ثوب اسم المساواة بحسب الله وقوة ا
الكنيسة؟ وأين الآن هذه المعصية؟

وجدت كأنني [illegible] قال [illegible] الحل [illegible]
[illegible] الكنيسة [illegible]
كانت تلك الكلمات قد صدرت عن [illegible]
[illegible] أني أرجع عنها وبالله عليك هلا تجدين [illegible]
طريق يعيدك إلى السعادة [illegible] أن [illegible]
أمام محكمة العرس من هاهنا قلت [illegible] أقسم
أمام مذبح مقدس أنك لم تقصدي مطلقاً جوهر
لفظ تلك الكلمات فإنه يمكنني إذاك أن أحلك
من الشكاية ولكنه من اللازم أن تعطيني هاتين
الدينين اللذين كلا حين بدئهما باسم الأجسام
المقدس لأذهب بهما إلى أحد ضباط محكمة المدنية

فحرفهما لانهما اصبحا محكومين بالهلاك وبعد
ثلاثة علمك ان تسعى ان لا تعوقني قط اثناء ارتكاب
هذه المعصية.

فقالت وقد تمالكها الفرح لكنهما الان يا
بانلوس وعدا اقسم اليمين. فقلت لأزيدها اطمئنانا
الى شر ما في الامر يا سيدتنا - حسب كان هذا
اسمها - اني اعرض نفسي للخطر اذ سيقول لي
ضابط محكمة التفتيش اني انا المخطئ وقد يلحقني
منه جور بسبب ذلك فادهش فهمنا اني لاني
وحقي خائف على نفسي وحين سمعت مني هذا
الجواب قالت «بالله عليك يابانلوس» هلا اشفقت
علي ودهشت بهما اذ لن يصيبك اذى ضرر.
فتركتها تكثر لي من التوسل واخيرا - وهذا ما
كنت اريده - ضممت اليه وحملت الديكين
واخفيتهما في غرفتي ثم تظاهرت بالخروج وبعد
ذلك عدت قائلا لقد تم كل شيء على احسن مما
كنت اعتقد. فالضابط كان يريد ان يسعى لشرى
المرأة لكي يخدعه خدعة وافعه. فاحدث بصمتي

الى صدرها مكسره من معانقتي واعطتني ديكا آخر فذهبت به الى حيث تركت رفيقه ثم حملت السلة الى صانع العجلات فطبخها لنا واكلتها مع بقية الخدم وبلغ خبر الجناية مسامع الوصيفة وصوت دعوة وقالت لها جميع من في الدار تهليلا كبيرا واخذ الحزن من الوصيفة كل مأخذ فكادت ان يغمى عليها ومن شدة حنقها كانت تمر امامي في الممر على قاب قوسين ولو لم تكن مجبرة هي ايضا على السكوت لافشت بالامر

* * *

حين رأيت العلاقات قد ساءت بيني وبين الوصيفة بحثت عن وسائل جديدة للانبساط فوقعت على ما كان الطلاب يسمونه غزوا او احتلالا وفي هذا المضمار وقعت لي امور مضحكة

ففي احدى الليالي بينما كنت سائرا حوالي الساعة التاسعة ـ وفي تلك الساعة يقل التجول ـ في الشارع الاكبر اذا بي اشاهد دكانا لبيع الحلوى وفي داخله مجموعة من الريش فوق منضدة فاسرعت في السير وتقدمت وامسكته بيد عدوت

فعدا ورائي بائع الحلوى وبعض الخدام والجيران،
وبما اني كنت احمل القفة بقيت انهم سيلحقون
بي زعما عن اني كنت اتقدمهم اذاك فحين درت
حول احدى الزوايا جلست فوقها ولففت رجلي
بالمعطف سريعا واحدث اقول ورجلي في يدي
«آه غفر الله له. لقد داسني» فسمعوا مني هذا
القول، وحين وصلوا الي احدث اقول «استحلفكم
بهذه السيدة الرفيعة، واصف انها العبارات المألوفة
الآنية (في ساعة نحس وسبب هواء فاسد (1)، اما
هم فاهتاجوا يزعقون وقالوا لي «هل مر من
هنا رجل ما ايها الاخ؟» فقلت «نعم لقد تقدمكم
وقد داسني هنا حين مر والحمد لله

فما كادوا يسمعون جوابي حتى استأنفوا
العدو وابتعدوا وبقيت وحدي فحملت القفة الى

---

(1) هذه عبارات كان المتسولون يرددونها
في ذلك العهد وفحواها انهم اصيبوا بما اصيبوا
به من الكوارث في ساعة نحس وبسبب هواء
فاسد

الدار وفحصت اللعبة التي اعجبها ولم يترددوا
بتصديقي مما حملني على دعوتهم الى الليلة التالية
ليروا اسلوب الصناديق، فجاؤوا وحين اخبروا
ان الصناديق داخل الحانوت واني لا اقوى على
احدها بيدي اعتبروا استيلائي عليها من رادع
المستحيلات وخصوصا ان بائع الحلوى — بعد ان
جرى امس ما جرى لصاحب الترب — كان يعتقد
فجئت وحين اصبحت على اثنتي عشرة خطوة من
الدكان فتحت السقف الذي كان عبارة عن خشبة
سقف ومسكت في رأس ولا يشعر به وخرجت اعدو
فدخلت الدكان قائلا نعم وهربت السقف اما
بائع الحلوى فارتمى طالما تعرف مما كسب
ما عرف الى شيء حتى الصناديق فاخبره وقوا بطه
جيرانه وذهبت به ففحصوا كثيرا حتى ساعدنا
الليلة وقعدوا طويلا من ان بائع الحلوى كان
يصيب ان يحصوه قائلا انه يرى سلك وقد خرج
وان فاعل هذه الفعلة رجل وقع له معه خصام من
قبل لكنه خير الغيب — وكانت الصناديق التي

حول الصندوق الذى دهبت نه قد نعثرت حتى اخرجته ـ ادركت الحمله فاحد درسم اشاره الصليب وتكرر رسمها مرارا ومرارا واعترف اني لم اتند قط بسيء كهذا وكان الرفاق يقولون اني اقدر وحدى على تسور البيت من حتى عزواتي وهذا في لغة الشطار (6) مرادف للسرقه

وحيث كنت فتيا ورأيتهم يثنون على مهارتي في النجاه من هذه المكايد دفعني دلك على مواصلتها ففي كل يوم كنت ازداد وحول اري بعض حرار اسلحتها من الراهبات طالما منين ان يسعفنني وقد حملهن ذلك على ان لا يعطين شيئا دون ضمانه سابقه ووجدت صوت شبعو وجميع الرفاق بان اسلب الحراس اللملبين انفسهم سيوفهم ذات ليلة فعبثت الليله ودهبنا معا وانا في الطليعه

وحين لمحنا عن بعد رئيس الشرطه اسرعت

---

(6) كان الشطار يضعون اسماء خاصه لجميع الاشياء مختلفه عن اسمائها المعروفه فتألفت لديهم لغه خاصه يتفاهمون ويتعارفون بها

اليه مضطربا بصحبة واحد من خدام الدار وصحت قائلا «ارجال العدالة؟» فاجابوا بقولهم «نعم» قلت. اهو صاحب الشرطة؟، قالوا «نعم» فركعت على ركبتي وقلت «يامولاي؛ دعني نديك دوائي وانتقامي وخير كبير للرعية. واذا كنت راغبا في القبض على مجرم كبير فاسمح لي بان اسمعك كلمتين على حدة» فمال الى ناحية بينما كان الجلاوزة يجردون سيوفهم والمأموربون يشعون ايديهم على العصي وقلت له «يا سيدي، لقد جئت من اشبيلية متعقبا ستة رجال من كبار المجرمين كلهم لصوص وقتلة وبينهم واحد قتل امي واخي ليسرقهما وهذه الجريمة ثابتة عليه، وهؤلاء اللصوص قدموا مرافقين حسبما سمعته يقول: جاسوسة فرنسية، ومما سمعته منهم يلوح لي انها جاءت – وهنا خفضت صوتي – من جانب انطونيو بيريز (6) فبعد ما سمع صاحب

---

6) كان هذا كاتم اسرار الملك فيلب الثاني ثم غضب عليه فالتجأ الى فرنسا سنة 1593 وفيها توفي سنة 1611

السرطه اسم انطونيو سربث فمر قفرة في الهـواء
وقال «واين هم الان؟» قلت «في الفندق واني
ارجو حضرتك ان لا تتأخر» وارواح امي واخوتي
ستكافئك بصلواتها» والملك سيكافئك ايضا فـال
الى الامام ولا نتاخر» اسمعوني كلكم! اعطوني ترسا
قلت بعد ان ملت به ناحيه من حديد «باسيدي
ان عملت هذا فانت هالك لامحاله» وانما المناسب
هو ان ندخل الجميع واحدا واحدا فلا سوف لان
اللصوص في الغرف ومعهم مسدسات صغيرة» فاذا
رأوا اناسا يدخلون حاملين سيوفا» وهم يعرفون
انه لا يحملها سوى رجال البندالة اطلقوا مسدساتهم
فالاوفق حمل الخناجر ومبادرتهم من الوراء والقاء
القبض عليهم لانا كثيرون فاطلت الحيله على
صاحب السرطه بسبب طمعه في القاء القبض عليهم
واثناء هذا بلغنا الى مقربة من الفندق فنهض
صاحب السرطه فامر بنزع السيوف واخفائها تحت
الاعشاب في حقل يكاد يكون محاذيا للدار فوضعوها
وساروا في طريقهم وكنت انا قد اسرت على

الخادم الذي رافقني بان نسولى على السوف حالا
حين يتركونها ويذهب بها الى الدار. ففعل حسبما
اشرت عليه وحين دخل الجميع الفندق نمت في
المؤخرة وبما انهم دخلوا ممرحين باناس آخرين
كانوا داخلين ايضا تسللت الى زاويه الشارع
واختبأت منها في زقاق يفضي بالقرب من
البطوريا عادتنا كالعزال

اما هم فدخلوا وبنا يجدوا احدا لم يكن
هنالك سوى طلاب وشطار ـ وكلاهما واحد ـ
اخذوا يبحثون عني ولم يعثروا علي فداخلهم
الريب من امري وذهبوا الى حيث تركوا سيوفهم
ولم يجدوها ومن ذا الذي يعض ما قام به صاحب
الشرطة تلك الليلة من المراجعات لدى العمدة؟
فقد دخلا جميع المنازل وكشفا عن الاسرة وبلغا
دارنا اما انا فلكي لا يعرفوني كنت مرتميا على
السرير وقد لففت منديلا حول رأسي وحملت
شمعه باحدى يدي وصليبا بالاخرى ووقف الى
جانبي احد الرفاق مرتديا زي كاهن يساعدني

لاتقبل الموت سيما كان الاخرون يصلون مرددين الطلبات فوصل العمدة وصاحب الشرطة وما ان رأوا ذلك المشهد حتى غادروا الغرفة دون ان خطر ببالهم انه من الممكن ان تكون اساحة الحراس فيها. ولم يعيبوا الشيء وانما اقتصر العمدة على تقديمه صلاة قصيرة من التي تقدم عن الموتى لراحة نفسي، وسأل الحاضرين عما اذا كنت قد استطعت عن التكلم فأجابوه بالايجاب، وخرجا ساخطين غيظا لعدم وقوعهما على اي اثر والعمدة يقسم ان تسليم المذنب متى عثر عليه الى يد العدالة، وصاحب الشرطة يعاظ الايمان بانه سيعلقه على اعواد المشنقة ولو كان من ابناء الاشراف

وبعد ذلك فمت من الفراش وما زال الناس في البلدة يتذكرون هذه الحيلة حتى اليوم (7)

ولئلا اطيل الكلام اضرب صفحا عن وصف

---

7) يقول مؤلفو «محكمة الانتقام العادل» (ص 62) من المحتمل ان تكون هذه الحادثة قد جرت حقيقة وان يكون كيبدو نفسه بطلها.

كيف اني احدث سوق البلدة جملا فكنت اعدي مدخنة الدار طيلة السنة من صناديق الجزارين والباعة ومناضد البقالات ـ اذ لم انس قط ما اصبت به من اهانة يوم انتخبت تلك الدبوك،(8)ـ كما اني اتجاوز عن الضريبة التي كنت اتقاضاها من مزارع الفول والكروم والبساتين المجاورة فبهذه الامور وغيرها احد نحسي يعلو نجوم النعمة في سماء السيطرة والجاه وكان الاستاذ نحموذي ونيستوفي وفاما يتركوني في خدمة صون شيعو الذي لم احد قط عن احترامه لما كان يكنه لي من الحب الشديد

---

8) انظر الفصل الماضي

الفصل السابع

في رحلة صوث دنعو واستحضاري لوفاة والدي
وما عزمت عليه في شؤوني للمستقبل

وفي هذه المدة بلغني صوث دنعو من والده رسالة طيبها رسالة اخرى بعث بها الى احد اقاربي واسمه الونصو رامملون وهو رجل متصف بكل فضل ومعروف في سوسه بعلاقته بالعدالة اذ ان جميع الاحكام التي نفذت هنالك منذ اربع سنوات كان هو منفذها اجل لقد كان جلادا ولكنه كان سرا في هذه المهنة وان رؤيته وهو يقوم بها كان مما يدفع المرء الى تمني الموت سما وهذا نص الرسالة التي بعث بها الي من متعوسة الى العلقة

رسالة

«ولدي بابلوس — اذ كان يدعوني ولده

لسدة حبه اي — ان المساعل الكبيرة في هذه المدينه
حيث استعملني صاحب الجلالة حالت دون قيامي
بهذا الامر لانه ان كان في خدمه الملك من سر
فهو كبره العمل وان كان انما عوض عن ذلك
في الشرف بخدمته وانه ليؤلمني ان اوافيك باخبار
غير ساره، فوالدك توفي منذ ثمانيه ايام وقد ابدى
عند وفاته من الشجاعه ما لم يبده حتى اليوم رجل
آخر عند ملاقاة الحمام اقول هذا بلسان من رفعه
على الاعواد فقد امضى الايام دون ان يدخل
رجله في الركاب وارتدى قميص الاعدام فكانت
كانها قصبت له ولم يكن كل من رآه على هذه
الهيئه مسوقا بالصلبان الا اعتقد بانه سائر الى
المشنقه وكان يتقدم بلا تصنع ملتفتا الى الوقوف
محبيا بأدب جميع من اهملوا اعمالهم ليشاهدوه
واصلح شاربيه مرتين وكان يامر الجلادين بان
ياخذوا قسطا من الراحة مثنيا بعذوبة الثناء على ما
يفوهون به من كلام حسن وجميل واخيرا بلغ
المشنقه ووطأت احدى رجليه درجها ولم يصعده

زاحفا ولا متماهلا. واذ رأى احدى المرافقين ملفة النعت نحو مأمور العدالة وقال له ان من الواجب اصلاح تلك المرقاة لشخص آخر لأن الجميع لا يملكون رباطة جأشه وان قلمي لعاجز عن وصف الاستحسان الذي قوبلت به هذه الملاحظة من جانب الجميع ثم جلس فوق وأراح الى الوراء بجعدات الملابس وتناول حبل المشنقة وأداره حول عنقه وحين رأى الراهب يحاول ان يعطيه النعت البتة قائلا ايها الاب اني اعتبر العظة قد القيت وهات شيئا من فعل الايمان ولتكمل سريعا لاني لا اود ان يقال اني مشبه وهكذا كان. واوصاني ان اضع له الكمة من جانب وان امسح لعابه وهكذا فعلت فسقط دون ان يمض رجله او يأتي بحركة وبقي محنوقا بوقار لا يرجى وراءه وقار فقطعته اربعا (1) وجعلت الطرق له لحدا والله يعلم كم

---

(1) كان من جملة العادات القديمة ان تقطع جثة المجرم بعد قتله اربع قطع وتعرض كل منها في احدى الامكنة العمومية

ـعز علي ان اراه عسمه باردة سيسها العردان
لكن في ظني ان صانعي المعجمات في هذه الدنيا
سيعرونا بادوائهم اياه في المعجمات التي يباع باربعة
دراهم الواحدة (2)

اما من حيث والدنك فانها وان نكن ما
زالت فيد الحياة فالكلام عنها قد يكاد يكون شبيها
بما سبق وذلك انها مودعة في سجن محكمة
المفتش في طليطلة لأنها كانت تسير الموتى دون
ان تكون ساهمة وقال انها كانت تعمل كل ليلة
وجهه في العيد المقدسة ايشابها ووجد في دارها
من السعار والادرع والرؤوس ما لا يوجد في
كنيسة عجائبيه وافل ما كانت تقوم به ربو

---

2) اشارة الى اساءة راتجه اذاك مفادها ان
بعض صانعي المعجمات كانوا يسيئون لحرمة
الموتى ويدخلونها في مصنوعاتهم وقد وردت هذه
الاشاعة في عدة مؤلفات من ذلك العهد لكن
البحث التاريخي اثبت انها لا تستند على شيء
من الصحة

البكاره واعادة العفاف الى العذارى وقد قال انها اشتركت في الطواف الذى اقيم يوم عيد التابوت الاقدس لاربعمائة من المحكوم عليهم بالموت وانى أتألم لما يلحقنا بسبب ذلك من العار جميعا وانا بنوع خاص لانى بعد كل شيء من موظفى الملك وهذه العربى لما بسببنى

يا بنى ! ان والديك قد جلبا هنا مالا مجرأ قد يقارب الاربعمائة دكة وانما انا خالك وليس ما لى سائر الى بذلك جميعا فيوسعك اذا ان تأتى الى وبما تعرفه من اللغة اللاتينية والخطابة يمكنك ان تصبح بارعا في فن الخلاعة احسن حالا حفظك الله الخ

ليس بوسعى ان انكر انى اسفت جدا لهذا العار الجديد لكنى فرحت نوعا ما اذ ان من يعامل بنوت الاباء انها بساى الاباء في مصائبهم مهما عظمت فاسرعت راكضا صوب صوب دبعو وكان يقرأ رسالة ابيه وفيها يأمره بالرجوع وبالا يصحبنى معه !! كان قد بلغه من حالى وتصرفاتى

فاطلعني على ما امره به والده وقال لي انه يؤمله
ان يتركني وان كان قولي في الواقع اكثر منه
واضاف قائلا انه يدبر لي المقام في خدمة صديق
له من الملاء فضحكت من كلامه وقلت يا سيدي
لقد اصبحت شخصا آخر كما ان افكاري قد تبدلت
ايضا وها انذا صرت اتطلع الى العلى ويهمني
ان ازداد سطوة ومقدرة لاني ان كنت اماشيك
حتى الساعة حجرا في الحلقة (13) فكل واحد عليه
ان يشق طريقه بيده (14)
وحرية كنف فارق الحياة انما سرقها وكنف

---

13) كانت العادة ان يجتمع الناس المحدثين
فيؤلفون (حلقة) يجلس فيها كل على حجر وكان
لكل واحد من ذوي المكانة حجر خاص لا يجلس
عليه احد فاصبح القول عن واحد ان له حجرا
خاصا في الحلقة مرادفا للقول بانه ذو مكانة
واعتبار
14) اي المؤلف هنا يتلاعب في كلمة حلقة
فالمقصود بها دائرة المسعى

قطعوه ارباعا وكيف كنت لي حالي الجلاد عن هذا
وعن حبس والدتي وقد امكنني ان اكشف عن
نفسي امامه دون حياء لانه يعرفني حق المعرفـه
فتأسف كثيرا وسألني عما افكر ان اصنع فاعلمته
بما عزمت عليه. وفي اليوم التالي توجه ضويـ
يدعو الى سقوطه والالم يحز نفسه وبقيت انا في
الدار مختفيا مضمني. واحرقت الرساله لئلا تضيع
فتقع بين ايدي شخص آخر ويطلع على ما فيها
واخذت اعد العده للسفر الى سقوطه بقصد الاستيلا
على اموالي والتعرف على اقاربي كي ابعد عنهم

الفصل الثامن

في الكلام عن الطريق بين القلعة وسعوبة
وما جرى لي فيه حتى رجحاس (1)
حسب بت تلك البلاد

وحان يوم انفصالي عن حمر حماة اري نفسي
وصمـيما والله يعلم كم آلمني ترك هذا العدد الوافر
من الاصدقاء والمحسنين بي. فبعت سرا للمشتركين
ما كنت املكه ومن ثمنه ونقص بعض الاكاذيب
جمعت ما يقرب من ستمائة بلون. ثم اكتريت
بغلة وغادرت البلد الذي لم يكن لي ان اخرج
منه سوى طلبي من لي يخبر عن عم الاسكاف
لديه عني وبناوهات الوصية على اجرتها وصاح
رب الدار على الكراء؟ فالواحد كان يقول له.

---

(1) رجحاس Rejas قرية من مقاطعة صوريا

كانت نفسي تحدثني بهذا دائما، وتقول الاخر
اجلا عن حق كانوا يقولون لي انه مخادع،
وبالاختصار خرجت محفوفا بعطف البلدة واحترامها
الى حد اني تركت ورائي نصف اهلها يبكون
والنصف الاخر يضحكون ممن يبكون

وبينما كنت اقطع الطريق متاملا في هذه
الامور اذا بي التقي بعد مجاوزتي طوروتي (2)
برجل يمتطي حصانا يخاطب نفسه ويمشي مسرعا
وهو غارق في بحر احلامه بحيث لم يرني مع اني
كنت قد وصلت الى جانبه فبادلته التحية وسالته
الى اين وبعد ان اجبنا كل على سؤال الاخر
احدنا بحث فيما اذا كان الترك مزمعين على
الزحف وفي قوات الملك واخذ يشرح لي كيف
يمكن احتلال الاراضي المقدسة وكيف ان الجزائر
واقعة بين ايدينا لا محالة، ففهمت من خلال حديثه

---

(2) طوروتي Torote جدول يقع في مقاطعة
وادي الحجارة ويصب في نهر هنارس بين القلعة
وطورخون

انه مصاب بوسواس الاصلاح العمومى والحكومى(1)
وواصلنا هذا الحديث المالوف بين النظار متنقلين
من موضوع الى آخر حتى انتهى بنا الى الكلام
عن فلاندرس، وهنا شرع صديقى ينتقد ويقول:
ان هذه الولايات تكلفنى اكثر مما تكسب
الملك حيث قد مرت على اربع عشرة سنة وانا
اطوف بمشروع من سادة اوام تكن مستحيلا ان
تضع حدا وحلا لكل هذه المشاكل، فقلت وانى
امر هو هذا الذى فيه ما تذكر من تغيير
لكنه مستحيل وغير ممكن التحقيق؟ فرد على
بقوله من قال لك انه غير ممكن التحقيق؛ حين
انه يمكن تحقيقه اما كونه مستحيلا فذلك امر آخر
ولولا رغبتى في ان لا اؤلمك لاخبرتك به عن انه

---

(1) كانت الفوضى فى الشؤون العمومية اداة
سببا لظهور عدد كبير من المؤلفات التى يرمى
واضعوها الى اهداء الملك الى سبل الاصلاح فكثرت
من جهة اخرى التلميحات الهجائية الى هؤلاء
الصاحبين

سنعرف فيما بعد لاني مصمم الان على طبعه مع جملة مشاريع اخرى بينها واحد اطلع فيه الملك على وسيلة لاحتلال مدينة اوسطند (4) من طرفين، فرجوته ان يجربني بهما فاخرج من جيبه رقعه رسم عليها حصن الاعداء وحصننا وقال انك ترى ان الصعوبة كلها ليست الا في هذه القطعة من البحر، فانا آمر بامتصاص ما فيها من الماء بالاسفنج فيزول ذلك الفاصل فلما سمعت هذا الهذيان حتى ندرت مني قهقهه عاليه فصرخ في قائلا ولم ادل بهذا الامر لاحد الا ضحك كما ضحكت انت لانه بعث في الجميع فرحا كبيرا فقلت «لا شك انني لم اسمع قط امرا اكبر حده وامتن اساسا من هذا ولكن فات حضرتك انه متى امتصت المياه

4) دامت محاصرة الجيوش الاسبانيه تحت قياده المركيس دي سبنولا لهذه المدينه من شهر يوليو (تموز) سنه 1601 الى سبتمبر (ايلول) سنة 1604 وهذه الاشارة تسمح بتعيين تاريخ وضع هذا الكتاب

الموجودة حينئذ عاد البحر فدفع الى مكانها مياها اخرى، فقال «لن يصنع البحر هذا لاني استدركت هذه القضية ايضا وفضلا عن ذلك لدي اختراع لاغرق في البحر اثنتي عشرة ولاية من تلك الناحية

فلم اجرأ على رد كلامه خوفا من ان يقول لي ان لديه مشروعا لاسقاط السماء اذ انني لم ارقط في حسابي حمقا يعادله وقال لي ان ما فعله جوانيلو (5) ليس شيئا وانما يحاول هو الان رفع كل مياه نهر تاجه الى طليطلة بطريقة اخرى اكثر سهولة ولما سألته عن هذه الطريقة قال انما هي من باب السحر والتعزيم فاملي رعاك الله اذا كان احد في العالم قد سمع شيئا آخر كهذا واخبرا قال لي واني لا افكر في تنفيذ هذا المشروع اذا لم يعطني الملك اولا ربعه بالمزاد وذلك

---

(5) جوانيلو Juanelo جوانيلو طورنانو ـ اصله من كريمونا وقد تمكن من رفع مياه نهر تاجه الى اعلى نقطة في طليطلة بأسلوب استنبطه وظل قائما نحو ثلث قرن على عهد فيلب الثاني

من حقى الصريح لان لدى حكماً قديماً يمت اسمائى الى طبقة الاسراف وبين هذه المحادثات والمباحكات بلغنا بلده طورحون (6) حيث دعى زوجي اذ افضل اليها لمشاهدة احد افاربه

اما انا فواصلت السير وقد كدت اموت ضحكا من المشاريع الجباليه التى كان رفيقى يقضي فيها وقته واذا بي لحسن الحظ اشاهد عن بعد بغله طليقه والى جانبها رجل واقف ينظر في كتاب ثم يرسم خطوطا بنفسها بركار ثم يدور ويقفز من جهه الى اخرى ويبتسم وينشره بضع اصبعا فوق الاخر ويعود الى القفز آتيا بحركات لا تعد ولا تحصى فحسبته لاول وهله ساحرا ـ اذ وقفت بعيدا انامله ـ وكدت لا اجرأ على التقدم واخيرا عزمت على ذلك وحين وصلت اليه احس

---

6) طورىحون Torrejón اسم بلده من مقاطعه مدريد، والاسم نفسه مستعمل لعده قرى اسبانيه لكنها تتميز بعضها عن بعض باسم آخر يضاف اليه هذه اللفظه التى معناها البرج الصغير

دى فاعلو الكمان وحين وضع رجله في الركاب
زلت به فسقط فرفعته وقال لي لم احسن احتساب
الحد الاوسط لاصبع الدائرة عند الركوب فلم
افهم ما قاله لي ثم حسب مما كان لان المساء
ثم بلدين مولودا اكثر حمقا منه وسألني اذا
كنت اسلك في اتجاهي الى مدرند خطا مستقيما
او منكسرا فاجبته ان منكسرا دون ان افهم
كلامه ثم سألني عن السيف الذي كنت احمله
معلق فوق حسي فقلت انه لي وبعد ان تأمله قال
من الواجب ان تكون حادا المقبض اطول مما
هما عليه الان لدماء الجراح التي يحدثها في الوسط بتكرار
الطعنات واحد يرسل العوامل بدقته حتى اضطرني
في استفساره عن ايه حرفه يحترفها فقال انه
فارس حقيقي وان فروسيته ثبت في اي مكان
كان فلت وقد هربني الضحك بالحق فقال اني
ضبطك لاول وهلة ساخرا حين رأيتك في هذه البريه
ترسم تلك الدوائر قال انما خطرت لي جولة
في الدائرة الرابعة مع الاشعال من نقطة الى

احرى لعقل سقف الخصم وقبله دون ان يبث بنت شفه وكنت اقوم حينئذ بنقل هذا الخاطر الى عبارات حسابيه فقلت وهل فى هذا حساب ؟ قال : لا حساب فحسب بل لاهوت وفلسفه وموسيقى وطب ايضا قلت : أما الاخير لا اشك فيه لان هذا الفن انما يعنى بالعمل فقال : نعم أ فانك ستعلم الان كيف يستعمل العرجون ضد السقف لتوسيع الضربات الى حد ابعاد بعض الدوران الحلزونيه التى يرسلها السقف قلت انى لا افهم شيئا البته من كل ما تقوله لى ، قال : ان هذه الامور قد وردت كلها فى الكتاب المسمى نجاة السقف وهو كتاب حسن جمع من الاعاجيب الشئ الكثير ولتصدق قولى سأريك حين تصل الى بلده زنجاس حيث بيت هذه الملله ما افعله من العجائب بواسطه سقودين ولا تكن فى شك ريب فى ان كل من قرأ هذا الكتاب يمكنه أن يفعل كل من اراده قلت : أما ان يكون هذا الكتاب يعلم الناس شر وسائل الفساد او ان

يكون مؤلفه احد الدكاتره، فقال كيف يقول احد الدكاتره فحسب؟ اجل ان مؤلفه عالم كبير واكاد اقول انه اكبر من ذلك (7)

وفي هذا الحديث وصلنا الى بلدة ريحاس وجلسنا في احد الفنادق وجرى بيننا بهمس بصوت مرتفع ان اؤلف بسافي زاويه مفرحه ثم اقف مستقيما على الارض بعد ضمهما لصحنا موارديس فابصرني صاحب الفندق ضاحكا فضحكت بدوره وسألني اذا كان ذلك القائد هنديا (8) لما سمعه من كلامه فظننت عندئذ انني فقدت رشدي

---

7) كل هذا المقطع تهكم لاذع على الكاتب جون اوبس بابسكو دي باربات مؤلف كتاب عظمه اليسع وقد اسرنا مفصلا في كتابنا كبيدو امير الطرافه الى الخصومه بينه وبين كبيدو وما جرت اليه

8) لعلها اشاره الى باسكو باربات لسكناه مده طويله في الجزائر الخالدات وكان سكانها الاصليون يطلق عليهم كسكان امريكا اسم الهنود

ثم وصل الى صاحب الفندق وقـال له «اعطني

ايها السيد سعودين لراوسـن او ثلاث وانـي

مرجعهما اليك بعد هنيهه فصاح الفندقي متعجبـا

يا يسوع! أعطني هـذه الروايا فان روحـي

يسوعها وان كانت طبورا لم اسمع اسمهـا قط

فقال: انها لبست طبورا . واضاف بقوله ملمحا

الى تأمل رعاك الله ما هو عدم المعرفه، ثم عاد

الى الفندقي وقال: اعطني السعودين فانما احتاجهما

للمساومه ولربما كان ما يراني اصنعه اليـوم

خيرا لك من كل ما ربحته طول عمرك واكثر

السعادة كانت مسعواة فاستعصنا عنها بمعرفين

وكـان مشهد لم تر في العـالم مدعاة الى الضحك

مثله وكـان صاحبنا يقفز قفزه ويقول بهـذا

الدور البلغ درجات الوجه الان اعتبر هذه الحركه

التي بدرت عن بـوان لاسدد الضربه الفـاضيه!

هذه يجب ان تكون طعنه وتلك ضربه، وكـان

يدور حولي بمعرفه يفصلني عنه مسافه واسعه وبما

اني لم اكن لابث في مكان واحـد كـادت

مسافته اشبه ما تكون بمطاردة قدر يدور فوق النار وقال لي وفي النهاية هذا هو الصالح لانك السكرات التي تعلمها هؤلاء الماكرون من اساتذة المسابقة الدمر لا يجيدون سوى تعاطي المداد

وما كاد يفرغ من كلامه هذا حتى خرج من احدى الغرف حلاسي مكشرا عن انيابه يرتدي وعليه ادخلت في مظلة وسروالا من جلد الجاموس يحسب كساء قصير واسع ذات كمين وقد ملى شريطا معقوج الساقين كالنسر الامبراطوري معقوف اللحية ذو شاربين عريضين يغطيان الوجه وقد تحجر بحنجر اكبر بقوسا من سكة (9) ثم قال وهو يحدق في الارض اني قد انجبت وندي الاحجار فالشمس التي تسحق الحجر اني لقطع اربا كل من حدثه نفسه بالنيل من حرف

---

(9) يظهر انها اشارة الى فرنسيسكو هرناندث المولاتو (اي الحلاسي) الذي كان من ابرع من نقل السيف في عصره وقد انتقده فرنسيسكو دي ماريانيث في احد كتبه

الفروسيه» اما انا وقد رأيت الموقف حرجا فتوسطت
بينهما قائلا للجلادي انه لم توجه الحديث اليه
واذا ليس له من سبيل الى الغضب فدافع قائلا
«جرد حسامك ان كنت حماه ولترا ده هي الفروسيه
الحقه ودعك من المعارف اما رفيقي المسكين
ففتح الكتاب وقال بصوت مرتفع «هذا الكتاب
بقوله وهو مطبوع برخصه من الملك وانا اؤيد
صحه ما يقوله بمعرفه او بدون معرفه هنا وفي اى
مكان آخر والا فلتفسر ذلك واخرج الفرخار واحد
يقول هذه الراويه مفرحه، وحينئذ جرد الاخر
خنجره وقال انا لا ادرى من هو انعولو ومن
هو «اوننوسو(10) ولم اسمع قط هذين الاسمين
ولكني بهذا الذي في يدي ساقطعك اربا» وهجم
على ذلك المسكين الذي بدأ يفر من امامه فافرا
داخل الدار وهو يقول: انت تقدر على جرحي لانني
بلغت درجات وجهك فاصلحنا بينهما انا والصدقي

---

(10) «انعولو» معناها الراويه و «اوننوسو»
مفرحه

واسحاص احرون كانوا هنالك وان كنت اكاد
لا اقوى على التحرك من شده الضحك

ثم ادخلوا الرجل الى غرفه وانا معه فتعشينا
وبقد جمع من كان في الدار وعلى الساعه
الثامنه صباحا نهض بلباس النوم واخذ يدور في
الغرفه تحت جنح الظلام وبقفز ويردد الف حماقه
تلعه حساسه ثم ايقظني انا ولم يكتف بهذا بل
هبط الى جيب العندوفي نائم وطلب منه مسعلا قائلا
انه قد اكتشف محلا تاديا المطعمه المسدده
مسقفه نحو القوس من وسط وتره اما العندوفي
فاخذ يستعين بالسلطان لايقاظه اياه في تلك الساعه
واشده ما بالغ في ازعاجه رماه بالحمق فاذاك تركه
وصعد الى غرفتنا وقال لي ان احسنت ان تنهض
فانك ترى الحمامه التي اكتشفتها لصد الادراك
وحماحرهم العريضه (11) واضاف قائلا انه سيعرض
اكتشافه هذا على الملك لانه في صالح النصارى وهنا

---

(11) في كتاب بادسكو دي باربات درس
في الدفاع ضد الادراك وحماحرهم العريضه

اصح الصباح فاربدبا ملابسنا حمبعا ودفعنا احرة
الفندق. بم ووفوا بين صاحبى والجلاسي الذي ابعد
بعدئذ وهو بقول ان ما يدفعه رهيد حسن ولكنه
بسبح محاسن اكثر منه فرنسا لان الاكثرية على
الاقل لا يفهمونه

الفصل التاسع

في ما وقع لي مع شاعر حبشي ووصولي الى مدريد

سلكت طريق مدريد اما صاحبي فودعني ليسلك طريقا آخر وبعد ان كان قد ابتعد عاد على اعقابه مسرعا واخذ يناديني بصوت عال اذ كنا في البريه حيث لايسمعنا احد وقال لي وفمه في اذني بحياتك الا بحت بشيء من هذه الاسرار الخطيرة التي اطلعتك عليها في علم الفروسيه بل احتفظ بها لنفسك فانك لست كبش، فوعدته بذلك ثم غادرني من جديد وشرعت اضحك من السر الطريف

وهكذا قطعت ما يربو على فرسخ دون ان اصادف احدا وكنت اسير مفكرا في عظم ما يعترض سبيلي الى التخلق بالشرف والفضيلة من عقبات كثيرة اذ لا بد لي من سد ما تركه والدي من نقص

فى هذا المبدان تم الحصول على معدار كبر دحبث
دستحبل معرفتى من حلال دلك النص واذ ندت
لى هده الافكار سرىعه احذت اشكر دمسى علىها
واقول فى داطىى ولابد ان اشكر انا الذى
لىس لى من آحد الفضىله عىه اكبر ممن ورىها
عن احداده وبىنما كنت عارقا فى دحر هده
الدامالات المعب دسماس عجوز راكب دعله فى
طرىقه الى مدريد فدار بىنا الحدىث ثم سألنى
عن البلده التى قدمت منها فقلت انها القلعه قال
لعنه الله على هؤلاء الاسرار اذ لىس بىنهم رجل
عاقل فسألته كىف ولماذا تقول هذا القول عن بلده
كالقلعه حوت ما حوته من كبار العلماء فاجابنى وهو
يحرف غىظا : واى علماء؟ اعلم رعاك الله اننى
بالرغم عن مرور اربعه عشر عاما علي وانا انطم
فى قريه ماجالاهوندا (1) - حىث كنت واقفا -
الانادىد لخمس الحسد وعبد البلاد ولم ير هؤلاء

---

(1) ماجالاهوندا Majalahonda - قريه من
مقاطعه مدريد وتسمى اليوم ماحاداهوندا

الذين يسميهم علماء ان يستحوذوا جائزة على بعض
اناشيد قدمتها للمباراة وهاهم ينالونها على مسمعك
انتزى احتفاءهم حتى في حكمهم وبدأ يقرأ ماياتي

ايها الرعاة الليس من المكتب اللائق ان يكون
اليوم عيد قدس جسد المسيح؟

الا انه يوم يغدو متواضع فيه الحمل الطاهر
الى حد انه يرون خطوتنا وفي وسط هذه الافراح
تدخل الافواه المسرّة

الا فاعجبوا في الاقواس الطويلة لان سعادتنا
ذي بها الرعاة

الليس من المكتب اللائق الخ .

ثم قال لي ما عساه ان يقول فصل من
هذا مبدع المكتب نفسه؟ تأمل ما يتضمنه من
المعاني كلها الرعاة، فقد كلفني اكثر من
شهر درسا فلم اتمالك من الضحك الذي كان
ينفجر من عيني واذني وفهمت قائلا انه ليس
عجيبا وانما لي عليك اعتراض وهو انك تقول
عيد قدس جسد المسيح، بينما ان ما يسمى

«جسد المسيح» لبس قدسا من حملة القديسين
بل اسم اليوم الذي انشئ فيه «سر القربان المقدس»
فاجابني هازئا «ما شاء الله! اني اركه في التقويم
حيث تجده مطويا في عداد القديسين وانى
اراهنك على صحة ما اقول فلم اقو على مجاحته
لاني كنت اكاد اهلك ضحكا لما رايته من جهله
الفاضح بل ظننت ان امانته جديرة بكل مكافأة
واني لم اقرأ قط شيئا الطف واعذب منها، فقال
«كيف لا؟ فاسمع اذا لاقرأ عليك جزءا من
كتيب وضعته اكراما للاحدى عشر الف عذراء
حيث احص كل واحدة منهن بخمسين منظومة
من ذوات الثمانية ابيات وذلك لترى عجبا
وحوبه تجمعا لاسماع هذا القدر من ملايين
الثمانيات الا يردد على مسامعي شيئا من الالهيات
وهكذا اخذ يتلو على مهزلة اكبر مراحل من
طريق القدس وكان يقول لي لقد وضعتها
في يومين، وانما هذه هي المسودة وكان ما بين
يديه يربو على خمس ملازم اما عنوانها فهو «سفينة

نوح » وتدور حوادثها بين الديوك والفئران
والجمل والثعالب والخنازير الوحشية كما في حكايات
جحى فاشتد على حق ابتكارها ونظمها فاجابني
قائلا «ان ذلك من ابتكاري ولم يسبقني اليه
احد وانما الجدة فوق كل شيء وان تمكنت من
حملها الى المسرح فستلهج الالسنة كلها بذكر
هذا الحدث » قلت « امن الممكن تمثيلها ما دام
انه لا بد من مشاركة الحيوانات فيها وهذه لا
تنطق؟ » قال: «اجل، انما هذه هي العقبة الكأداء
ولولاها لما كان لهذه الرواية من مثيل ولكنني
فكرت بحملها الى المسرح مستعملا فيها الببغاوات
والشحارير والعقاعق التي تنطق وفي المشاهد
الهزلية التي تمثل في الفترات المتخللة بين فصل
وآخر استعمل القردة»

قلت «لقد صدقت فهي منظومة رفيعة جدا»
قال «انما نظمت ما هو ارفع منها اكراما لامرأة
احبها فها هي تسعمائة منظومة ومنظومة من
الرباعيات — فكان كأنه يحصي الدراهم دنانير —

نظمها معرلا دساقي مولاتي، فسألته هل رآها
فاجاب ان لا لارىباطه دحرمه الكهوىت ولكن
الافكار التى ابدعها قد احباىت سوءات وانا
اعرف حقا انى دالرعم عن طرىى داسماعه حفت
من معدار كهذا من السعر الردىء فحولت الحدىث
الى محار احرى وكىت اذا قلت له انبي ارى
اراذب قال سأبدأ اذا ىعصىده اسمهما فيها بهذا
الحيوان واخذ ىىلوها فاقول لالهه هل ىدرى
تلك الحمه التى ىساهد دهاراء فيقول ىحسن اورعمى
هده ساقرأ علىك القصىده الىلاىه حىث اسمها
ىحمه فكأنك عرف مرامى في هذه القصائد، وحين
رأىت انى لا اقدر ان اسمى حاجه لم ىنطم حولها
جهاله ما حرىت الى حد انى احسست ىعىطه واسعه
حين اطللنا على مدرىد مؤملا ان ىىسكت حياء
وخجلا وانما حرى الامر دالعكس اذ احد ىرفع
صوته حين دخلنا السارع لىظهر عن ىفسه فرحوته
ان ىعدل عن ذلك مىسا له انه اذا اسم الصغار
منه ائحه السعراء فلن ىىقى واحده من ىعاىىا

المعول الا رمما نهها لرمي السعراء دالحمق في مرسوم
وضعه لهم واحد كان من حملتهم ثم عاد الى
الصراط القويم فسألني حرعا ان اورأه له ان كان
لدي منه نسخه فوعدته بان اقوم بذلك في المنزل
وقصدنا منزلا كان من عادته ان يحط رحاله فيه
فوجدنا على الباب اكثر من اثني عشر اعمى
فبعضهم عرفه من رائحته والبعض الاخر من صوته
وهللوا مرحبين به فعانقهم جميعا ثم اخذ فريق
منهم يسأله صلاه للعاصي العادل سعريه حكمه
حمل على الفطيس وسأله فريق آخر صلاه من
النوع ذاته من اجل نفوس الموتى واخذوا يسهبون
في الكلام حول هذا الموضوع وتناول رفيقي نقوده
فلانس عريونا من كل واحد منهم وصرفهم ثم قال لي
لا بد ان يدر على هؤلاء العميان اكثر من ثلاثمائة
فلوس فاسمح لي الآن ان احلي قليلا لاحطم بعضها
وحين نفرغ من تناول الغذاء نسمع قراءة المرسوم
بالليحساه البائسه اذ ليس ما يعادل بؤسا
حياة المجانين الذين يكسبون قوتهم بحنونهم

الفصل العاشر

في ما فعلته في مدريد وما جرى لي حتى وصلت الى سرثدلا (1) حيث بت ليلتي

أحلى الاوقات فيها لا تعد للعميان خرافات وترهات وخلال هذا جاءت ساعة الغداء فتغدينا ثم طلبوا ان نقرأ المرثاة، وحيث لم يكن لدى شعر آخر اخرجتها وقرأتها وها اني اثبتها هنا لما فيها من فارض الكلام وصالحه لما اريد التأنيب عليه فيها وهذا نصها

مرثاة تسأل الشعراء الخالين من كل معنى وفائدة وجوهر

---

1) سرسدلا Cercedilla بلدة من مقاطعة مدريد تقع على مقربة من الاسكوريال وهي من اماكن الاصطياف

وما كدت اقرأ هذه الترجمة حتى صعد الوافد قهقهة كسرة وقال فلاء لم تصرح سابقا؟ فوالله لقد ظننك في بادئ الامر تعني بكلامك واذا به موجه الى الشعراء الخالين من فائدة وجوهر وحسب، فاعجبني قوله هذا كما لو انه من الشعراء المجددين الذين لا تحصى لهم قلبه وتركت المقدمة وشرعت بقراءة الفصل الاول وقد جاء فيه ما يأتي

حسب ان افراد هذا النوع من الهواة المعروفة بالشعراء هم اولا، وتجمعنا واياهم النصرانية وان كانوا فيها من الواهمين . وحسب انهم يقضون جله سنيهم في عبادة الخواجب والاسنان والتسرط الخرسنة والاحقاف وارتكاب معاصي اللغظ واكثر الامر ان جميع الشعراء الغموضيون والفاخرون خلال سوع الالاء كما تجمع النساء الباغيات ويرشدوا للرجوع عن عوائدهم وان يسعى لردهم الى حظيرة الايمان واننا نعين لهذه العادة دورا لدواء البائس

واننا وبالنظر الى الفحط الشديد السائد على

ما دسحه سعراء سمس من منطومات حاره لا نرى
المل ابدا ـ وهى كالرسب دبولا لكمرة مـا
دسعملوده مها من شموس وكواكب ـ بعرض
علىهم الصمب المطلق فى سؤون السماء (2) ودعس
اسهر محرمه على رباب السعر كما دوحد اسهـر
محرمه للصيد والقنص اكى لا سعد من حراء هذه
السرقه التى دمعودها دها

وادصا حسب ان هده الطائفه الحيمسه من
الرحال المحكوم علىهم بالمصور الدائم (3) الدىن
حعلوا ىىدىهم دسطىه الالفاط وقاب المعانى، قد
اىعدوا النساء من مرصهم هدا دعلى اننا دعسر
انفسنا مأورىن بهذه الصفقه من السر الذى حملنا
اداه فى بدء العالم وادنا حىا بالفقراء المحاحىن
دامر بان يحرق قصائد السعراء كما تحرق الاهداب

---

2) يقصد بها الكواكب

3) المصور ـ الشعراء المصوردون هم الدىن
غالوا فى اتباع مدرسه عونغورا وكان كىسدو من
الد اعدائهم

القديمه لنستخرج منها الذهب والفضة والبدر لانهم في معظم اسعارهم يجعلون محتوياتهم من كل انواع المعادن.

وهنا لم يعد الوافه على تحمل هذا القول فانتصب واقفا وقال: لا! بل الاولى ان تجرد من اموالنا كما فرأه قاضي عازم على رفع دعوى بهذا الشأن لا بالالف والخمسمائه (4) بل انى قاضي اذا لئلا امس توبي الاكلبريكي وكرامتي يصرن وساعف كل ما لدي في ملاحقه هذه الدعوى والا اليس من الحيف ان احمل انا هذه الاهانه يا ذي الاكليريكي؟ واني سانت ان قصائد الشاعر الاكليريكي لا تخضع لهذه البراءة واريد بعد ذلك ان امس الامر امام القضاء وبعد ما سمعت منه

---

4) «الالف والخمسمائه» استئناف نهائي كان النطق فيه لاحدى غرف مجلس فرنسا فالدعاوي التي لم تحتج في بعض درجات المحاكم كانت تستانف اليها نهائيا بعد ان تودع السادسة 1000 ا دوبلا» ومن هنا جاء هذا الاسم

هذا القول ساورتني الرغبة في الضحك ولكني
منعا للموقف ـ اذ كان الوقت قد فات ـ قلت
له : يا مولاي! ان هذه المرأة انما قد وضعت من
قبيل المداعبة ولا خير فيها ولا ازعاج لانها خالية
من كل ساطه فقال وهو يضطرب يا لي من
خاطئ! ولقد كان الاجدر بك ان تنهي الى
ذلك اولا فوقفت على اكبر هم اعرف اي وقع
لكلام كهذا في نفس من اتيته بمائتي الف مثقوبة
بعدا' بانع المرأة والله يسامحك على ما احدثته في
قلبي من ذعر وهلع» فبادرت قائلا

وايضا حيث انهم بعد ان تخلوا عن اسلامهم
ـ وان كانوا ما برحوا يحفظون بعض الاثار ـ
احترفوا حرفة الرعاة فترى الماشية هزيلة لسرقتها
ذووعهم وتسلطها بقوتهم المانعة كما ان موسيقاهم
تسحر البابها فلا ذكلا' ـ يامر ان يتركوا هذه
الحرفة وان بعض مناسك يامحي' اليها تحو العزلة
منهم· اما الاخرون منهم فلينصرفوا الى سياسة الخيل

لانها حروه نسح لمحمروهـا الفرح والفرصه اصـب
فوارص لسادنه

فصاح الواوه قائلا لا بد ان نكون واضع
هده المرأه بهودنا مجسما لواطا دا قرون . ولـو
علمت من هو لهجوته هجاء مرا برح بحمه الى
الابد وما قولكم في ان فتى أمرد سلى يجب علمه
ان يعول في ممسك، او ان رجلا واقها يجب ان
ينصرف الى سياسه المعالي، مهلا أيها السيد ان
هده الاهانات لا تطاق فقلت لقد قلت لك سابقا
انها مداعبات وكمداعبات يجب ان تؤخذ
واصغت المرأة.

وأيضا ممعنا للسرقات الكبرى ندمت ان لا
نعمل فصائد من اراجون الى فساله ولا من اختنا
الى اسادنا ونعاقب الشاعر الذي يرتكب هذه الجائه
باجباره على نحسس ربه وان تكررت المخالفه يجبر
على ان يكون نطمعا طيله ساعه فوقعت هذه
النكته من نفسه موقعا حسنا لانه كان يرتدي
جبه حلقا وعلمها من الوحل ما يكفي لدفنه

دفركها ووفه اما النملة فكانت وحدها كافيه لنسمد فدانس من الارض

وهكذا بين هرل وحد فلت له ان البـراءه دامر ادضا دبان ندرج بين البائسين الذين دسعون دعوسهم او يرمون من عل النساء اللوادى دعسن رحالا لسوا سوى سعراء وان حرمن مىلهم من الدون الدنى وانما دالنطر الى وفرة العلـه الىي حصلت من رباعيات واغانى وقصائد من دواوت الاربعه عسر بما حلال هده السنوات الخصبة دامر دان نحال الملفات التى نحو من ايدي النادلين الى المراحيض دون مراجعة، وحاما وصلت للفصل الاحمر وقد جاء فيه ما يلي

ولكن بعد الاطلاع بعين الرحمه عـلى ان في المجتمع البسرى ثلاثه انواع من الناس هم من المؤسن بحيث لا دمكنهم ان دعيسوا بدون هـؤلاء السعراء دعنى دهم المملس الهرلدن والعمـيان والوافهين، فنأمر دان يسمح دوجود دعض المدرجين في هذا الامر على ان دنالوا احازة من شـيوخ

السعراء الدس في جهانهم وبأن يحرم على ناظمي
المهارل ابهاء الفصول المضحكه بفرع العصي وظهور
السباطين والروايات الهزليه بالرواح وعلى
العمال بايقاع الحوادث في تطوار وباقصاء كلمات
احوى و«سرف» (5) ويامرهم بألا يقولوا هوى»
حين يقصدون قول «هذا المؤلف» (6) ويامر السعراء
من الوافهيين ان لا يستعملوا في اناسيدهم البلادة

---

(5) انما المقصود اقصاء كلمتي «احوى
و سرف على السكل الذي استعملنا به هكذا hermanal
الاولى و pundonores للثانيه وهو استعمال محطئ
(6) تلاعب في الكلام لا يمكن تعريبه لانه
قائم على تقارب في نطق الكلمتين بالاسبانيه ومن
المألوف ارتكاب العامه احطاء من هذا النوع عند
الكلام لعدم معرفتهم بنطق بعض الكلمات على
الوجه الصحيح فكان بعض السعراء الجهاه يقولون
zozobrar «سوسوبرار» ومعناها هوى» بدلا من
قولهم la presente obra «لا بريسنتي اوبرا» ومعناها
«هذا المؤلف»

فوافى تجمم نكلمة «حسل» او «باسكوال» وألا سلاعبوا بالالفاظ او يأتوا بافكار لولسه نسكرر ى الاعياد كلها دون ان سعر مها سوى اسمها

واحيرا بأمر حميع الشعراء ان سعدوا المسرى وأدوا'ون والرهره وعيرهم من الالهه والا كانوا لهم سفعاء في ساعة الوفاه»

ولقد اعجب بما في البراءه كل من سمعوا فراءتها وطلبوا مني نسخه منها ما عدا الاوبعه فانه سرع نقسم بصلاة العصر وعيرها من الصلوات بان تلك البراءه انما هى هجاء له لما جاء فيها عن العميان وانه لاعلم بما يجب عليه ان بفعله واحيرا قال ابي لرجل جالس لنيان (7) في احدى المقاوى وقد اكلت «اسبنال» (8) اكثر من مرتين وقال

---

7) بدرو لينيان دي رياثا Pedro Liñan de Riaza ساعر معاصر للوبي دي بيغا

8) اسبنال Espinel هو الساعر الكاتب بسنطي مارتينث اسبنال Vicente Martinez Espinel ولد سنة 1550 في مدينة رنده وتوفي سنة 1624

أيضا انه وجد مرة في مدريد على مقربة من لوبي دي بيغا بقدر ما هو على مقربة مني الآن وانه شاهد صوت الونصو دي ارسيا (9) اكثر من الف مرة وان عنده رسما للشاعر الالهي «فيغيروا» (10) وانه اشترى السروال الذي نزعه الشاعر بادييا» (11)

ترك عدة مجموعات شعرية بالاسبانية والايطالية كما أهم مؤلفاته هي قصة «ماركوس دي اوبريغون» التي تسمى أيضا من (قصص الشطار)

(9) الونصو دي ارثيا Alonso de Ercilla ولد سنة 1533 وتقلب في عدة وظائف واشترك بافتتاح تشيلي في أمريكا الجنوبية ثم ألف ملحمة شعرية تدور حول هذا الفتح دعاها «لا اراوكانا» La Araucana وتوفي سنة 1594

(10) فيغيروا — فرنسيسكو دي فيغيروا Francisco de Figueroa (1536 — 1620؟) شاعر اسباني لقب بالالهي ولم يسلم من شعره الا القليل

(11) بادييا — بيدرو دي بادييا Pedro de Padilla شاعر اسباني من القرن السادس عشر — ولد في

حين نرهب وها هو البوم يلبسه وان نكن في
حالة مزرية وما كان منه الا ان ارانا اسناه مما
اثار قهقهة الحاضر اجمعين الى حد ان واحدا منهم
ام يرد مغادرة المنوى

واخيرا حلت الساعة الثانية وبما انه لم نكن
بد من السير غادرنا مدريد فودعت آسفا ووجهت
خطاي شطر المرفأ فساءت الارادة الالهية دفعا
لكل فكرة سوء قد تجول في خاطري ان التقي
بجندي. فما لبثنا ان بدأنا نتبادل اطراف الحديث
فسألني عما اذا كنت قادما من العاصمة فاجبته
اني عرجت عليها مارا فحسب. فاعقب جوابي
بقوله والحق يقال انها لا تصلح لاكثر من هذا
فهي بلدة لسكنى الاناس السافلين وقسما بالمسيح
اني لافضل الف مرة ان اقيم في مكان يعمرني فيه
التلوح الى جسمي مرنحا كالساعة معلقا من الخشب
على تحمل المظالم التي يصاب بها اهل الصلاح

لباريس ويعلم في غرناطة انخرط في رهبنة
الكرمليين سنة 1585

فيها فاعترضت بقولي ان في العاصمة من جميع
الاصناف وانهم يقدرون كثيرا ذا الطالع السعيد
فابتسم غاضبا وقال ؛كيف يقدرون؟ فقد قضيت
سنة اشهر ألتمس فائدة فضلة من الجيش بعد ان
امضيت عشرين سنة في الخدمة وأريت دمي في
سبيل الملك كما تشهد بذلك هذه الجراح وأراني
في احدى كتفيه طعنة تبلغ شبرا أوضح من
الشمس ان سببها احدى الناوشات ثم أراني في
عرقوبه علامتين آخريين قال انهما أثر رصاصتين
كتب استحب من علامتين كانتا في رجلي
أيهما بعشر وورم من البرد ورفع قميصه وأراني
وجهه فاذا فيه ستة عشر ربما من جراء طعنة سيف
محاربي وكانت في وجهه ثلاث ندبات أخرى
جعلته أشبه بالخريطة من كثرة الخطوط فقال لي
مشيرا اليها :هذه أصبت بها في تونس في خدمة
الله والملك الذي أرى وجهي مقطعا في سبيله ولم
ألق مقابل ذلك الا كلمات جميلة تقوم اليوم مقام
الاعمال القبيحة اقرأ هذه الاوراق وحياتك أيت

الذي ام دسرك دمعركة وط وحق المسيح ان
رجلا مثلي لسار الىه دالسان، (12)

وكان صادقا في قوله لما فيه من اثار والكن
من مجرد الصربات التي دلماها وأخذ دجرح مدافع
من السلك ورمى أوراقا لا دد انها كانت لسحص
آخر ادحد هو اسمه، فقرأتها واعترف عليه السف
دماً قائلا انه لا السيد (13) ولا دردارد و (14) فاما
دما قام ده فاسعض قائلا

---

12) أدى المؤلف دوردة في كلامه señalar
فاستعملها اولا دالمعنى المجازى (اشار اليه دالسان)
وثانيا دمعناها الحقيقي وهو (درك أثرا)

13) السيد El Cid لقب البطل الاسباني
رودريغو ديات دي سار الذى عاش من سنة 1040
حتى 1099 ومن جملة مآثره الحربية استيلاؤه على
مدينة دلنسية من أيدي المسلمين

14) دردارد و Bernardo دطل اسباني من ادطال
الأساطير واسمه الكامل هو درنارد و دل كارديو
Bernardo del Carpio ويضاف الى القرن التاسع

ومن ابن لهما مالي؟ لا والله ولا غرسيا دي
باريدس (15) ولا خوليان رومرو (16) ولا غيرهما
من كبار المحاربين لعن الله الشيطان في ذلك العهد
لم يكن مدفعية ووالله ان برناردو ما كان
يناضل ساعة في عهدنا هذا واسال رعاك الله في
فلاندس مآثر «الباذو» عن ما يقولون لك عنه وسألته
قائلا هل انت هو؟ فقال : ومن غيري يكون اياه

والمؤرخون غير متفقين على مسالة وجود حقيقته
أم لا

(15) دييغو غارسيا دي باريدس 1466–1530
Diego Garcia de Paredes أصله من بلدة تروخيو
كان فارسا مغوارا واشترك في حرب ايطاليا الى
جانب ملك اسبانيا فرناندو الملقب بالكاثوليكي
وقد وضع ترجمته سنة 1621 الكاتب ضون طوماس
تمايو دي بارغاس

(16) جوليان رومرو Julian Romero من قادة
الجيش الاسباني في حرب فلاندس حين كان القائد
الاعلى لويس دي ريكيسنس

اذا؟ أما درى النعره التي في اسنادي (17)؟ ولكن فلندع الحديث حول هذا الموضوع لأن من العيب ان يمدح المرء نفسه

وبينما نحن في هذا الحديث اذا بنا نلتقي بناسك راكب اتانا تكاد تكنس الارض بلحيته هزيل البدن. عليه جبه من الجوخ سوداء اللون محشاة بالبحبه المعهوده «الحمد لله» واحد هو يمشي على حقول القمح ومعها على رحمة المولى مقاطعه الحندي قائلا آه أيها الأب انقذ رأس الخراب حولي اكثر من هذا الزرع ووالله لقد عملت جهدي في نهب مدينه أمبرس (18) أجل والله، وكان

---

17) كلمه ميادو ـ mellado معناها أهتم اى من في اسنانه ثغره وهي في الوقت نفسه لقب لاحد الفرسان الذين اشاروا باقدامهم في حرب فلاندس

18) نهبت مدينه امبرس عاصمه البلجيك خلال حرب فلاندس في 18 نوفمبر سنه 1576 حينما كان صون خوان دي اوسريا قائدا للقوات الاسبانية

الناسك بوجه على اكبارة الاستمالات فاجاب الجندي قائلا: انه لمن الواضح ايها الاب انك لم تكن يوما جنديا فانك توجني على معاطاتي ما هو من شؤون حرفتي، فاستولى على الضحك من رؤيته جعله قوام الجندية ووهمت انه محال لانه لا شيء اكره على عظماء الجنود ان لم تقل كلهم من هوادة لعادة ثم بعثنا خف المرفأ بينما كان الناسك يصلي المسبحة في حرمته من الحطب جعلت كرات من الخشب بحيث كان يسمع عند نهاية كل صلاة عشرات بامريم ترفعه كمرفعة الكرة في لعبة الحلف(1)

والجندي يعاين بين الصخور والقلاع التي شاهدها ناظرا الى اي الاماكن هي المنيعة وفي ايها يجب

وقد دخل الجنود الاسبان المدينة ونهبوها لكن القادة العلماء بعدد المقصة حالا واصدرت امرا باعدام كل من ينهب شيئا

(1) لعبة تقوم برمي كرات من خشب اسمرو داخل حلقة من الحديد ممسوكة بقضيب مغروز في الارض

ان بغاه ندفعه وكنت انا انطلع اليهما خائفا
من مسبحه الماسك وحررتها الكسره بعد خوف
من كادت الخمدي وكان هذا يقول آه لو كان
الامر بيدي لبعث قسمة كسرا من هذا المرء
فاحس بذلك انك تسافرون حسنا كسرا

وبينما نحن في هذه الاحاديث وغيرها وجملنا
انى بربدنا فدخلنا الثلاثه صدق وقد حان الليل
وأمرنا فاغذنا العشاء وكان يوم الجمعه فقال
الشيخ اذا فسبق حسنا لان المطابه ام البرنامج
وذكر عدد على تلاوة السلام عليك يا مريم مرارا
وخرج ورق لعب من كيه فاحد منى الضحك
كل واحد حسب ذلك وعب واقعا الباطل
حرب سحبه فقال الخمسي لا بل لعب كاصحاب
التي الذي لا يحاور منه باموت وهي
الكتبه التي حبها فعت وقد داخلني الطمع
في اللعب على منه اخرى وقبل الماسك بذلك
بحاره انا وقال انه يحمل بمر بيت مصباح الكنيسة
وهي سبع نحو مئتي ليموت واني لاعرف باني

فكرت في ان اكون لصه فامنصه وانما تجرى
الرياح بما لا تشتهي السفن وذلك انا شرعنا
بلعبه الخط (20) والاشكى ان الناسك ادعى في
بادئ الامر جهاله تلك اللعبة وسالنا ان نعلمه اياها
ثم شركنا بربح مرتين وبعد ذلك فلك بنا فشكه
شركنا صفر اليدين فوربنا وبحن نجد الحياه اذ
كان اللص يجمع ما كسبنا من على المائده بعفا بديه
باعيا في جيوبنا امعا واسى فحسن اللعبه التي
تكون التداول فيها فلا تربح ادنى عشره كلمه
يكون فيها كدرا وكان الجندي عند كل عسه
يربح ادنى عشره دنانيا وقدرها من اللعبات المتطلبه
بلا بمانات اما انا فكنت اعض اصابعي بينما كانت
اصابع الراهب مشغوله بجمع مالي ولم يمر قد سيه
دون ان يستمع به واسهى به الامر الى ان دريا

---

(20) نوع من العاب الورق يدفع فيه ورقه
المصراف واحرى المعاط وتكون الرابحه الورقه التي
يمشي اولا يسبقها من الاوراق التي تسحب من
المجموع

حاني الوهمي فسالناه ان يلاعبنا على المسة ولكنه
بعد ان ربح مني سمائته لبون كانت كل ما
احمله ومن الجندي المئه لبون التي كانت معه،
قال ان ذلك انما هو من قبل التسليه فقط وان
شلا منا فريمه ولذلك يجب علينا ان لا نعكر
صلاعبنا من غير ذلك العمل واصاف بقوله ولا
يجمعو فيما ىىعىنى الحظ لا اتكل الا على الله ونما
انه ثم ذكر عاسن المغاره التي حولها فيما بين
الماعه ومعصمه صدمنا قوله واقسم الجندي ان لا
يلعب فيما بعد واقسمت ذلك ايضا وكان الملازم
العسكري اذ انه اعلمني حينئذ برتبة العسكريه
ناعن ديقول انه وقعت فيما قال بين اونرسس
ومسلمين تكني انه احرد مثلما حردت هذه المره
ما اراهب فكان صحك من كل هذا ثم عاد
فاخرج سجمه لمسابقه الصلاه وبانه وكيف قد
سمحت بعمر البدس ان يعطيني ما ادعيني به وان
دفع عنا حق الاسير اجرة المبوى حتى يصل الى
سقوسه لانبا صرنا لا نملك فلسا فوعد بان يقوم

بذلك ثم اردد بين شفتيه. واثم الحق اني لم ار قط مثل ذلك ثم قال انه ذاهب ليرقد ونمنا كلنا في غرفة واحدة مع اناس كانوا هنالك لان الغرف كانت مكراة لاشخاص آخرين ورقدت انا والحزن العميق مستول على نفسي اما الجندي فدعا صاحب النزل واودعه اوراقه مع صناديق السلك التي حولها وصيره من القضبان المتهدلة ورقدنا بعد ان رسم ... على صدره ... الصليب ... ... فكر كيف ... المال منه وكان الجندي يبدي في ... مستكينا عن المئة ... كما لو انها لم تنق لها ...

وجاء ... ... موقد فنوه ... واداه الجندي ... ... الاوراق فاخذ اللازم المسكين ... صباحا ... له الدار طالما ان ... الله ... (21) فاضطر

(21) استعمل المؤلف هنا كلمة Servicio سرفيسيو ولها معنيان مؤنه وخدمه وفي المعنى

الجندي وإذ كما ناح عليه بأن يأتيه بهما ذهب
مسرعا وجاء بثلاث سناول قائلا هاكم واحدة
لكل واحد أتريدون سناول أخرى؟ وذلك أنه
ظن أنها صابون بداء الرطوبة وعندئذ قام الجندي
وسعه بيده وجرى وراء الجندي مقسما أنه سيقتله لأنه
جرأته — هو الذي شهد معركة بماطو ونيسان
كثيرين ومعارك أخرى غيرها — فقدمنا له سناول
بدلا من الأوراق التي أعطاه إياها فخرجنا كلنا
وراءه نصده وكدنا نعجز عن ذلك وكان الجندي
يقول إنها الشدة لقد طلبت سناول سرفيسو
وليس علي أن أعرف أن هذه الكلمة تعني بها
في لغة الخدمة الأوراق التي سحبت وها مآخذ كل

– – – – – –

الأجر تستعمل في الجمع أيضا للدلالة على سنوات
الخدمة التي قضاها الموظف أو العسكري وهذا ما
قصده الملازم وفهمها الجندي على المعنى الآخر
وقد صح فيهما قول الشاعر كل يغني على ليلاه،
وهذا المشهد كله قائم على اختلاف القصد بين
الملازم والجندي في كلمة «سرفيسو»

واحد ثم هدأناهما وعدنا الى الغرفة. اما الناسك فبقي في الفراش احمرارا مدعيا ان الهلع قد اضر به ثم دفع عنا كراء الفندق وغادرنا البلدة سطر المرفأ حانقين على تصرف الناسك ومن رؤسنا اننا لم نتمكن من تجريده من المال

فالنقيا تحوي (22) - اعني بهذا الاسم هؤلاء الذين يطاردون المال في اسبانيا مطاردة الامسحة الدجالين المؤمنين - تصعد نحو المرفأ وورثة جادة وسيدة مطلة ساي المتمولين فتاجاه بالحديث لكنه كان يوجهه كله الى الكلام عن الدراهم فكأنهم قوم ولدوا للمال ثم شرع يسمي شراقصون ويسألنا اذا كان من الموافق ام لا اعطاؤها مالا وردد الكلام في هذا الموضوع الى ان سألناه انا والجندي عمن يكون هذا السيد فاجابنا ضاحكا انما هي بلدة من الطاليا يجتمع فيها رجالات المال الذين نسميهم هنالك بالحماشين المرسيين (23)

---

22) نسبة الى مدينة جنوة الايطالية

23) لعله يريد بذلك الاشارة الى علو مكانتهم

اضعفوا الاسعار ومن ثم يسيطرون على المال وقد
سمعتهما من ذلك انه في تبرانصون بدار دونه
فرانس . وسلاما غلبه الطرق فاصا علما انه
مسرف على الدمار بسبب افلاس مصرف له فيه
ما يربو على نصف المسكودو وكان يقسم
لكل امرئ يدفعه ان كنت اعتقد ان الدفعة عند التجار
كالمكارة عند المرأة ليهدر ... مما ليس له وجود
ويكاد ان لا يكون لاحد ممن يتعاطون هذه الخدمة
لأنهم سمعوا انها اذا نمت قليلا غضبت ولذلك اتفقوا
على تركها في المهد

وبينما نحن نتحادث اعترافا هذه الاحاديث
دا .. نصر ... سوره نعوته فسمع نارو من
الغرفة في تمشي نازعم عن نفسي ذكرى ما جرى
لي مع المعلم كرا لهذه الغرفة فلعب اللذيذة وعند
مدخلها رأيت أمي على قارعة الطريق ممطرا
فرفت نفسي لذلك المشهد ودخلت وقد عمرت

ان كان ذوو المكانة الرفيعة يضعون ريشة في
قبعاتهم

شيئا عما كتب عليه حتى غادرتها اذ وصلت اليها الان ملتحيا حسن الملبس وتركت رفقتي وجعلت ابحث عمن يعرف خالي حتى المعروف في المدينة فلم اجد احدا يرد عليلي وهكذا سألت كثيرا من الناس عن الوصول رامبلون فلم يدلني عليه واحد منهم بل كان جوابهم انهم لا يعرفونه فصرخت كثيرا لرؤيتي هذا القدر الوافر من اهل الصلاح في بلدتي وبينما انا في هذا اذا بي اسمع المنادي يصيح معجبا بصوته وخالي يعرج بمعارفه وذلك ان خالي كان يسوق جماعة من العراة المكسوفي الرؤوس في طوافهم ويعرف بمعرفته على صلع جسمه اعواد بحمل بدل الاوتار حبالا موسيقى احدى الاغاني البسيطة التي تغنى في الشوارع وكنت اراقب هذا المشهد برفقة رجل قلت له حين سألته عن خالي اني من عائلة بيتية واذا بي ارى خالي ورآني يدوره لزوره بجانبي فارتمى على عاتقي ويدعوني بابن اخيه فكدت اموت خجلا وابتعدت دون ان اودع الرجل الذي كنت

احادثه وذهبت مع حاتي فقال لي تمكنك ان
ترافقني ريثما افرغ من هؤلاء القوم فها نحن الان
عائدون من الطواف ولا بد لك اليوم ان تؤاكلني
اما انا فقد رأيت نفسي على متن حصان واني
من تلك الجماعة اكاد اظهر كواحد من المخلوقين
وحسبه بادي الحضرة هنالك وهكذا انفصلت عنه
وقد احد منى الحجر كل مأخذ الى حد انني لو
لم يكن السلام تركني متوقفا عليه لما كلمته في
حينه ولما ظهرت بين الناس

وفرغ من فرغ اكتافهم ثم عاد وذهب بي
الى داره حيث جاء واكلنا

الفصل الحادي عشر

في صناعة خالي وزائريه وقفص تركي
وعودتي الى العاصمة

كان مسكن خالي بالقرب من الجزر في دار
بعيدة فدخلناه وقال لي ليست هذه الدار بعض
ولكن صديقي ... من احسن بائعي مستنبة
مصرف يؤويني. وصعدنا درجا اضطررت ان
ابلغ اعلاه لأرى اذا كان يمر عن المسقفة شيء
ثم دخلنا غرفة منخفضة السقف اضطررنا ان
نحني فيها مطأطئي الرؤوس كمن يتلقى البركة
وعلق خالي المطرقة في مسمار كان هناك الى جانب
مسامير اخرى يتدلى منها حبال وبابسط وخناجر
وخطاطيف وغيرها من ادوات حرفته. فسألني
لأي سبب لا انزع عني معطفي واجلس فاجبته ان
ذلك ليس من عادتي. والله يعلم على اي حال

كنت حين شاهدت دناءه حالى وقال لى ان حظى
كان كسرا لاتعائي به في فرصه حسنه كهذه اذ
انى سالقى غداً سيما وانه قد دعا بعض اصحابه
وانات دخل في الباب واحد من الذين يطلبون
صدقات لاسعاف انفس الموتى مرتديا جبه مفسخه
اللون تغطي حتى خمص قدميه وقال وهو يقرع
الصندوق الذي يجمع فيه الصدقات لقد كان
سعائي اليوم من انفس الموتي بعدد اسعافك من
المخلوقين فهات بندقتك ووضع كل منهما اصابع
يده الخمس على وجه الاخر دلاله على الموافقه
و الاتحاد ثم سر جامع الصدقات حينه عن ساقين
معوجتين وسروال من نسج الكتان واحد يرقص
سائلا هل جاء كلمة طي فقال ان لا ولكنه ما
كاد يلفظ كلمته حتى اطل علينا في ساعه سعد
زمار بلوطه اعنى به راعي خنازير ملتفا بقبعته
محدبه قمعانا فعرفته ـ حاشاكم ـ من القرن
الذي كان يحمله بيده ولم يكن ينقصه الا بنسر

على ما هو مألوف الا ان يحمله على رأسه (1)
فحمانا على طريقه ودخل وراءه خلاسي اعسر
ازور يحمل معه دربد اطارها على لحف حمل
ورأسها على رأس نحره حور ودرندي سروالا
من جلد الجاموس وعلى جسمه سيف مقبضه اكبر
رؤوسا من مقبضه الملك صغورا (2) اما وجهه فهو
عبارة عن نسيج مسرد لانه كسر البدن كأنه
مسرح فدخل وجلس وبعد ان حيا اهل الدار
التفت لي حيالي قائلا وحملك بنا الوصول لقد
احس الدفع لخلاد لي من الروم و الفارسي
فتصدى ذو الاعس قائلا انما اعطيت انا فلسا
خلاد اوكانما اربع نكات لعمر الحمار ولا ناحد
المعزة ذات الملاك ضفائر حمر جلد فقال

---

1) حكي في الاساطير ندى قرون من نحد فيه
روحيه

2) اتي سوريه في كلمه gav-lan فتستعملها
اولا بمعنى لحدائد الماثلة التي تحمي مقبض السيف،
وثانيا بمعنى صغير

الحلوا ر ه والله لقد كافأت لورنسو في مرسيه احسن مكافأة فقد كان الحمار يسير كأنه يقلد السلحفاة بطئه اكثر ذلك الماكر الذي المقارع حقيقة حيث ثم يحدث لي سوى بعض الانفعالات في لجلد وذلك قاطعه راعي الحمار مستحجا بقوله ان صحيح ما زال ذكرا فقال المسئول باسم القوس لمقصده ما من حمير الا يأتي عليه يوم سان مارس (1) وقال حامي لصالح الوسعي ان الصحر على كل من يحملون المقارع ان من وصى به اعامله كما يجب فيحلوا اليوم دفعوا ي سير (تاموسا) وقالوا في مقابل ذلك مقارع صدقوا بالفرصة الوحيدة الصغيرة،

---

(1) يقع عيد القديس مارس في 12 دوفمبر اتسرس اسالي وفي هذا اليوم كان يبدأ ذبح الخنازير المعلوفة بقدد لحومها لعصر الشتاء ويعني مثلا قولهم ما من خنزير الا ياتيه يوم سان مارس اي ان كل واحد لا بد ان يأتيه نصيبه ما عاجلا او آجلا

اما انا وقد رأيت ما هم عليه من المسار
اصدقاء خالي فاعترف بان ماء الحياء ورد وجنتي
حتى لم استطع ان اكتم خجلي ولاحظ ذلك
علي الخلوار فقال ان والدك هو الذي خلد مند
ساعة فعلمت ان والدي ليس ممن يعاقبون مثلهم
وحينئذ تصدى خالي للكلام فقال انه ابن اخي
وهو استاذ في الفقه وذو مقام رفيع هنالك
فاعتذروا لي وعرضوا علي كل عطف ومساعدة
ولكن في باطني تحرق على ان آكل و فص
ترحمي و بعد عن حالي

ثم مدوا الخوان واصعدوا الطعام من مطعم
قائم وراء الدار ترساً لف حول فمه كما
تصعد الصدقات الى المساجد في غانا فصاغ واداروه
ودنان اعتب بها ايدي العدم وأبى لاحد ان يعقب
عمي وعاري ثم جلسوا حول الخوان وتصدر المسؤل
واحتل الاخرون مقاعدهم دون ترتيب ولا تردد
ان ادلي بما لا املاه وانما اقول ان كل شي
كان مما يسر وجرع الخلوار الات كؤوس

من المسد الاسود. اما راعي الحارد فحس رابى على تلك الحاله احدث ىده تساول الاىرىو من ىدى على الطائر ويحرع من الكؤوس اكىر مما ىعوه به سفاهما من الكلمات ولم يخطر الماء على دهن احد ولم يكن لاحد رغبه فيه

ثم مر فوق الخوان حسسه وراص من الحلوى من نوع لا يعد درهم فساول حلهىه مرسه ما المقدس وبعد ان ازالوا من الاوراص الغصص الصحيح تلوا صلاه قصيره حسوها بالدعاء وتمدى الراحه الالديه تعس المنت الذي اخد من حسمه لحم الاقراص (4) وقال حالى لا سك انك ستدكر ... حتى ما كتبت اليك بسان و لذلك فعاودتني دكرى ما في تلك الرساله واكل النعمه اما انا فاقتصرت على تناول اسفار الاقراص ونعسب تلك العاده عالقه بي ولهذا ما زلت حتى اليوم حين آكل

---

(4) راجع ما قلناه سابقا في الفصل السابع عن استعمال لحم الموتى

اقراصا من الحلوى اناو ،، السلام عليك يا مريم
من احل نفس من احد لحم لاقراص من جسمه
وامتدت الايدي مرة بعد مرة الى الاناء من
الخمر وبلع بالحلوى والساتين ما جرعاه الى قال
احدهما وقد حضرت صحفة من المقانق المسمنة
بالاصابع السوداء انه بات تؤدي بدعوة مطبوخة
وكانت حال جانبي حسب انه مد يده وقبض على
واحدة منها قائلا — وقد جاءت الصحفة صوبه
وقرب احدى عشيه مما كانت اخرى يعوم في
الشرف — ... من احسن حق هذا الخمر الذي
جعله يثرب على صورته ومثاله لم آكل قط لحما
مطبوخا كذا من هذا ام انا فحسن اضرب الخاير
... يده و... تناول الصحفة قائلا ... بعد ... شرق
المجرى وترعى خنازير سلاله عليها وبريه في
فيه قائلا اعطيـ ... ما احسبه من ميتة لشرب
احدث اضحك من جهة واتلمظ ... من جهة
اخرى وابي حرق فتناول المسول صحفة بين
يديه قائلا ان الله قد ترك الطاعة وبدلا من ان

جمعها على بعضه لتحسسها وضعها على خده ثم قلبها
وأخذه يسوى بذلك الورق واصبح كله من اعلى رأسه
الى اخمص قدميه على هيئة مربعة وحين شاهد نفسه
على هذه الحالة حاول ان يقف ولكنه احس بثقل في
رأسه فسقط على المائدة ـ وكادت من الموائد التى
جرت سيولة ـ فقسمها واطاح لاخرين وبعد هذا كله
بقى ان رأى الخبازين دفعة وان رأى هذا ان الاخر
ساقط نفسه ولاخوانه قام بدوره ورفع الفرن وضربه به
ضربة ثم تماسكا بالايدي وعض المسؤول راعي الخبازين
في خده . وحينئذ كانا متلاصقين اذا بهذا من
جراء الهيار من والسقوط يقع في وجه المسؤول
الذى ما كان قد كله

اما حالي وكان اكثرهم تماسكا بنفسه فصار يسأل
عن جاء الى داره بكل هؤلاء الاكليركيين . وحين
رأيت انهم صاروا يضربون في الجمع (5) اعدت السلم

---

5) كناية للدلالة على انهم في حالة سكر
لا يعون ما يقولون فكأنهم في عملية الجمع
يضربون الارقام بدلا من ان يجمعوها

الى دصاله .سهم و قلب كلمهما من بد الاحر

ورفعت الجلوار الدى كان منطرحا على الارض

سكي حزن عميق ودفعت حالي الى الفراش

فما كان منه الا ان ارتمى على مائده دات

قائمه واحده ظنا منه انه احد الضيوف ودرعت

الشوق من بد راعي الحمارين الدى لم اكن لاقوى

على امساكه بعد ان رقد الاحرون اد كان يصيح

مطالبا سوقه وبلا به لا حد يعرف ان يصيح به

لحنا مثل ما يعرفه هو وانه يريد ان يعرف

الارض واحس انا لم افارقهم الا بعد ان رأيتهم نائمين

وخرجت من الدار وقصدت ما بقى من لنهار في

الاطلاع على الراضي وتعرفت على دار العلم الدار

فقيل لي انه توفي ولم احتج الى السؤال عن

سبب وفاته لعلمي انه لم يدرك في الدنيا شيء

يسمى حوعا

عدت الى الدار ليلا بعد ان قضيت خارجا

عنها اربع ساعات فوجدت احدهم مستلقيا ييدب

على يديه ورجليه في الغرفه باحثا عن الباب وهو

يقول انه قد أضاع الدار فانهضته وتركت الآخرين
نائمين حتى الحادية عشرة ليلا وإذ ذاك استفاقوا
وسأل أحدهم وهو يتمطى كم الساعة؟ فأجابه
في الخمر - وقال السكر لنا براءة - إنه لا
... وأننا في ساعة الطفولة وأن الخمر ...
وطلب المسؤول ... غدوة الغد
... طالبي ...
أن عقد ... سار إلى السماء ... وم
واحد صح مناديا الآخرين قائلا أن النجوم طالعة
في رابعة النهار وأن الشمس قد كسفت كسوف
... فرسموا جميعا علامة الصليب وقبلوا الأرض
أما أنا فعند ما أبصرت مكر المسؤول خامرني الأسى
وعزمت على الاحتراز من أمثال هؤلاء القوم وكنت
كلما شاهدت هذه المنكرات والحماقات ازددت
في الرغبة بأن أرى نفسي بين قوم أشراف ونبلاء
فصرفتهم واحدا واحدا كما ساعدني الحظ وأرفقت
حالي الذي لم يكن لبرائله المكر وأن رائله السكر

ووجدت انا فوق ملابسي وبعض الملابس الاخرى التي اراد الله ان تكون هنالك

وعلى هذه الحالة قضينا الليل وفي الغد حاولت مع خالي ان اتعرف على تركة والدي واستلامها حالا فدفعنا ادبي مضض ولا اعرف السبب فسقط رجلنه ثم نهض وحادثنا في شؤوني وقد اعتادني الامر ان خالي رجل كبير السذاجة والابتعاد عن معاقرة الخمر واخمر وعنه بان يعلمني بحسر فيه من ثروتي — وان لم تكن كلها — وهكذا اعلمني بثلاثمائة ذكية رتبها المرحوم والدي بمدينة وودعها عند امرأة حرة كان يثق بحسن كفيتها في ما امتد حولها من هذه الثروة على بعد عشرة فراسخ

وخلاصة القول ولئلا اتعب حضرتك بالاشياء استلمت مالي ولم يكن خالي قد سرقه ولا اضاعه فكان قدرا وافرا لو قس بمثله عماله لانه كان يؤمن ان استعمله للدرس والحصول على شهادات عالية وان ابلغ بذلك رتبة كردينال لاعتقاده

ستهواه نوعها اذ كان هو دلها بمعارعه دون جهد (6) وحين رأى المال بين يدى قال يا بنى ان لم تصلح نفسك وسلك جادة الخير والصلاح فعملك معه كسره لان الله من يعصى امره وبين يديك مال وانا لك في كل حين وكل ما عندي وعد ارجعه سما هو لك فسكريه مكرا جزيلا على هم السجن وقضينا الشهر في جادث لا طائل ورائها وفي يد نرنارة الاشخاص المذكورين سابقا وامضى جانب العشية في لعبة عظم العرقوب (7) مع راعي الخنازير والمسؤول وكان هذا مراهن على

---

6) استعمل المؤلف هنا جناسا لا يمكن ترجمته بكلمة كرتمانيء اذ لها معنيان في الاسبانية الاولى تدنيه تعزيته وهو المقصود اولا والحدود التي يسمعها في السجن الضربة السديدة وهو المقصود دائما

7) لعبة تقوم برمي عظم العرقوب في الهواء فاذا سقط على الارض وسب على جانبه الصقو ربح اللاعب.

الفداءات (١) تفيس براهن على أي شيء آخر
وكان مشهدهم وهم يتداولون العظم مما يستحق
أن يرى، إذ يتناوله رامية من الهواء وبعد أن
يهزه في قبضة يده يدفعه إلى الآخر وكانت لعبة
العظم تعجبهم بديلاً عن لعب الورق ومنها يستخرجون
ما يتداولون به معمل العطس لأنه كان يحلل
أزاهيره دائماً أسرع من الخمر

حتى الليل فذهب الآخرون وبقينا أنا وجاني
كان في سريره إذ كان قد جهز لي فراشاً وحين
أصبح الصباح نهضت من قبل أن يستيقظ وذهبت
إلى فندق دون أن يشعر بي ثم عدت وأغلقت
الباب وسددته من الخارج ورميت المفتاح إلى الداخل
من تحت عتبة سر منه العظم

ولما قضيت سنتان ذهبت في فندق الحسين
وانتظر فرصة مناسبة للسفر إلى العاصمة وتركت
في الفندق رسالة مختومة أخبره فيها بذهابي وسببه
وأوصيه بألا يبحث عني لأني لن أرجع أبداً فيما بعد

---

(١) أي على جعل الفداءات

الفصل الثاني عشر

في فراري وما حصل لي خلاله حتى بلغت العاصمة

في ذلك الصباح كان سيبعث لعبد ربه سوى تجار يبعثون حموله في العاصمه وكان معه حمار فاكتريته منه وخرجت انتظره امام الباب وما ان خرج حتى امتطيت الجحش وبدأنا نقطع تلك المرحله وبينما نحن سائرون كنت اردد في باطني قائلا ألا فاين هنالك ايها الجمال يا غاديا على الصالحين وفارسا على الرقاب

وكنت افكر في اني ذاهب الى العاصمه حيث لا احد يعرفني ــ وذلك خير تعزيه لي ــ وانه لا بد لي ان اتكل على حداقتي وحدها وعزمت على ان انزع عني هنالك ملابس الطلاب الطويله واستبدل بها اثوابا قصيره على زي العاصمه

ولكن فلنرجع الآن الى ما عمله حاجي بعد ان
ابلغه الآغا انه يحسبه الذي القى بنفسها
حسبما ياتي

رسالة

حضرة السيد الوجيه زاماوي بعد ان انعم
الله علي بنعم عظام كالحبه من امام عيني والدي
كريم والداته والدي في طلبته - من حيث
اني الآن اعرف بيه من حرج ... بيه ...
ان ليس لي من نعمة سوى ان اعمل لك ... بعمر
بالعمر وعليه اني اريد ان اكون وحيد سلامي
- لانه من المستحيل ان يكون منها اثنان - ما ...
عن بدنك وبقطعني كما عهدت بالاخرين ولا
تسأل عني لاني مفكر ما ... من قريه واحده
لك والله

ولا حاجة الى الكلام عما قد يكون حصل
به من فرط الهول ورمدي به من ... ونسبه
ونرجع الى ما وقع لي في طريقي بعد ...

أسير ممتطيا حماري المساوي (1) متمنيا ألا ألتقي
بأحد وأنا في زي من يعتقد بسلا يمثل زهوا وقد
ألقي عليه معطفا وبعلبد بها ولبس سروالا يبلغ
الركبة واحتذى حذاء يغطي إلى ما فوق ساقه
ومن حسن الهداية وكان طوقه مفتوحا وقبعته
محشوة إلى أحد جانبي رأسه، فظننت أنه من
... وأنه يريد عرضه إلى الوراء فادركته وسلمت
عليه فنظر إلي وقال إلك ... حضرة الأستاذ
تسير على متن هذا الحمار أكثر اطمئنانا وراحة
مني بكل هذا الجهاز فحسبه وقد فهمت من قوله
أنه يعني بذلك العربة والخدم الذين يركبهم إلى
الوراء حقا إني اعتبره أهدأ من ركوب العربة
التي - وإن كان حالك قادما بكل رفاهية في
العربة التي تركبها وراءه - أحد منها كثيرا في
ثباتها من حبب إلى حب فقال مضطربا إنه

---

(1) نسبة إلى المانشا وهي مقاطعة إسبانية.
وإليها ينتسب دون كيخوطي بطل قصة سرفانطيس
الشهيرة

عربه نعبي؟ واذ انعث الى الورا نعمت سعـض
سروا'ه لان السكة انقطعت ولم يكن لديه سوى
واحده فكدت اموت ضحكا من ذلك وحينئذ
سألني ان اعيره سكه، اما انا وقد ابصرت انه لا
يرى من القميص الا كميها فقلت بالله عليك يا
سيدي! ان لم يضطر حد لك فلن اقوى على مساعدتك
لانه ليس لدي سوى سكه واحده فاجاب وهـو
يسد يده على سروا'ه الذي بدا عبر قميص على
قامته دان ذلك يحزن ولا حرج لانني لا اوهم ما
يعني باسرتك في خدم واقصح لي عن حالـه
ـ في باب الاعمار ـ الى حد انبا ما كدنا نقطع
نصف فرسخ حتى اعرف اي ناسي ان لم اسمح
له بركوب الحمار فلن يكون له سبيل الى بلوغ
العاصمة لاعانه من السير بلا نعصه بيده على
سروا'ه فداخلت نفسي الرأفه وترلت عن الحمار
وحسبت انه لم يكن بوسعه ان يعلق السروال فقد
قصرت الى رقعه واركانه وقد هالني ما شدة
حسن مسننه: وذلك ان لعطف لم يكن له من

طالة في ما عطله من العجز سوى انه دعسهما
فقال وقد احس بشيء رأيت منه ذلك انا حضرة
نسدا من كل ساع بذهب ونملك املك حين
نصرت طوفي ممسوحا وحسن هند مي ضمت اني
من اسماء الكونتي دي ارلوس (2) فاه ان هند

---

(2) كونتي دي ارلوس — هو ...
... رمان وقد وضعت قصة شعرية حول حدث
وقعها انه ذهب في سرق تجارة سنة ... الرحي
رحى ... عد ... معها انه ذا العصب
عه عوم ... رجع من الشرق مهاجر تزوج
حد ... حب فبعد مرور خمسة عشر عاما
على ضياع أخباره عمد بعاصمي بلسوس لي
تروس ... الكوندي وتزوج
بالكونتيسا زوجة مستعدة صون رولدان ولكن
الكونتي دي ترلوس رجع بعد ان قام بمغامرات
خطيرة واراد ان يثأر لشرفه المهان ، ولكن
الامبراطور والاشراف تدخلوا في الامر واصلحوا
بينه وبين رولدان وعملوا على استرجاع الكونتي

العجمي الفصيح بمعنى الأمر فيما [illegible] في هذه

[illegible] فيما [illegible] مؤكدا أي اقعد [illegible]

[illegible] وما رأيته حتى لأن [illegible]

هذا [illegible] حتى لأن [illegible] في [illegible] ما [illegible]

[illegible] في [illegible] فيما في معنى منها [illegible]

في [illegible] حاكيا من [illegible] في أحسب أو [illegible]

[illegible] كما [illegible] لما [illegible] أي [illegible]

[illegible] حضره لا [illegible] من [illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] وجه [illegible]

[illegible] (آ)

(١) [illegible]

[illegible] على الماضي [illegible]

[illegible]

[illegible]

(٤) [illegible]

[illegible]

وليس بوسع من لا يسمع عنده ان يكون من طبقه
الاشراف (٢٠) وقد ادرك فيه صعلوك اشرفه
حين رفض ذات يوم وصيه طاويا صاحب مطعم
[illegible] في [illegible] معالي سرحسن من الاجم مدعيا
[illegible] سن منه حرف مذهبه ولكن لا يكون
[illegible] في [illegible] [illegible] منه في الحروف والكسر
[illegible] ومع هذ كمه من الحروف عنه فلمله وبعد
[illegible] حى خمدى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قع [illegible]
[illegible] (٢١) في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] رود [illegible]

— — — — — — —

(٢٠) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تقطيع عنده
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] في [illegible] [illegible] و [illegible] [illegible] الاملال
(٢١) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] على شعر [illegible] وقال ابن العربي لا
[illegible] يروى [illegible] وقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
آخر واحد [illegible] [illegible] الجمعي لا الجاري فكانت
[illegible] انه [illegible] حاجه لذلك [illegible] الى الاحد لانه
ان [illegible] [illegible] [illegible] ان له ما [illegible] قوته

بالنحو القومي في أمونرو - إذا كان نحمل
كل هذه الأسماء - قد وجدت كلها في كتابة قديمة
ولم نعثر في ما بعد سوى على صور ولكني
نحو حالتي لا أحد من يجيب الله لا من بين
حالة قديمة أسماه حملة في حالة لا هو الحال
في أرمدون و أسدون، و جودون و بلدون
و [illegible] وغيرها (7)

---

7 كلمة أصول معها [illegible]
[illegible] غير خاملي [illegible]
[illegible] معناها في حد أوجب
[illegible] حتى غيره [illegible]
[illegible] ولي هذا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] إلى [illegible]
[illegible]
[illegible]

١٨٦

وانى لاعرف دان بلادنا هذا المسال وان
سروده الاصاحبك فد لدنى وسرحت خاطرى
فسا ه عن ه وق س هو ذاهب ولذا فعال
ه بحس كان اهد سه وهى صوت صوت سو
يرد بعض بحو عومت ذى موه ى حوردان
وحو عال ه د ر وقت سه اكسر صمنا تنه
. . صوت وسى لد للدوى خرس

وحسرى بعد ست ده ذهب ى بعصه
ب ست بحس حاد سه فى ور صعبره سه
سه بحده سه على بعد يومى وهو لا يعى
حد معه يعو سه ذهب ى وصل
سرت حب سمع محل مجمع وحب سكون

م عب اصوا فسعل يوم بدوى خلفه
لو بصه ى روعه ووضع قل لسم مسوفا كلمه
اسمورا

هذا ون سرف فى اعمال الالعاب وامه
حب مه مه ى ذو وعله ت و بالصعه
مسرت

تسريده نجد موند مسوخه لكن فهم و صادق
بقوله ما دخلتها قط وحلف صريحى من مائة
يمين و حرمت فرأينا سيرجوفه او مشدده امد
متى سنة او من بعمر مما هو محرم لان محارة في
نعاصه كالا لسر حول كل ما نمسه دهنا اما
انا فرأيت اعرج حتى كلامه وحوله ميحة من
ساب ذوي المعرفة بن عمر على انف وسع
من عشق في العاصمة من هم على ساكنة ... يكون
بسبب ان الامر على ... عسر و تعقد
... يقصرون على ما هو بهم و ... المسون
ما هو لغير فقال امر هذا الصنف ... كثيرون
ولدت من الصنف الآخر وهو الى المو معسح
محب بشيخ به ان ... في من عنده الكة
وان اردت ان لا يعلو عليك كلامي فاسمع ى
حوادثي وحدي فنامن من كل ست

الفصل الثالث عشر

وفيه نوضح أسرار السحر وما وعد به
من فضل حالة وعادته

— —•

سبت ب يعرف ود ن في اعتنيه باسما
حيث مس وعليهم عماهم وقهرهم ون فيها
حرف الامور لديها وبها تسير الاسرار وتختفي
أحمر ون فيها نوع من الناس على ما كلمي
ا عرف بهم مالك باب يد مثل و ى سبي
آخر يجد منهم واما سحر فيما سبب يعقب
مجالات بعضها يمون د غرر ن بذكائه والبعض
بحر حالة ويرعم ر ة وجوه وغرائب وكلمس
واخذه بمعه ا وشا ما يكون حاوي الطاوي
لان يرج الموت من بعد ان لباعث العظمى
ويبدأ ت اولئه وبث المطاعم وصوف بالعسر
ويجد قوم بأكل الركن ويظهر انه بذلك مسمن

فمدحن و حد د رنا مرور فحد مس كما ملاى
بعناه الصاً و اصور وصور الفوكه والنات
مسدود سرس الحرو وحلودها وان هذ جمعه
من مسد الملا مفحر به نهار وحس سدحن
الصف سارع فمد ممس فعول احدنا امن الممكن
ان لا تكون اى سلطه كافيه لاحمر هذه العماه
على الكنايه فحسه لاحد ععو منها قال
بعض الصح ... دو هو وهو الحد ...
ومن لا عرفنا حق معرفه بتعاطى عنده خدمه
ويعقد ان امر لما مسه ويصدق بنا فسا ونمه

ما عن احسانا على ... ى ...
... و حرج ... لا ... مكر ... بحث
... عرف ... عنه ا ... فعصده ... نه
... حر ... عرف ... على ... عمد ... فه
... فه حلس فصدقه و ... عن ...
... نا ... به ... ه ... ومن ... عنه
... بدعوه ... هذ ... حر ...
انما صاحبي مر ... عدده واذا ... هو ... ادو

[illegible]

احمنا ان نلى وان كان رب البيت يجيد فقد
الطبخ او الخبز او اللحم او اى شئ كان فاننا
نقول حادا تعرضه نردد فيها افهمه ما . والان
ونسمع حضرتك اذ يريد ان نقوم بمثل ذلك نمهمه
جاذبه الحو . فقد بان من عاده ـ وهنا نذكر
انه واحد من الاشراف لموقف دوكى او كوندى ـ
بكده انه خدمه ان نعمه بروئى قطع الدر مسه
بالاكل ، وما نفرغ من هذه الكلمات حتى نتناول
السكين ونقطع بعض اللقمة ونعد قليل نقول ما
حسن رائحته اجل ان لها ادوه اهمت الطباخه
ما يرع بذهنا ونرفق القول بالعمل وهكذا نذهب
بالسخرية نصف الصحفة المعب لانه لعب والسحر
لانه سحر وكل شئ لانه هو

ومتى فعلنا هذا الامر فاننا نجد فصعه مرق
من احد الاذكياء لكننا لا نساوله جهارا بل خفيه
حتى لا برهان على الاعتقاد بان ذلك من جانبنا
نعسف كثير منه حاجه

وما احمل ان نرى احدنا في احدى دور

النعت وما يبذله من عنايته في الخدمة فريدة بعرفة
الشموع ونبني بالشاول ونبسط الاوراق وندرك
الى الراحة وكان هذا للحصول على لدون حلوة

ونحفظ عن ظهر قلبنا ما نصيب كل واحد
منا من مجموعة النسيا لعدمه وكنا أن في
مكنه حتى ساعة معينة الصلاة لنا ساعنا الدرس
وما عرف ما نقوم به حينئذ وجدت ان الشمس
عدونا للدود لأنها تصبح من بعدنا وعن رأسنا وحرقت
وبما نقف صباحا مشوحين أسعار حب سعة
فمن على الأرض مدرسة من كل الخروق والجيوب
بدلاة من الرقع المضافة الى السروال في ما بين
الساقين فناتي نقص على جهة وبما أن هذه الرقع
تنعت برقعا فبات شيئا ما يراك من الجهة
والثية مصفقها أي القسم الامامي وبذلك من عادتنا
ان نكون والكمال بجميعه به نتابه نجيب شيء
ولبس عليه الاعتباء رقعة من الصوف ولا نعرف
هل الانعطف وتحرر من الايام الرحبة ومن صعود
الادراج المستديرة ومن ركوب الخيل وندرس وصعدة

تحرسنا من الضوء ففي الايام النيرة نبسر والساقان مفارنان وحين يحمى السلام لا يحرك الا الكعاب لانه لو انفتحت ركاننا اسوهدت من سراويلنا نوازها العديدة ولا شيء على احسامنا الا وقد كان من ذي قبل شيئا آخر وله قصة مثلا نحن نرى هذا اللباس العصري نات الكمين فقد كان سيئا سروالا ومن قال معطاوق بذي الامر فقه وهو ينظر الى ما يعدت ناظر حوت وعده نساء اخرى عمرها (1) اما الخفاف

---

(1) واشتريت ملاءة مدارية فلبستها ما شاء الله زمنا ومانعة ثم احتجت الى طيلسان فقطعتها ولبسته ما شاء الله ثم احتجت الى جبة فجعلته ظهارة جبة محشوه فلبستها ما شاء الله ثم اخرجت ما كان فيها من الحشو فجعلته محادا وجعلت قضيها لعمامات ثم جعلت ما دون خرق المحاد للملابس وجعلت السقاطات وما قد صار كالخيوط وكالقطن المندوف صماما لرؤوس القوارير

الجاحظ ـ كتاب البخلاء ص112 طبعة لندن 1900

فيكون فيل مبادئل معلوبة عن مناسف كاتب سابقا اقمصة بنات ملاحف وبعد هذا كله يستعملها كورق وعلى الورق يكتب ثم يحوله سجقا يحمي به الاحذية، فقد رأيت هذا الدواء يسقي احذيـة ثم يكس برجي لها حباء وما اقول في قرارنا من امور لئلا لئلا نرى معاطفنا الصلعاء واردينا الجرداء اذ ليس فيها من الشعر اكثر مما في الحصاة ولا ادري ما هي حكمة الباري في منحنا الشعر في اللحى وبرءة من لعاطف ولكن لا نستاحين حقامين اقعنا على ان نقصر دائما الى ان يطول شعر واحد آخر منا واذاك نتبادل الاثمان برعة عملا بما جاء في الانجيل ودعاوا كلاخوة البررة ونحرس من ان نتأ نواحد منا منازل الاخرين حتى يعلم ان واحدا يتعامل مع نفس لقوة الذين نتعامل معهم واحد آخر وما ادراك بالعبرة من الطوى!

من واجبنا ان نتجول في الشوارع فنقطن حوادثا مرة في الشهر وان كان حجنا وان نركب

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

ومن [illegible] عن [illegible] فان [illegible]
[illegible] وجد [illegible] عن [illegible]
[illegible] بعض [illegible]
[illegible] وبعض [illegible]
[illegible] اما [illegible]
[illegible]

وفيها [illegible]
[illegible]
[illegible] عن من [illegible]
[illegible] مقابل الطعام [illegible]
[illegible] مقابل [illegible] الملابس [illegible]
[illegible] الذي [illegible] عن [illegible]
[illegible]
[illegible] اصحاب [illegible]

ومن [illegible]
[illegible]
[illegible] ومن [illegible]
[illegible]

[illegible]

الاستاذ ان السريف يمكن ان ينقصه هذه الامور
كلها اما الطوق المنسي فلا، وذلك لان الطوق
مفتوحا ... ... وهو منسي يصلح
... ... على جهته اذ ... المرء
في ... ... واعلم جماما ما حصره
... ... يجب ان يجاور عدد حاجاته
... ... في ... (3)
... ... في ... ... ان
في ... ... ام في ... وكذ
في ... ... ومن حسن المصرف فهو
... ... ما ...

... ... يسلكها ذلك السريف
... ... الى حد اني
وصلت وانا ... راجلا الى لاس روزاس (4) حيث

3) يستعمل المؤلف هنا جناسا في كلمة faltas
معناها الاول العوز او الحاجة والثاني امتناع الحيض

4) لاس روزاس Las Rozas اسم المدن مقاطعة
مدريد على مقربة من الاسكوريال

وقضينا تلك الليلة وبقي الشريف بمعيتي اذ لم
يكن لديه فلس واحد وكنت من ناحيتي مدينا له
بمصالحة ابي لانه فتح عيني فيها الى امور كثيرة
وقادت نفسي الى الجبال فاعترفت له عن رغبتي
فقال ان نرفق فعاودني ميل ورجا قائلا انه كان
يؤمل ان يفعل كذلك فعلها في رجل عاقل مثلي
وعرض علي ان يعرفني في العاصمة بعض اخوان
الجبال وان اقيم معهم كاتبا في البلد الذي يسكنونه
فقبلت نصيحته ومن اجله بالذات [illegible] كتبت
احسبها لو اقتصرت على الاقامة بذاته بمدينة فحسب
وقد كانت هذه الكلمة مع ما قلته واقنعته من حسن
كتابة لكسب مودته

فاستردت له من رب المثوى ثلاث بطاقات
فربط بروابطه بها وبعنا تلك الثلاثة ثم سحرنا
فقطعنا مدينة باكرا

الكتاب الثاني

من حياة الشاطر

الفصل الاول

في ما وقع لي في العاصمة بعد وصولي حتى الليل

على الساعة العاشرة صباحا بلغنا العاصمة وحسب الاتفاق قصدنا دار اصحاب [illegible] نزلها وحين وصلنا الى الباب قرعته ففتحته عجوز هرمة سمتها البؤس فسالتها رفيقتي عن الاصحاب واجابته بانهم ذهبوا يتجولون فبقينا وحدنا حتى الثانية عشر وقضينا تلك الفترة من حياتي على احتراق جذوة انتظار الرجعة واتأنى على كل ما نقوله انتِ وعلى الساعة الثانية عشرة والنصف دخل الباب طيف يرتدي جبة من الصوف الذي ساء قدمه وقد فاقت جنابه زينته فحدث الامارة [illegible] الجماعي واشار [illegible] عمر [illegible] وعرضه جدايه على [illegible] فاملا واخرج قمارا مع ستة عشرة بلبونا وبسطها جميعها بواسطتها قائلا

انها دراية بالاستجداء من اجل احد الفقراء فاقرع

الفقار واخرج واحدا آخر ثم طواهما على عمامة

لاطما وساه ثالثا لا يلمسهما فاجاب ذي الاهتمام

بد وحدت وثيا حمله انعمنا حمله بمال اي الدية

زوجا من الفقار واثنا هذا كله لاحث به

ثم برز ملمعا معجبه فسأله – كسيدي يريد

الاطلاع – عن سبب اسمه لديه بالمعنى فقال

يا سي في ظهري نقب وأسع نصحته رقعة من

الصوف ونعمه من الريب وهذا المبام بعظمها

كلها وهكذا أووى على المحولة ثم فتح المعطف

ورأيت ان تحت الجبة شيئا ذا حجم كبير فطننت

انه سروال اذ كان مظهره يشبهها ذه لكنه حين

سمر لندخل فعلى ادا بي ارى انهما دارنار من

الكرتون ربطهما بطاقة واحكمهما على ساقه

تحت كسوة الحداد حيث يخدعان الناظر لان

صاحبه لم يكن يلبس لا قميصا ولا سروالا

ولذلك كاد ان لا يكون له حاجة الى النعلى

اذ كان على مقربة من العراء وجحر المقلي (1)
ووقفت أوجه كلب فوقها في الداخل منفعل، فقلا
بذخر واحد آخر فحمدت الله حمدا وافرا على
تعويضه الخلق بالنضارة مما دفعه عنهم من العمى
وقال صاحبي - وهو بعد اولئك وأدا مصاب بداء
السروس (2) بعينه فلا بد لي من الانصراف الى
المرقع، وسأل عما اذا كانت هنالك بعض الرقاع
فاجابه العجوز - وشابت بعض بوميس من كل
اسبوع في جمع الخرق من الشوارع كي يجمع
عمره الورق لاجل ما لا يرجى له شفاء من امور
العريان - ان لا وان ضوى لو يسوي يسعفك
دل ندروسو اضطر الى ملازمة الفراش خمسة عشر
يوما لاصابته بداء الاقمصة (3) وفقد الخرق

وبينما نحن في هذا الحديث اذ برجل يدخل
علينا مخيفا جدا نسعر ومريدا كسوة سهما

---

(1) موضع النعلبه
(2) اي ان سرواله مقطع
(3) اي لا قميص عنده

اللون وعلى رأسه قبعة سد اطارها من الجانبين الى عل وحين علم من الاخرين بقدومي اقبل علي وكلمني بعطف كبير ثم نزع عنه المعطف واذا بثوبه - وتأمل رعاك الله ان كان هذا يخطر على بال احد - قطعه الامامي من الجوخ الاشهب والنصف الوراني من الكتان الابيض وقد بلل باطنه من العرق فلم املك نفسي من الضحك فقال الرجل مخفيا غضبه احمل السلاح (1) وان نضحك فاني لراهن على انك لا تعرف لاي سبب جئت بهذه القبعة مسدودة الاطار الى عل، فقلت انه تجعله تطرفا وتلقف الامطار اليه فقال «لا» بل لحجب الامطار واعلم اني اعمل ذلك لان القبعة لا تربط تحت نقرها وهكذا لا ترى ذات النقص وبعد ان فرغ من حديثه اخرج ثمانا وعشرين رسالة ومثلها من الملابس قائلا انه لم يتمكن من ابلاغ ذلك وكان مع كل واحدة من هذه الرسائل ثلاثون اجرة حملها وكان صاحبنا يكتبها بيده ويضع في

(1) مثل اسباني يراد به ان لاعمل ما اعمله.

اسفلها امضاء من احب، وكان يكتب رسائل جديدة يحملها الى اشخاص محترمين ويسلمهم اياها وهو يدلك الموت ويقبض اجرة ايصالها وهذا ما كان يفعله كل شهر فهالني ما رأيته من جديد في شؤون الحياة (١)

---

(١) وقد وقع كنيدو نفسه مرة في حبال هذه الحيلة التي نصبها له احد الرهبان اذ وصلته نسخة من كتابة رسائل فرس الكلاب وهذه نص الرسالة "لقد ضاعت الرسائل التي اعمها عن فرس الكلاب والاساليب الكسيرة والوسائل الحيلة التي تعرضها لمخاص الرجال من هجمات النساء لكني لم اجد نسخة واحدة تخلص بها حضرتك من دفع درهمين اجرة ايصال هذه الرسالة فعلك اقصره واقصد علاجا آخر الى فارسك والا طاب كلامه فقصره حفظ الله لك روح المراح والصحة طيلة سنوات عديدة هنيئة واراني اياه "الامضاء" الدكتور فراي نسطو برناردو دي مورالدس، على

ثم دخل اثنان آخران احدهما يرتدي قميصا من الجوخ يغطي حتى وسط سرواله ومعطفا من الجوخ ايضا وقد رفع الطوق لئلا يرى الحبش الذي كان ممزقا اما السروال فكان من الكتان ولكن لم يكن من الكتان سوى ما يرى اما العمامة فمن العمامة الخضراء وقد دخل صاحبنا هذا وهو يرعق مع واحد آخر يلبس ربطة بدلا من الطوق ويحمل بعض العمائم لانه لا معطف له ويتكئ على عكاز وقد لف احدى ساقيه بالسمال والجلود لانه لم يكن له سوى نصف سروال يغطي ساقا واحدة وكان يتظاهر بالجندية وفي الواقع كان جنديا ولكن من اسوأ الجنود وفي المكية عادته وكان يحدث بخدمات عريقة اداها ويتمتم حتى يدخل اي مكان ... فلا كان ... القماش والسروال يقول عليك ان تعطيني ... او على الاقل قسما ... والله ان لم تعطني ... وجهه الاخر يقوله

الخامس ... برناردو سنباتو دي عالمسا في 17 ... سنة 1613،

لا تحلف باسم الله واعلم اني حين اصل الى الدار ترانلي العرج فادبعك طعم هذا العكار،
وبس اخد ورد وما اعتادوه من تكدس واحدهم الاحر هجم احدهم على الماني وتماسكا وعند المساده الاولى حرج كل منهما داسمال الاحر في سده ووقعا سهما وسألناهما عن سبب الخلاف فقال الحمدي أمراح علي؟ انك لن تنال قدر حبه حردل منها ولتعلم حضرتكم اننا بينما كنا في سان سلبادور، وصل صبي الى هذا المقمر وسأله عما اذا كنت انا هو الملازم حوان ثي لورسانا فقال نعم لانه رأى في يده سيئا حاء به فقاده نحوي وقال ملقيا الي يملازم . فلبر حضرتك ما يبغي هذا الصبي وحين فهمت مراده قلت اني انا هو فتلقيت الابلاغ ومعه اسمي تسره بوطه واعطيته الجواب لامه التي ارسلتها الى واحد يحمل ذلك الاسم . وها هو الان يطالبني بالنصف واني لاقطع نفسي اربا قبل ان اتنازل عن طلبه ولا بد ان يبلعها كلها ابني فحكموا له في القصة وانما

خالفوه في مسألة تمخطه بها وأمروه بان يسلمها
الى العجوز ليسمع بها الجماعة فعمل منها اطراف
اكمام داره فنلوح كانها ممصان لان التمخط
ممنوع

ثم حين الليل وبعد ملاصقين كأنما ادوات
رصت في غلاف اما العشاء فلم يخطر على بال احد
ومعظمهم لم يسرعوا بأنهم لانهم يسومهم مرتدين
ما يلبسونه نهارا يمون بواجب النوم عراة

الفصل الثانى

وفيه سابع الموضوع المبدوء به وعيره مر
الحوادث العريبه

اصبح الصباح فأفقنا جمىعا وكنت قد امىرحت ىهم كما لو انىا كلىا احوه · وذلك ان في السر دائما هده السهوله والعدوىه الخارجىه وما اعرب ما كان من مشهد ترى فيه احدهم ىلبس القمىص اىىى عسرة دفعة لانها ىىركب من اىىى عسره حرقه وىرى الاخر وقد صلب رحله في ارقه السروال واذا به ىجدهامطله حىث لا يرغب في ان ىراها وترى الثالث يبحث بدلىل لىرىدي صدرته· فىمضي ىصف ساعه قىل ان ىهىدي اليها

وما انىهى هذا المشهد ولم ىكن بالشيء القلىل

قمص كل منهم ابرة وخيطا ليباشروا رتق الخروق
وكتب نرى احدهم مادا ذراعه ليرفأ بدون احكام
ما تحت ابطه وكأنه ابتلع لاماً (1) ونرى الاخر
جاثيا على ركبته محاكيا رقم الخمسة (2) وذلك انه
يمد بمساعدة حوارية ونرى الثالث وقد ادخل
رأسه بين فخذيه ليحكم طى ما يتصل بهما من
السروال قد ابتلت كله، واشهد ان بوسكو (3) لم

---

1) اى ان الواحد منهم حين يمد ذراعه
يصبح شبيها بحرف اللام الذى يكتب في الاسبانيه
هكذا L

2) اى رقم خمسه فى كتابه الارقام العربيه
هكذا 5 وهو يشبه الرجل جاثيا ومحنيا رأسه

3) بوسكو – لقب المصور الهولندى جيرونيمو
فان أكين (1450 – 1516) وقد ولد فى بلده بوالى
دوك Bois le Duc واليها ينسب ولذا لقب المصور
بوسكو وقد بقى كثير من لوحاته في اسبانيا
في دير الاسكوريال ومتحف البرادو

وبمثل فن بوسكو بمرحه الحد بالهزل فترى

تصور مشهدا اغرب من هذا الذي رأيته. لانهم
بينما كانوا يخطون كانت العجوز تمدهم بالمواد
من رفع وحرق باليه من مختلف الالوان كانوا
قد اتوا بها نهار السبت واتبهت ساعة الترقيع
– اذ كانوا يطلقون عليها هذا الاسم – واخذوا
ينظرون بعضهم الى بعض ليروا من منهم لم يوفق
في عمله. ثم قرروا الذهاب خارجا فقلت لهم اني
اريد ان تعملوا لي ثوبا حسب كيف ارغب و
صرفت مئة درهم في شراء واحد لادرج غني الجبة

في لوحاته خليط لم يعهد له مثيل سابق لكن
اخراج هذا الخليط محكم الاتقان وهو ما قلده
فيه الكثيرة. وكأن المصور اراد ان يصور باطن
الانسان وما فيه من تضارب وخلط. مما حمل
المؤرخ الاب يوسف دي سيغوانسا على القول في
مؤلفه تاريخ رهبنة سان جيرونيمو، الجزء II الثالث
ص 636 طبعة سنة (1605) ان غيره من المصورين
سعوا ليصوروا خارج الانسان اما بوسكو فهو
الوحيد الذي تجرأ على تصوير باطنه

فقالوا لا، وانما نعطى المال الى المستودع ولنلتمسه مما لدينا برسم الاحتياط ولنعين له دائرتـه في المدينه حيث يكون له ان يعيش ويأكل منها وحده

واستحسنت الرأى ودفعت المال لستودع وفى لحظه قصيره حاطوا لى من الجبه قباء جداد من الجوخ وقصروا المعطف فاصبح صالحا، وما فصـل جوابه الى قطعه قديمه جدد صنعها واستعاضـوا عن الشريط الذى يحيط بها بشيء من قطن المحيره احكموا وضعها ووزعـوا على الطوق والسروال والمسوى بدلهما سروالا قصيرا لم يكن فيه شقوق (4) الا من الناحيه الامامية اما الجانبـان والوراء فكانت من جلود الوعول ولـم تكـن الجوارب الحريريه بجوارب حقا لانها كانت تبلغ ما تحت الركبه باربع اصابع وما بقى حتى الركبه كانت تغطيه فوق احكمت فوق الجورب الاحمر

---

4) في ذلك العهد كانت تصنع شقوق عامودية في السراويل لنرى تحتها انسجه اخرى من الوان مختلفه يزين بها السروال

الذى جئت به انا وكان الطوق مفتوحا لسرقه
فوضعوه لى قائلين ان فى الطوق خلالا من الوراء
والى الخانسن فان المقت الملك احد وجب عليك
ان تلقمه الله كعاد الشمس وان اقبل عليك
اثنان ملتمسين من الخانس فقدم الى الامام
دون ان تلتفت وراءك ودع الصفة تقع دائما
على القفا بحيث يغطى اطارها العنق وبترك الجسم
بارزا وان سألك احد لماذا تسير على هذا الطراز
فقل لانك تقدر ان تسير مكشوف الوجه (5) فى
اى مكان كان واعطونى صندوقا صغيرا فيه خيوط
سوداء وبيضاء وابره وكستبان ورقع من الحرير
والجوخ والكتان والحرير المطلس وغيرها من الرقع
وسكينا ووضعوا الى بطاقه فى حقوى وصوفانه
وقداحه فى هميان وقالوا بهذا الصندوق يمكنك
ان تتجول اينما اردت دون ان تحتاج الى اصحاب
ولا الى انساء وفيه تحصر كل بلاديا هناكه

---

(5) ويعنى ذلك من الوجه المجازى انه سريف
السيره

واحمط به؛ ثم عبنوا لي حي سان لودس مردعا ادحث فيه عن معاسي. وهكذا بدأت نهاري خارجا من الدار مع المعه لكنهم نظرا لحدثي ارسلوا معي كمرشد لابدأ حياه الاحسال بمس دلك الذي حلسي وهداني اليها

خرجنا من الدار بخطى بطيئه والسحاب بين ايدينا وسلكنا طريق الحي الذي عينوه لي وكما سابه على الجمع، على الرجال برع قبعاتنا ... او انه ... على فعل ذلك بمعاطفهم وعلى النساء ... ... بها واكثر منهن يعبط بها الا...ون (6) وكان مرشدي يقول لاحدهم بعدا ... بدراهم، والاخر ... ارجو حضرتك ان يمهلني يوما واحدا لان المصرف سيأتيني بها وكن واتقا من ذلك. ورأيت واحدا يطالبه بالعطف وآخر بالبكه وعرفت من ذلك انه صديق اصدقائه الى

(1) الا...ون ... آدابي وهو لعب يسمه معناه كلمه أب ... على رؤسا بعض الادبار

حد انه لم يكن عنده شيء ملكه (٦) وكما في سيرنا
ننساب كالافعى من رصيف الى آخر تجنبا لمنازل
الغرماء اذ كان واحد منهم يطالبه بكراء الدار
والآخر بكراء السيف والثالث بكراء الملاحف
والقمصان مما حملني على استنتاج ان صاحبي
فارس كراء كالبغلة وحدث انه ابصر من بعيد
رجلا كان يرهقه ارهاقا شديدا بسبب دين له
لكنه لم يكن عنده مال ليعيده اياه ولئلا يعرفه
الغريم ارخى وراء اذنيه شعره الذي كان مجموعا
والصق رقعة على احدى عينيه وشرع يتكلم
بالايطالية وقد امكنه ان يقوم بكل هذا بينما كان
الآخر مقبلا لكنه لم يره لانه كان منهمكا في
الهذر مع احدى العجائز والحق يقال انني رأيت

---

٦) في الاسبانية مثل معناه ان ما للانسان
يكون لصديقه ايضا اي انه يضعه تحت تصرفه
ويلاعب المؤلف بهذا المثل بقوله هنا ان الشاطر لم
يكن له شيء ولما كان ما لديه هو رهن تصرف
آخرين فالشاطر هو صديقهم

الرجل يدور حول صاحبي كالكلب يريد الهجوم على فريسته ويكرر رسم اشارة الصليب اكثر مما او كان رآه، ثم واصل طريقه قائلاً «يا الله! طيب انه هو» ومردداً المثل المشهور من فقد نفره يحمل ذوي الاجراس وكنت اكاد اموت ضحكاً من هيئة صاحبي، ثم دخل فهو دار ليجمع شعره ويسرع للمرفه عن نفسه وقال هذه عدة نكران الدين فعلم يا اخي لانك سترى الكثير من هذه الامور في المدينة

وتابعنا السير وحين كنا في الصباح تناولنا في احدى الزوايا قطعتين من الحلوى الرديئة وجرعة من ماء الحياة من عند احدى الشاطرات التي اعطتنا ذلك مجاناً بعد ان رحبت بمقدمي فقال يمكن للمرء بعد تناول هذا ان يسير آمناً وان لم يجد ما يتناوله في يومه فان هذا على الاقل لا ينقصنا فسألته حين رأيت ان طعام يومنا لم يكن مضموناً واجده متأسفاً على معدتي فقال اذا فليل الايمان تبله النظرة ورهبتها ان الله لا يتخلى

عن العريان والرقان (8) حتى ولا عن الكسه
فهل تتخلى عن الهرلي؟ ان معدتك لاصغر من ان
تستحمل ملؤها فان صدقت ولكني اخشى ان
تصغر عنها ما لدي وان تغني حاويه. وبينما نحن
في هذا الحديث دقت الساعه الثامنه عشره وبما
اني كنت حديث العهد بهذه الخطه لم يرق لامعائي
تلك الحلوى الرديئه التي اكلتها وكنت اشعر
بالجوع كما لو انه لم يدخل فمي شيء البته فالتفت
الى صاحبي وقد حدثت تلك الدقات ذكرى الجوع
في خاطري وقلت «يا اخي» ان التألف على الجوع
لتدرج شاق، لان المرء خلق اكولا وها انذا اقاد
في طريق الصوم وان كنت انت لا تشعر بالجوع
فما ذاك عائد لكبر لانك على الجوع ربيت منذ
الصغر ــ كما ربي ذلك الملك على السم (1) ومتى
اصبحت مثلك وليت اراك تسعى تجد لتصنع

---

(8) جمع رزق

(1) اشاره الى مصريدانس مالك بونتوس ــ
ربي على جرع السم لئلا يعمل به فيما بعد

ولذا قررت ان افعل ما توسعني فقال «نما لك انما هي الان الساعة الثامنة عشرة لا غير وهذا ادب قد ساورتك العجلة! اجل! ان سهمك على الطعام لدفعه ومعجله ولا بد لها ان تحمل بصبر بتأخير بعض الرواتب! هذا ولا الاكل طول النهار اذ ما بعض الحيوانات غير ذلك؟ ولم ترو قط ان واحدا من فرساننا اصيب باسهال وتفضل ان لا تزر على ان تدل في اقدامنا (10) وقد قلت لك ان الله لا يدرك احدا وان كانت تساورك العجلة فاني اذهب فاتناول المرق الذي في تدبير سانت جرودو وهيات امثلاء معدتي فان تبعتني فتعال والا فلتسر دائما في سبيله» فقلت «مع السلامة اذ انني دوني قصرا لاكمله بما تفضل من ابوات العمر (11) واسمع كل ما طرحه»

(10) اي الذي تجلس في ... proverb
وهو القاعدة هكذا اواب دائما الخبز الصغير عن صار من ... عاديها ...

(11) اي اسير بحاجة الى الاخرين

وكان صاحبي يسير بخطوات يسمع لها وقع شديد متطلعا الى رحلته ثم اخرج قانانا من الخمر كان يحمله دائما لهذه الغاية في صندوق صغير فيه على دوبه وثيابه بحيث كان يظهر بمظهر الاكل

اما انا فحملت السعل واسالت احقا لهرالى وانطف ساردي وقد دلمت والقيت المعطف على كتفي اليسرى وجعلت الغب نسيجه ذات عشر خرزات فقط. فكل من رآني ظن اني اكلت ولو انهم ظنوا باني أكلت (12) وان آكلي هو العمل لما اخطأوا

وكنت اسير وانعا بدنانيري وان كان صميري يوبخني على انه مما خالف ابطه الجماعه ان نعس من الدنانير من كانت امعاؤه خاليه في

---

(12) جاء المؤلف بجناس في كلمة Comido وهي اسم المفعول من فعل Comer لكنها تستعمل ايضا بمعنى اسم الفاعل. وهنا استعملها المؤلف في المعنيين اولا كاسم فاعل ثم كاسم مفعول في جمله بصيغه المجهول

الحياه واخيرا عزمت على الفطور واثناء هذا بلغت
راويه رفاق ثمان اونس حب بفطر بائع معجنات
ورايت واحده محمصه من ذوات الثمانيه دراهم
تطل من الواجهه مرسله نفسها الحار الذي تغلغل
في انفي فعلقت بها في الحين نظرا للحاله التي كنت
فيها ـ كالكلب الضاري، فاحدقت فيها نظري
احداقا ثبتت منه كالمسحور وان نظرت الى ما
دخلته من الخبز لاخلاسها لرأيت العجب العجاب
لكني في آخر الامر عزمت على دفع ثمنها وبينما
انا في هذا دون الساعه الواحدة فألمت الى حد
اني قررت ان اتخذ احد المطاعم، واذا الذي
كنت ارقب فرصه ارسى عليها فقد شاء الله ان
التقي اذ ذاك باحد اصدقائي المادون ملمسا الذي اقبل
مهرولا في ذلك الرواق وقد لطخت جبهه بالاوحال
فسالته عجله ذات دولاب وما ان ابصرني ـ ولم
يكن ذلك بالهين لو تاملت شكلي حينئذ ـ حتى هجم
علي وعانقنا عناقا ودينا وسالني عن حالي ثم
قلت له . باصاح كم لدي من الامور لاقصها عليك

وانما يؤلمني ان تبدد لي من السفر الليلة» قال
«وهذا ما يؤلمني ايضا ولولا ان الوقت قد فات
وعلي ان اذهب على عجلة لاكل لتوقفت معك
مليا لان شقيقه لي متاهلة وزوجها ينتظراني»
فقلت «او سيدتي حقه هنا؟ فوالله لازورنها ولو
اضطررت الى ترك كل شيء وسرنا لأني اريد
ان اقوم بالواجب نحوها

وقد فرحت عيسى حين سمعت انه لم اكل
وذهبت معه وسرعت احيره باني اعرف مصر احدى
النساء ـ وكان قد عرفها كثيرا حين كان في
القلعة ـ واني اقدر ان ادخله الى دارها فعلقت
نفسه بهذه الدعوة ورايت ان الحيلة في فض ما
وافق مشتهاه وبلغنا داره ونحن في هذا الحديث
فدخلناها وعرضت عيسى مرارا وتكرارا على اخته
وزوجها اللذين لم يؤولا مساعي في الاحتفاء
الا لمجيئي في تلك الساعة فاحدا يعتذران قائلين
لو انهما عرفا بان ضيفا كريما مثلي سيحل عندهما
لاعدا سببا لائقا به فاغتنمت الفرصة ودعوت نفسي

فائلا ادي اعسر دفسي من حملنهم واني صدىو
فدم وان المحامله دىما من الاهانه فحلسوا وحلست
ولاهـوں الامر على صاحبي ـ الدى لم ندعىي في
الواقـع ولم حطر له دعوى على دال ـ حعلت
اعرىه ىمں عىره واحرى دالعماه فائلا له ادها سالىى
عمه ولمه حمىل فلمهـا وعىر دلك من الاكادىب
الساىهه اهذ فكان لدى سماعه كل هدا مرداد صىرا
وتحملا لرؤىمه اناں اردرد الطعـام الاىي فىكـب
دالمون الاول مىه ولا فىك الرصاص دسرىال من
الحلد (13) ثم حاء دور فدر اللحم والسحم والخصر
فكدت اقصي على كل ما فيها دلفمس دون سو
وصد ولما كىب اسرع في الادىلاع كانىي والطعام
سى لمساني لم اكىں واىما من صىروريه الى
والله ىلامىدان ىرده معمرة. لااىسعوا في ىلد الولد(14)

---

(13) جاء المؤلف هنا بجناس في كلمة «Ante»
ومعناها اللون الاول من الطعام وهو الدى قصد
ه اولا والجاموس وهو الذى قصد به ثانيا

(14) كانت دـروح دىن العامة اسطورة معادها

لست أسرع في تحويل الجبن هباءً منثورا ـ وهي
نفسها في 24 ساعة ـ مما كنته في القضاء على
طعام يومهم كله إذ قمت بذلك بسرعة تريدا
مستعجلا ولابد أنهم لاحظوا جرعاتي المفرطة
واستراقي القضمة ومطاردتي العظام وادلاقي اللحم
وإن صدقت القول احترقت أصابعي بين حد وهزل
رقصت حتى بالفتات ثم رفع السماط وملت أنا
وصاحبي إلى ناحية نتحدث في شأن ذهابه إلى دار
من ذكرت واكبرت في نفوس الأمر عليه وبينما
كنا نتحدث أمام إحدى النوافذ تظاهرت بأن
شخصا ينادي من الشارع فقلت مجيبا أتاني
تناديني أيها السيد؟ رويدا فإني هابط، واستأذنت
صاحبي قائلا له إني سأعود فيما بعد وهي تنتظرني
حتى اليوم إذ أني احتسبت عملا بالمثل فانس
خبز مأكول وصحبة مقصومة والمعذرة منه مرارا

أي قرية معمرة سيدة (لا أنه عوا) la Antigua في بلد
الوليد خلفت من ابجاد بعده وإن لها ميزة خاصة
وهي أنها نصف الخبز في 24 ساعة

عنده واعتذرت له عن تخلفي قاصا عليه الف كذبه لا مجال لذكرها الان

وسرت على وجهي في الشوارع كيفما قدر الله فانتهى بي السير الى باب وادي الحجاره (15) فجلست على مقعد من المقاعد التي صفها التجار على ابوابهم وشاء الله ان يصل اذ ذاك الى الحانوت امراتان ـ من اللواتي يعرضن على وجوههن (16)

وقد تحجبتا فلم ير منهما سوى عين واحدة يصحبهما خادم وعجوز فسألتا صاحب الحانوت عما اذا كان عنده محمل حريري مطرز من النوع الفاخر واخذت اذا جنا نفتح حديث معهما ادلاعب

(15) باب وادي الحجاره ـ كان هذا واقعا في الشارع الاكبر بالقرب من الاتريناس وهو اليوم زقاق مدينة رودريغو وكانت في ذلك العهد غاصا بالحوانيت ومجمعا للعاطلين

(16) يقال عن شخص انه يعرض على وجهه اي دون ان يقدم ضمانة لذاته لانه معروف

بكلمه «درسو (17) و «بلادو و دلو و «أسلو و
«سلى فلم ادع ساردة ولا واردة بمت اليها بصلة
حتى ابت بها فسعرت بان طلاوتي حملتهما على
الاعتقاد باني صاحب الامر والنهي في الحانوت
فعرضت عليهما ما بثمانه «خاطرا في عرضي
شأن من لايخاف على شيء يخسره، فاعتذرتا مدعيتين
انهما لا يملكان شيئا ممن لا يعرفانه فاغتنمت
الفرصة قائلا انه ليس الجرأة ان اعرض عليهما
شيئا ولكني رجوتهما ان يعملا مني بعض الاقمشة
وعلبتي من مدينة ميلان وسحملها لهما لمسلا
احد الخدام - واشرت الى خادم كان واقفا ازاء
الحانوت ينتظر مولاه الذي كان في حانوت آخر
ولذلك كان مكشوف الرأس فقلت انه خادمي -
وجعلت ارفع فعيني لكثل المارة من وجهاء

---

(17) كلمة درسو تلو معناها المحمل الحريري وهي تتألف من كلمتين «درسو ومعناها الثالث و تلو ومعناها نعر

ومعممس (18) محسا اداهم كما لو كانت روابط
الصداوه محكمه سا دون ان اعرف واحدا منهم
لاحملهما على الاعتقاد باني دو جاه كبير ومقام
رفيع، ومن هدا التصرف ومن رؤيتهما اناي احرج
دينارا دهبيا من الدنانير التي كنت احملها
هاما بدين ان يصدق به على مسكين استجداني
اسحا اني من عطماء الاشراف، وان معدا بداي
معادره الحانوت لفوات الوقت فاستاذنتاني وسعرت
من جهتي بان الخادم داهب ايضا، وطلبت منهما
مسعطعا كمن يطلب منحه عظيمة سيحة بطمت
حرزانتها في سالك من دهب كانت تحملها احماهما
صمانه على انه لا بد لي ان اراهما، ووعدنا بي
بعصد الاحمال على بكمة اكبر منها، وسألناي

---

(18) ترجمت بمعمم بن لفظة Oxidor وهو اسم
كان يطلق اذ داك على موظف قضائي عال يسمع
الى الدعاوى المرفوعه الى المحاكم الاستئنافيه ويفصل
فيها، وعلى راسه قبعه خاصه تكاد تشبه العمامه
السوداء

عن داري قائلين ان الخادم لا يقدر ان يدخل دارهما لانه ساعة كانت لانهما من طبقة الكبار فسرت بهما في الشارع الاكبر وحين دخلنا زقاق دلاس كارتطاس، انعطفت احس واكبر دار ظهرت لي وكان على بابها عربة بلا خيل. وقلت لهما انها داري واصفت قائلا ان الدار وصاحبها والعربة تحت تصرفهما وسمعت بضوء المرو ذي قرطبة ودخلت في الباب على مرأى منهما، واذكر انني حين خرجنا من الحانوت اومأت بهيئة الامر الى احد الخدم ليأتي الي، وتظاهرت بانني اقول له ان ينفوا كلهم وينتظروني هناك وفي واقع الامر سألته اذا كان هو خادما عند عيسى الكومندادور (1)
وهكذا تمكنت من ان انصرف بخدم الغير كما لو كنت من الاشراف حقا

اقبل الليل فالتجأنا كلنا الى الدار، واذ دخلت وجدت جندي الحرس وبيده شمعة كسرة وعلبطة دفعت اليه امرأة حارة ميت فجأة، وكان

---

(1) رتبة في الجيش او في جمعية الفرسان

صاحبنا هذا يسمى «ماغانو» واصله من اولياس (20) وقد مثل دور «كابيطان» في احدى المسرحيات الهزلية وحارب المسلمين في احدى الرقصات فاذا تحدث الى الذين اشتركوا في حرب فلاندس قال انه خاض غمار حرب الصين واذا تحدث الى الذين اشتركوا في حرب الصين قال انه شهد حرب فلاندس وكان يحاول باسس ميدان وهو لا يحسن الا ان يمثل فيه ويذكر العصور ولم يرها الا مرسومة على النقود ويعدق المديح لذكرى ضون حوان (21) وكم من مرة سمعته يقول عن لويس كيخادا (22) انه كان مفخرة الاصحاب ويكثر من ذكر الاتراك ومراكب البحرية وامراء البحر وكل

---

(20) اولياس Olias بلدة في مقاطعة مالقة، واولياس دل راي بلدة في مقاطعة طليطلة

(21) ضون حوان دي اوستريا شقيق الملك فيلب الثاني وقائد القوات الاوربية في معركة ليبانطو

(22) لويس كيخادا Luis Quejada بطل اسباني

ما قرأه حول هذا الموضوع فى مطبوعات شعرية كانت رائجة حينئذ وبما ان صاحبنا لم يكن يعرف شيئا من شؤون البحر – اذ لم تكن فيه من بحرى سوى اكيل القطب (23) – قال محدثنا عن المعركة التى ربحها ضون خوان في لبانطو ان لبانطو هذا مسلم شجاع قوى الشكيمة وحيث لم تكن المسكين يعرف انه اسم للبحر قضينا معه في استماع هذا الحديث ساعات لذيذة وممتعة

وبعد ذلك دخل رفيقى مهشم الانف مضمد الرأس ملطخا بالدم ومملوءا بالاقذار، فسألناه عن سبب حالته هذه فقال انه ذهب الى دير سانت جيروسيمو ليتناول المرق الذى يوزع هنالك وطلب جرابه مزدوجة مدعيا انها لاشخاص ذوى مروءة

---

(23) انى المؤلف بجناس فى كلمتى naval ومعناها بحرى و nabal ومعناها لفتى اى نسبة الى اللفت وبما ان حرفى B و V يلفظان باء فى الاسبانية كانت الكلمتان متشابهتين تماما فى اللفظ وكثيرا ما نرتكب خطأ في الاملاء بسبب هذا التشابه

عضت عليهم انياب الفاقة، فنزعوها من نفقة المستجدين ليعطوه اياها. لكن هؤلاء وقد استند جميعهم دفعوه واحضروه في احدى الزوايا وراء الباب بجرع المرق متمتما ودار الجدل حول ما اذا كان يجوز للمرء ان يخدع ليزدرد وان ينزع من الآخرين ليسأل هو فارتفعت اصوات عقبها عصي وبعد العصي الاخاديد والورم في رأسه المسكين وهجموا عليه بالاباريق اما الورم في الانف فقد احدثه له احدهم بقطعة من الخشب قربها الى نسيمها بسرعة اكثر من اللازم ثم جردوه من سفة وقد قام الخلفة حرج الثواب البهم لكنه عجز عن احلال السلم بينهم وقد وجد احوننا نفسه في مأزق حرج الى حد انه صار يقول لهم «انى أرجع لكم ما أكلته»، ومع هذا لم يكونوا ليقنعوا لانهم أصبحوا لا ينظرون الا الى انه كان يطلب من احل أشخاص آخرين آنفا من ان يحسب نفسه من عداد مستجدي مرق الدير وكان احد الطلاب

الطفيليين من ذوي الغزر (24) نصح قائلا. «ألا فانظروا هذا المركب من حرق كدمية الاطفال وقد أصبح اسد حربنا من حانوت الحلوى في زمن الصوم واكثر عونا من المزمار واكثر نفعا من كتاب موسيقى مع ان ثمن من يلمسون مرض العدس المعظم (25) من نصدر ان يكون اسعفنا او انه سلطة دسمة اخرى ولا يأنف من استجداء طعامه الا اي حائر على الاحارة في العيون من سعوسنتا (26) وتداخل البواب في الامر حين سمع شيئا من حملهم يقول انه وان اقبل على الزرق الذي يوزع على الفقراء فهو من سلالة القطان الاكثر وله انسباء من الكبار

وهنا انزلت الكلام عن هذا الحادث لان صاحبي اصبح جارحا وخلصت عظامه من اضغط

---

(24) اي من الطلاب الفقراء الذين كانوا يحملون عررا لجمع الفتات وبقايا الطعام

(25) اي الذي يوزعه الدير الحامل اسم القديس

(26) سعوسنا Sigüenza بلدة من مقاطعة وادي الحجارة مشهورة بآثارها القديمة

الفصل الثالث

وفيه ىتابع الحديث حول الموضوع نفسه حتى ىنتهي الامر بانداعهم السجن جميعا

دخل مىرلو دياس وقد احمك ىسقط من لحرف والخزر سردها دون ان ىحسى الله من دىر راهد — عرج عليه د ىسىعىا لكن صون اورسو دل ىذروسو هاعه ىىطاره ان اعىل وعاىه معطف فاحر ىدىر ده حول الماىده الحضراء معطفه الذي لم ىىق عليه ىعىره وحده وكان من عاده صاحىنا هذا ان ىىرح معطفه كمن ىرىد الاىف وىضعه مع المعاطف الاخرى ثم ىذهب ىعد ذاك — اذ لم ىكن ىىىرك قط في اللعب — ىاخذ معطفه فىستولي على احسن واحد معطف ىىدو له وىخرج وكان ىستعمل هذه الحىله في لعىى الحانات والاكثر

لكن هذا كله لم ىكن ىىشادد كر ىالنسىة لمسهد

ضون كوسمى دخلا وقد احاط به فمان مجاور

يحملف الامراض العاهات فمنهم بداء الخنازير

وعيرهم بالسرطان والاخرون بالبرص ومنهم الجرحى

والسدف وسمه ان صاحبنا ادعى بعطاه الرقيه

مستعملا بعض التعاويذ والصلوات التى تعلمها

من احدى العجائز وكان يعوق في جماله الاخرين

كلهم لانه ان رأى شخصا اصل مستعما ولا سيما

بادئا يجب بعطعه او لم يسمع يدين يعوق في جمته

او صاح دعوت مسمه فلا مجال لسعاته وكان

سره مستدا وجد س اساس على اعتقاد كل يجد

لانه لم يلد من بصاحبه في عن الكذب ولم يحرج

قط من فمه ـ ولو سهوا ـ كلمة صدق وكان

يحدث عن اطفال سوع وقد حل الموت مرددا

كلمه الحمد لله وكرر فلتكن الروح القدس

معكم جميعا ونجمن حجار المكره كاملا وخو ... م

من سحه ذات جات عاشه وطرف سوط مقطع

بدم الانف يرى عند ما يحرك تحت المعطف

ويحمل على الاعتقاد ـ بحركته كيمسه وظهره

كين يحبك – بان العمل مسوح وان الجوع الفاك
انما هو صوم اجباري وبعض قصص بحارب وحين
يذكر اسم السلطان يقول ناعادنا الله ووفادنا،
ويقبل الارض حين يدخل الكنيسة ويدعو نفسه
بالحصر ولا يرفع عينه الى السماء وانما يرفع ابوابهن
فهذه الامور كان مسيطرا على عقول العامة بحيث
يستسلمون اليه وكان ذلك كاستسلامهم الى
الناس اضف الى هذا كله انه كان مقامرا
وفضلا عن ذلك صانعا وكان يحلف باسم الله
تارة بالباطل وطورا بلا داع اما من ناحية النساء
فكان له اولاده وخليلات من المومسات يعاودنه
والخلاصة ان وصايا الله التى لم يكن يخالفها (1)
كان يعرفها
وافيل بولاكو محدثا حليه كسرة وطلب

---

1) ادى المؤلف بجناس فى فعل quebrantar وله
معنيان كسر وخالف – فاستعمله بالمعنى الاول ثم
استعار المعنى الثاني لادراك فعل ورى مبالغه فى
الكسر

كيسا اسهف اللون وعلما كسرا وجه نوبله
مسعاره وحرسا وكان يسمر للاعاي هده انهمه
ماديا تذكروا الموت واحسوا الى بعوس الموتى
الخ ، فجمع بهده الوسيله صدقات عديده' ودخل
الموت التي يراها مفتوحه' فان لم يجد ساهدا
او عائما سرق كل ما وقعت عليه يده' وان عثر
عليه فرع الحرس قائلا ــ بصوت يصنعه كصوت
دائب سديد الندم ــ تذكروا يا اخوتي الخ

وبكل هده الحيل الاحتياليه وغيرها من
الاساليب الخبيثه دعامتها الى دا بهم خلال سهر
واحد وابعد الان الى قصي' فقد ارسهم السحره
ووصعت عليهم الحيل' فاعجبوا بالحياه وأحبت
العجوز الساحره لمعيشا' وسرت بدخل المال
خارجه انها فتيه ابيا لعدن قدره' رأيت بعدها
الاكل دوما' اذ كان لديها اكل جديد كل يوم
وجديد' وكانت العجوز كلما خطت خطوه تبكي
وتصم يديها واحده الى الاخرى وتنهد من اعماق
صدرها متهدا المما وتسمي الجمع اباها' وتلمس

فوق قدمين ساخر وصدره وفستان وشماله
كما مرفا من الصوف الخشن استعارته من
سيدتي لقد عاد كان هذم في عينه العليه'
وكانت العجوز هي الى تحكم العصابه فسير
وتشر رايتي بنا ابا س الرحيم . الذي لا يعرف
المعامله من ما يتعلق بعبدته . انها دائما كانت
ذاهبه الى احد المنازل اسمع بعض البنات واسماء
احرى عرف واحد من الناس حاجه له' فذهب
وجاء بمامور العداله فقبضوا على العجوز التى
كانت تدعى لام لبروسكاه ثم اعترفت بالقصه
كلها من البدها الى بائها واخبرت كيف تعيش
كلما والبنا فرسان ثمت وسات

فردها مامور العداله في السجن وجاء الى
الدار فوجدنا فيه جميعا وكان صحبه سته
حلاوره . وهم الخلادون المساه . وقاد جماعةالسطار
كلهم الى السجن حيث انتهت الفروسيه على
هاويه خطر كبير

الفصل الرابع

وفيه وصف السحر وما جرى فيه حتى خروج العجوز مغلوبة والاصحاب الى العـار وخروجهم اذا بصحابه

بعد ان فعلوا كل ما اخرجهم من اماه ود
اودعوه سجنا مظلما وحين رأيت نفسي سائرا
الى ذات المقر مددت يدي الى المال الذي كسب
اخيه فاخرجت دينارا ذهبيا وقلت للسجان
يا مولاي فسيقدمني حضرتك سرا ولكي تدعني
الى اريد المدار فما زاد حتى دفعني الى حاسب
وقلت له ارجو حضرتك ان تسوق على رجل
حمر وقسمت عن ذنبه وتمنا ان راحته كاملا
معاونين على حمل هذا النوع من الامور فقد

سدهما حان عاـى الاربعة وعسرىـں دلمودـا (1) وانلا ـساحقو في سان مرصك وان لم مكن ـا حطوره ابرلمك الى حب ـودع المعدون ، وعمب اخذه واحمه مدللا فبركبي حارحا دسما ابرل اصحادي الى اسعل

واسى اصرت صمحا عما اثار مسهددـا من الضحك في السحن وفي السوارع اد حي دما مفادس يسوقوںا دفعا وبعضها ـلا معاطف والبعض الاخر ںمعاطف ںحر عل الارض فظهرت احسام مرفعه داعا واحسام احرى ساهت مرںسح الخمر الاسود بالادمى ںكسب ىرى الواحد منا وقد امسك الحاوان لحمه انكون ںده على سي ںف انه لا ںفلت منها ـ حب كان كل ما عل ه عاله في العدم ـ ومع هدا فانه لم ںكں لىحد ما ںمسكه لان الحوع كان قد فلـ ه فكاد ںرںعا وىرى الاحرىں ںىركون ںس ںدى الحلاوة حرىں الاقىه والسراويل وحىں

---

(1) اسارة الى الاسكودو الدهبي الموازى في عرفهم 24 دلمودا

رفع الحمل الذي كانوا مربوطين به اذا بالسمال كسرة قد علقت به واخيرا حين امل الليل دهبت لانام في غرفة الاشراف واعطوني سريرا وياله من مشهد ان ترى البعض ينامون معلقين دون ان ينزعوا شيئا من ملابسهم النهارية بينما البعض الاخر ينزعون دفعة واحدة كل ما عليهم من الثياب وآخرون غيرهم يلعبون وفي آخر الامر اغمضوا اجفانهم واطفئ الضوء

ثم سمعنا جميعنا القنود وحيث كان المبرر جانب رأسي ما كاد ينتصف الليل حتى اصبح الامر بين مجيء مساجين واطلاق مساجين (2) فحلت في نادي الامر حين سمعت الدوي انه رعد وسرعت ارسم اشارة الصليب واستعيذ بالقديسة بربارة ولكني حين بلغت انفي الرائحة الكريهة ادركت انها لم تكن رعودا من اصل رفيع وكانت

---

(2) يكني بالاسبانية بعبارة اطلاق مساجين، عن الضرطة اي ان المساجين احدثوا يرذون الى المبرز فنسمع ضرطهم

رائحتها من الكراهة بحيث اضطررت الى دفن
انفى في الفراش وكان البعض منهم قد جاؤوا
بالاسهال والاخرون بمخادع (3) واخيرا رأيت نفسي
مضطرا ان اقول لهم ان ينقلوا المخدع الى مكان
آخر ولكن ما لبث ان احتدم الجدال بيننا حول
ما اذا كان يجاور الحد في الاتساع ام لا فلجأت
الى استعمال رتبة مقدم (4) اذ خير لك ان تستعملها
في صفحة منه في قشتالة (5) وما كان مني الا ان
ابلغت السكة وجه احدهم فحاول ان ينهض عاجلا
فقلب المبولة واراق ما فيها، وعلى الجلبة افاق
الكل. وهناك جعلنا نفارغ بالحك نحت ضجيج
العتمة لكن الرائحة كانت قوية الى درجة انها

---

3) اتى المؤلف بجناس في كلمة cámara ومعناها غرفة ـ وايضا اسهال ـ واتبعها بكلمة aposento التي معناها غرفة او مخدع

4) اي خير لك ان تكون البادئ في الصفع

5) مقدم في قشتالة adelantado en Castella كانت رتبة رفيعة في ذلك العهد

احضرت الجميع على النهوض وهكذا ارتفعت الاصوات بالصياح فظن قائد السجن ان بعض مسجونيه قد فروا فصعد راكضا مصحوبا باعوانه وقد تنكبوا السلاح كلهم فوصل وفتح الباب وادخل الضوء واستخبر عن الامر، فحكى الجميع على وكنت اعتذر قائلا انهم لم يتركوني اغمض عيني طول الليل من شدة قحقهم اعنفهم (6) وظن السجان انني سانفحه بدينار لئلا يرحني في السرداب فتمسك بالمسأله وامر برحي فيه، فقررت ان ارضى بذلك قبل ان تمتد يدي من حديد الى الصرة فاقتدت الى السرداب حيث استقبلني الاصحاب بالزغرده والفرح

بت تلك الليلة دون غطاء واف، ثم اصبح الصباح فغادرنا السرداب ورأينا وجوه بعضنا البعض واول ما ابلغنا اياه هو الغطاء من اجل البطانة والا تعرضنا لحمله مرة المذاق (7) فاعطيت

---

6) كلمة عن تطلق ايضا على الاسنان في الاسبانية وهذا ما قصد به هنا

7) كانت العادة ان يدفع المسجون الجديد

اذا سبه دراهم اما رفاقى فلم تكن لديهم ما يعطونه فاحلوا الى المنزل (8) وكان في السجن فتى اعور طويل القامه اسيل كئيب الوجه ذا ظهر مرتفع طالما حمل اسواطا (9) وكان ما يحمله من حديد يزيد على حديد بسكاتا (10) وهو عباره عن زوجين من العمود الغليظه متصلين بسلسله ضخمه وكانوا يسمونه «الخنان» ويدعى انه مسجون لشؤون

قدرا من المال يسمى حق الدخول» ينعم به المسجونون الاقدمون فمن امتنع عن دفعه ديروا عليه حيله كأن يضربونه ليلا فى العتمة ويصبح الجميع متأوهين فى نفس الوقت كأنهم يضربون ايضا

٨) اى ليدير عليهم الحيله في المنزل

٩) ان المؤلف يجانس في كلمة cargado ومعناها «محمل» وهى المقصودة في قوله «حمل اسواطا» اى جلدا ويضافها الى كلمه espaldas اى ظهر بالف منها تعبير معناه «مرتفع الظهر»

(10) مقاطعه من اسبانيا الشماليه

هوائه وظننت انه بسبب بعض الافكار او المزامير او المراوح والذين يسألونه عما اذا كان شيئا من هذا يجب ان لا بل بسبب خطايا الوراء فكرت انه يعني بها امور سابقة قديمة ولكني في نهاية الامر عرفت انه مسجون لكونه لواطيا وحين كان فاقد السحر بوبخه لارتكابه سطمة ما كان يسميه «سافي الجلاد ومستودع الخطايا العام واحيانا اخرى كان يتهدده وإلا «انك ستعرض ابها المسكين لعقاب النار (11) والله انى لقائلك في طريقي وكان قد اعترف بالامر هذا وقد حملنا قسمه على احاطة اكمالنا جميعا بالسواحر الناشكه ككلاب الحراسة ولم يكن احدنا يجرأ على الصرط امثلا بذكره بموقع النمه وكانت الصداقه مستحكمه بين رجلنا هذا وسجين آخر يسمى روبلندو ويعرف ايضا باسم «المرنادو» وكان هذا يدعي انه مسجون لسحائه وحين الحوا عليه في السؤال ظهر انه لسخاء يده في اصطياد كل ما يقعان

---

(11) لان اللواطيين كانوا يحرقون في ذلك العهد

عليه   وكان قد سبط اكثر من حمل العجلات لان كل الجلادين جربوا ايديهم فيه وعلى وجهه من آثار (12) الطعن ما لو كشف لما عليه اكثر اللاعبين نقطا وكان وحيد الاذن اوطس المجار مسفوفه بقطعه والى هذين الرجلين يعرف اربعة آخرون ـ يحسبون الاحلاس كمحترفي السرقه ـ مفيدون ومحكوم عليهم بسفق رومولو (13) واما هم فكانوا يقولون انهم عما قريب سيسكنون من الغول بانهم خدموا الملك في البحر والبر ولا

---

12) ابى المؤلف بجناس في كلمة punto فاستعملها اولا بمعنى «اثر الطعنه او الجرح» ثم بمعنى «نقطة» عند الاشارة الى اللعب بالورق حيث يربح من يجمع لديه اكبر كميه من النقط

13) سفق رومولو هو «ربمو» وهما حسب الاسطوره مؤسسا مدينه روما وكلمة Remo معناها في الاسبانيه مجداف اى انه حكم عليهم بجدف احدى السفن وكان هذا النوع من العقوبات سائغا في ذلك العهد

سبيل لوصف الفرح الكبير الذى كانوا ينتظرون فيه حلول ساعة ارسالهم الى تنفيذ العقوبة

فهؤلاء كلهم ـ وقد عمهم ان يروا رفاقي لايساهمون بشيء ـ وراحوا تدبير حمله قاسية عليهم ليلا بواسطة حبل معد لهذه الغاية فحين اقبل الليل دعينا الى آخر غرفة فى الدار ثم اطفأوا الضوء فاختبأت انا تحت الدكة وبدأ اثنان منهما يصفران والاخر يفرع بالحبل ولما رأى فرساننا المساكين صفيرهم خاسرة شدوا اجسامهم ـ تلك الاجسام الجائعة التى فعلت بها الحكة والقمل فعلها ـ تحت اتسع انهم جميعا حصاص الدكة فكانوا كالصئبان فى الشعر اوكالبق في الفراش وكان يسمع دوى الضربات على الخشبة فسكت هؤلاء ولما ابصر اولئك المكرة انهم لا يسكون انقطعوا عن ضرب السياط وشرعوا يرمونهم بالاجر والحجارة وقطع الردم مما كان مجموعا لديهم فاصابت واحدة منها صوب طوربيو على قفاه واحدثت له فيها انتفاخا يعلو اصبعين واحد يصيح

فاتلا ابهم فبلوه لكن المكره سرعوا دعون حميعا
ويحدون حلبه بالعبود لئلا يسمع عواؤه فحاول
ان يحسى ولدا امسك بالاحرس لىرج ىىفسه
بحبهم ووقعت بسهم مساده كانت تسمع من حرائها
ورفعه عظامهم كاللوحات التى يقرعها المسولون
وهنا فاصت روح افسبهم ولم تبق عليهم حرقه
وائمه وفلت الحجاره والردم وما مر سوى وقت
قصير حتى كان فى رأس ضون طورسو من
الضربات اكثر مما في قناء مفدوح من السرائط
الحريريه المدهبه (14) ولما لم يجد سبيلا للنجاة من
ذلك البرد المنهال عليه ورأى نفسه على وشك
الموت شهيدا - دون ان يمت الى العداسه ولا الى
الصلاح بصلة - صاح قائلا ان ادركوني احرج
وبعد ذلك ادوع ما علي واسلمكم ىباني رهبه
فعملوا منه بهذا الافراح وبالرغم عن الاحرين

---

(14) ابى المؤلف يجناس فى كلمه golpe ومعناها
ضربه، وايضا ربه فى السوق مؤلفه من سرىطه
حريريه مدهبه

الذين كانوا يدافعون عن انفسهم معه نهض كما امكنه الامر. وقد مسح رأسه فمال الى جانبي اما البقية فسمع اسراعهم بالاتفاق على ان يحدو حدوه في الوعد كان قد سقط على رؤوسهم من الاجر اكثر مما عليها من السعر فعرضوا انفسهم مقابل «رسم الدخول» بعد ان فكروا بانه خير لهم ان يلازموا الفراش عراة منه حرجى فتركوهم وشأنهم تلك الليلة وعند الصباح طلبوا منهم ان يعبروا فعبروا واذا بكل انفسهم لا يصلح ان يوجد منها فسلة، وبقي اصحابنا في الفراش اعمى ملتفين بدثار خلق كان الجميع يعلون فوقه فما عموا ان شعروا بالعطاء يتحرك فوق احسامهم وذلك انه كان في الدثار من القمل ما هو جائع ولا جوع الكلاب وما يردد كالمطر بعد صوم تماديه اثناء ومنها الضخمة ومنها ما يمكن رميها على اذن ثور فظن اصحابنا ذلك الصباح انهم سيكونون قطور العمل فنزعوا عنهم الدثار لاعتبر حظهم واخذوا يهسمون اذانهم باظافرهم حكا امر با

فحرحت من الدهليز قائلا لهم ان يعدروني اذا
كنت لا اطيل مجالسهم لانه يهمني ان لا اطيلها
وعاودت لدى السجان بثلاثه نقود من ذوي الثمانيه
دراهم وحين عرفت من هو كانت الدعوى دعنت
في طلبه فتي ممن يخدمون مقابل حلوان فجاء
وادخلته احدى الغرف واخذت اقول له - بعد
ان تحدثنا في الدعوى - ان لدي مالا ما ورجوته
ان يحفظه اي ودنعه وان يساعد ما امكنه الامر
شريفا منحوس الطالع افسد مخدوعا لارتكاب هذه
الجريمه فقال وقد انطلت عليه الحيله صدقني ان
نقطه الدائره هي بين ايدينا واذا اراد احدنا ان
لا يكون رجل صلاح امكنه ان يسبب شرا كبيرا
وان عدد الذين دفعت بهم الى القوارب (15) مجانا
لنشوه في النفس فقط لاكثر مما في الدعوى من
الحروف فثق بي وصدقني بانني ساخرجك صحيحا
سالما

---

15) اي الذين حكم عليهم بجذف القوارب -
وكان هذا من جمله الاشغال الشاقه التي يحكم بها

وذهب بعد هذا الحديث ولم يلبث ان عاد وسألني من الباب شيئا للخبر دبغو عرسا مأمور العدلية الذي لا بد من كم فمه بكمام من الفضه وذكر لي شيئا آخر عن قارئ الدعوى ليساعد على حذف فقرة بكاملها وقال اعلم يا صاح ان قارئ الدعوى يكفيه ان يرفع حواجبه ويغلظ صوته ويرفس الارض برجله ليستلفت نظر القاضي الساهي - وغالبا ما يكونون هكذا - ليقضي على واحد من الناس، ففهمت مراده واضفت خمسين بلوتا اخرى ومقابل هذا قال لي ان اقوم طوق المعطف واعطني بدوائين لمعالجة الزكام الذي اصابني من برد السجن وفي الاخير قال لي تروح عن نفسك فان ثمانية بلايين تضعها في يد قائد السجن كفيله بان يخفف من همك لان هؤلاء قوم لا يأتون بعمل صالح دون فائدة يجنونها منه. فاعجبني الملاحظه هنا وفي نهاية الامر ذهب في حال سبيله واعطيت السجان دينارا فنزع القيود من يدي وسمح لي بان ادخل داره.

وكان له زوج كأنها الحوت وسمان كأنهما من
نبات ابليس لما ادخما به من قبح وحمق فضلا عن
العجوز بالرغم عن قبح خلقهما فحصل يوما ان جاء
السجان – واسمه فلان بن بلادوليد في سان بالو
واسم زوجته صونيا آنا موراتس – ليأكل وهو
يمضغ غصبا وكنت انا هنالك فلم يرد ان يأكل
فاقتربت المرأة منه وهي تتوقع هما كبيرا وارهقته
باستلتها الملحة كالعادة حتى فار جأشه وقال وما
عسى ان يكون؟ فان ذلك اللص الخبيث المدروس،
المكافئ بالمنازل قد قال لي – اثناء مناقشة وقعت
بيننا على الكراء – انك غير بطيعة، فقالت فأكل
هذه الاذناب ازالها عني هذا الخبيث؟ فوجاه حذي
انك لست برجل والا لخلفت له لحيته انرى اباذي
خدمه يسطوني؟ ثم التفت صوبي وقالت الحمد
لله فانه لا يقدر ان يدعوني يهودية مثله فان
نصفه محتال والنصف الاخر يهودي وماله على
هذه النسبة ايضا ووالله يا صون بابلوس لو
سمعته لتأكدت ان على ظهره صليب سان

اندريس (16)، واذاك قال السجان وهو يعطع حربا. «آه يا امرأة! بعد سكت حسن قال انك يحملن على ظهرك كيس او ثلاثا (17) وان ما ذكره من الوساخة لم يعن به القذارة بل الامتناع عن اكل الحرير، قالت «فقد قال اذا اني يهودية وبهذه الاذاة يردده على مسامعي؟ اهكذا يحافظ على سرف صودنا آنا مورادت بت اسطعاسا زونسو وحوان دي مدريد اللذين يعرفهما الله والناس اجمعون؟». فقاطعها قائلا «ما تقولين؟ بنت حوان دي مدريد؟» قالت «نعم! حوان دي مدريد الذي هو من اونسون ووالله ان الماكر الذي قال انه يهودي لفاجر ذو قرون» فانتبه اليهما وقلت. «ان سيدي حوان دي مدريد ــ اسكنه الله الجنة ــ ابن عم والدي واني لأنت حجتي بنت من هو وكنت

(16) صنف من العماش الاحمر كان يحاط على اللباس الاصفر الذي يلبسه من فرضت عليهم المحكمة الدينية عقوبات علنية

(17) اي ان على ظهرها صليبا احمر كبيرا

كان احل ان هذا سفى على عاتقي وان حرجت من السحن لاحرن هذا الخبث على الرحوع عن قوله مائه مره وان عندى في الفربه صكا بحروف من الذهب ىست اسماء الاىس الى طبقه الاسراف»

ففرحوا حميعا بالفريب الجديد واسترجعوا فواهـم حين سمعوا ما قلته عن الصك مع ادي لم ىكن عندي سيء من دلك ولم اكن اعرف مـن هم هؤلاء الناس، وبدأ السجان ىستفسرني عن دقائق هده الفرابة. ولئلا ىشعر بكذبي تظاهرت بالغضب السديد واخذت اقسم واهدد فهدأوا روعى قائلين ان لا ىبحث في الموضوع والا يواصل التفكير فيه ولكنى كنت بين حين وآخر اقطع الحديث فجأه مرددا «حوان دى مدريد! ان الحجة التي بين يدي على عرق نسبه لبهرأ من هذه الدعوى!» ومره احرى اردد قائلا حوان دى مدريد الاكبر! انه والد حوان دى مدريد وكان متزوجا بحوانا دي اثيببدوا السمينه» ثم اسكت قليلا

وبالنتيجه صار السجان بسبب هذه الامـور

كلها يصح لي داره للاكل والنوم والكاتب الخبر بدوره - نزولا عند طلب السجان والرشوة التي تلقاها - احس العام بالامر فاخرجوا العجوز واركبوها حوارا اكحب وكان يتقدمها مناد ينادي «تعاقب هذه المرأة لارتكابها السرقة» وكانت مقارع الجلاد تنصب على اضلاعها على نغم صوت المنادي عملا بما اوصاه به ذوو الالبسة الطويلة (18) وكان يتلوها بعده رفاقي على صهوات جياد من التي تستعمل لنقل المياه مكسوفي الرؤوس والوجوه. وقد اخرجوا على هذا الشكل ليلحقهم العار على مرأى من الجمع مع ان كلا منهم كان من إخلاق ما عليه يحمل عاره بارزا وحكموا عليهم بالنفي ست سنوات وخرجت انا بكفالة بمساعدة الكاتب كما ان قارئ الدعوى لم يغفل عن مساعدتي فبدل لهجته وتكلم بهدوء واهمل اسبابا واسقط مقاطع برمتها

---

18) يعني بذلك اعضاء المحكمة

الفصل الثانى

في عبورى على مىوى والمصىىه الىى دهمىى فىه

حرحـب من السحر فوحـدب دىفسي وحـيدا
الا اصدقائى، ومع اعلامهم اباى دادهم سائرون الى
اسىلىه وفى طرىقهم الىها ىعىسون من اصدقـائ
فقد رفصت الالتحاق دهم وعرمب على الدهاب الى
مىوى حىب وحدث فىاه سمراء، ىىصاء، نظاره مرحه
فصولىه احىادا، وميالة الى الهوى احيانا احرى، في
كلامها لكنه، ىحاف العىران وىقىحر ىدىدها فلا
ىىرح ىفرط الىسوع اىرىهما، وكاىت تقطع الاكل
فوق الحوار وفى الكىىسه ىدرى مصومىه المدى ن
دائما، وفى الطرىق لا ىىفك تدل على ان هذا الدار
لفلان وىلك لعىره، وفى فاعه الاسىعىال لا ىىرح
مسعوله ىىسك حلاله في رىيه رأسها وان لعىت لعىه

ما كانت دائما لعبة المسرىعاىباء (1) لانها لعبه ترى فىها الاىدى وتتظاهر عمدا بالتثاؤب دون حاجـه اله لىرى اسانىها وترسم اساره الصلبب على فمها وبالاحصار لم ىفلت شئ فى الدار من لمس ىدىها ىحىث صارت تعصب ابوىها ىعسهما ىتصرفها هذا فآووىى على خىر ما ىرام في دارهم لانهم كـانوا ىرىدون اكراهاداتان حسى لىلانه صوف فصرت اىا احدهم والابنان الاحران واحد منهما ىرىفالى والاحر قطلودىى ولـذا احسوا اسعـالى اما ابا فقد اعحىسى الفتاة للمتعه فصلا عما فى الاقامه فى دار من الرفاهيه والهناء فصممت على اسمالىها الى وصرت احكى لها حكايات اعددتها للتسلـه وآتىها باحبار وان لم ىكن لها اساس من الصحه واحدمها في كل امر ىمكن الاىيان به محانا وقلت لها ولامها انى رفاء اعرف رفى كىمره وىوىعـى

---

1) لعبة صىابىه ىقوم على ان ىعرض الاولاد اىادى ىعصهم البعض ثم ىىسدون ىعـض الاغانـى التى ىحب فىها رفع الاىدى

ان احعابهما بردان الدار كانها تنهار وتحرف
... صدقناها كلاهما عن سداجهما
يجد كسب صداقتهمـا وسكرهما لكني لم
اتمكن من استمالة قلب الفتاة لان ملمسي لم يكن
كما تقتضيه الحاله - رغما عن اني كنت قد
تحسنت ملمسا بواسطه فائد السحر الذي كنت
ازوره دائما فاصل الرحم سيما بما آكله من خبزه
ولحمه - ولهذا لم يعتراني ما انتجه من الاهتمام

وخطر لي ان ارسل بعض اصحابي الى المثوى
يسألون عني حين لا اكون هنالك لحملهما عـلى
الاعتقاد باني غني متحف فدخل احدهم اولا وسأل
عن السيد صون رامبرو دي ورمان - وهو الاسم
الذي انتحلته لان الاصحاب افهموني انه لا باس
بتبديل احدنا اسمه بل انه لامر مفيد - واخـيرا
سأل عن ضون رامبرو معرفا به بانه ذو تجـاره
واسعه وثروة وافره وقد تعاقد منذ قليل مع الملك
على مشروعين تجاريين خطيرين فابكرت ربه المثوى
وبنتها معرفتهما بي على هـذا الشكل وقالتـا ان

لجسم فسيح الوجه قصير الحال فرد عليهم بقوة
احل هذا هو الذي اسأل عنه ووالله لما كنت
لاتمنى اكثر مما يملكه فان مدخوله ليجاور
الالفي ذلك، ثم قص عليهما اكاذيب اخرى فزاد
اعجابهما واخيرا ترك لهما حوالة مزورة ادعى انه
جاء ليقبضها مني وقيمتها تسعة الاف اسكودو،
وقال لهما ان تسلماني اياها لاقبلها وذهب في حال
سبيله فصدقت كل من الام وابنتها قصة تروتي
وحاولتا اصطيادي زوجا للفتاة ثم عدت الى البيت
متجاهلا كل شيء وحين دخلت سلمتاني الحوالة
فاتلبس بين المال والحب ثم الصعب ان تجمعا
ذا حضرة صوت زامروا وكيف تكتم علينا نفسك
مع ما انت مدين لنا به من العطف والاكرام؟
فتظاهرت بالاستياء من اخفاء الحوالة عن ابنتهما
وسرت توا الى غرفتي ولو تدري كيف اصبحتا
بعد اعتقادهما باني غني؟ تعدقان علي كل مديح

مسسس على كل ما اعمله فسالعان في دفرىط كلامى
ودحهران دانه لم يكن احد لىعادلىى ظرافة وحسن
اصرىهما ى ساكي صارحب العباه دحمى لها فادصىت
ىعرح كىىر ورددت على مسامعى الف مدىح دىم
افىرقىا وداب لىلىه وفد اردب ان ارىدها اعىفادا
ىعناى دحلت عرفىى واقفلت ىادها وكادت مفصوله
عن عرفىها ىحائط دومق فاحرحت حىسىن داسكوداه
ونىرعت اعدها مرارا وتكرارا الى ان سمعىا رىس
سىه الاف وفد كانت رؤسهما اىاى مالكا لهـذا
الفدر مـ المال غاىه مىنعاى لادىهما منذ تلك اللحظة
اصىحىا لا ىىار ى احاطىى ىكل اسىاب الراحه
والرفاهىه والرصى

وكان المرىعالى الساكن ى المنوى ىسمـى
السىور فاسكو دى منىسىس، فارس الكراسه اى
المسىح (2) وكان فصر العىق كىىر السارىىن درندى

---

2) كان ىطلق اسم المسىح Christus عـلى
الصليب المصور قىل حروف الهجاء في الكرارىس

معطفا اسود وننعل موافا، وسلهب حبا ووجدا
لضوىا در سعىلا دي رىو ىادو ـ وهو اسم الفتاة ـ
ونحاول ان نملك قلبها بالحديث والسهد متفوقا
في هذا المضمار على معدة تمضت الى عظه في زمن
الصوم وكان ىسىء الغناء ولا ىمك في جدال مع
القطلوني الذي كان اسد المخلوقات حزنا واكبرها
بؤسا فيعاود الاكل كل ثلاثه ايام كالحمى المقطعة
وياكل الخبز يابسا الى حد ان اسنان السعاه
امكاد تعجز عن العلك به ويفتخر بالشجاعه مع
انه لا ينقصه سوى ان ىبيض لىكون دجاجة (3) اذ
كان ىعىق كسرا فاجد البرىغالي يقول انى معدم
محتال لا املك شيئا بينما القطلوني ىصفنى بالجبانة
والخساسه وكنت انا اعرف هذا كله بل اسمعه
احيانا لكنى لا اجد من نفسى الجرأه الكافية للرد
عليهما واخيرا صارت الفتاه تحادثني وتتلقى

ومنها جاء قولهم ما زال في المسيح، اي في بادئ
علم او فن ما

(3) الاسبان يضربون بالدجاجة مثلا في الجبانه

رسائلى وعالدا ما كنت ابدأها على هـذا النمط·
ان حرأتي هده· او ان حمالك الفتان» وانكلم
عن تحسري وتلهى وحدا بها واعمر لها عن الـم
وحرن واعـرض نفسي عبدا لهـا واختـم بقولي
ان في قلبي من حبهـا لطعنه نجلاً واحيرا بلـغ
بنا الحال الى التخاطب بالافراد (4) وتمكيبا لمعتقدها
بمكانتي حرجت يوما من الدار واكبرنت بغلـه
وجئت المثوى مقنعا وقد غيرت صورتي وسألت
عن ذاتي مستفسرا عما اذا كان يقيم هنالك حضره
السيد ضون رامرو دي قرمان مولـى بلنـرادو
وبيورتي (5) فاجابت الفتاه قائله «هنا يقيم رجل
قصير القامه يحمل هذا الاسم فقلت بعد ان احبرت
بعلاماته انه هو ورجوتها ان تقول له ان قهرمانه

4) ان التخاطب بالافراد يعتبر في معظـم
اللغات الاوروبيه دليلا عـلى صداقـه متينـه والا
فالتخاطب يكون بالجمع عاده

5) اسماء امكنه

دبيعو دى سوٰلورتانا قد عاد من ادارة النامين (6)
وهو داهب الان لجمع العله وقد عرج عليه لبعسل
يديه ثم انصرفت وبعد حين عدت الى الدار
فاستقبلنانى بعطله كبيره سائلين اياى عن
سبب احفائى عنهما ابى مولى بلنرادو وبورسى
وابلعانى الوصيه وهنا ازدادت الفتاة تمسكا بي
لطمعها فى روح من العنى بهذا المقدار وطلبت منى
ان اقابلها واتحدث اليها على الساعه الواحده ليلا
فى ممر يطل على سطح من الاحر يفتح عليه نافذه
عرفتها فساء السلطان الذي يضع اصبعه في كل
شيء ان اصعد الى الممر، وقد حل الليل، رعبه
منى في التمتع بتلك الفرصه فزلقت قدمى وسقطت
على سطح دار جار لنا وطيفيه كانت محكمة وقد
كان لسقوطي وقع شديد فتكسر معظم الاحر
وانطفأت انارها فى اصلاحى . فاستفاق اهل الدار
على الجلبه وصعدوا الى السطح ظانين انهم لصوص
ـ وهو ظن لا ينفك يساور اصحاب هذه المهنه ـ

---

6) ادارة كانت يودع فيها اموال القاصرين

ولما ابصرت ذلك اردت ان اختبئ وراء المدخنة فزاد ذلك ريبتهم في امري فانهال علي الكاتب واخاه وخادمان ضربا بهراوة حتى سحقوني سحقا ثم ربطوني على مرأى من مولاتي دون ان تجدي كل محاولاتي نفعا لكنها اخذت تضحك وتمعن في الضحك لاني كنت قلت لها فيما مضى اني احسن السحر والشعوذة وظنت ان سقوطي كان سحرا ايضا ولذا كانت لا تفتأ تقول لي اصعد فقد كفاك الامر هزلا فمن جراء هذا والعصي والكلمات التي تلفظتها اخذت اعوي فاشتد ضحكها لاعتقادها ان كل ذلك ملفق

ثم شرع الكاتب بفتح الدعوى واذ سمع برفعه مفاتيح كانت في جيبي قال وكيف انها عفت مع انه رآها كما هي دون ان يمنعه رؤيته اياها من ان يعيد انها عفت· فقلت له اني ضوت رامبرو دي فرمان· فضحك ضحكا شديدا اما انا وقد استولى علي الحزن لما قاسيته من ضرب على مرأى من مولاتي ولاني رأيت نفسي مساقا الى السجن

دون سبب واسمي ملطخا باتهام مشين فلم اكن
لاعرف اي السبل اسلك فجثوت امام الكاتب على
ركبتي ورجوته اوجه الله، لكن لا رجائي ولا غيره
كان كافيا لحمله على اطلاق سبيلي

كل هذا جرى على السطح لان هؤلاء القوم
لا يحجمون عن شهادة الزور حتى على السماء
نفسها ثم امروا بانزالي الى اسفل، فانزلوني من
نافذة تطل على غرفة كانت تستعمل كمطبخ

الفصل الرابع

وفيه سوالى الكلام على الامر نفسه
وعلى عده حوادث اخرى

لم اطبق جفني طيلة الليل وانا افكر في
مصيبتي التي لم تكن في الوقوع على السطح بل
من يدي الكاتب الوحشيين الفاسدين وحين
تذكرت امر العقد التي وجدوها في جيبي والاوراق
التي حررها في الدعوى تبين لي انه لا شيء يضاهي
سرعه في النمو كالذنب من يدي الكاتب فقضيت
الليل احوك حيلا فاحيانا اعزم على استعطافه
مستشفعا بيسوع المسيح ولكني حين افكر في ما
قاساه من امر الكيسه حيا يعوزني الجراه على ذلك

وقد اردت الف مره ان افك رباطي وكان
يشعر بي فيأتي صوتي كاشفا عن العقد التي
يشده اذ كان اهتمامه باخلاق كذبه على اكبر

من اهسامى بما سفعنى ونهض باكرا عند الفجر
وارتدى ثيابه فى تلك الساعه ولم يسبق فى
داره سواه والسهود فساول المفرعة وراجع بها
اضلاعى مراجعه وافيه وونحى على ردبلة السرقه
توسح عارف بهدا الفن وسنما كنا على هدا
الحال اي هو يسلبى مقارع وانا اكاد اكون عازما
على اعطائه دنانير ـ لانها الدم الـدى نحث به
هذا النوع من المـاس ـ اذا بجارى البرتغـالى
والقطلونى يدخلان علينا بدولا عند الحاج محبونى
التى ساهدتنى اقع واضرب بعد ان اقنعتت دان
ما حل بى ليس سحرا بل مصابـا فلما رآهمـا
الكاتب يحدثاني اراد ان يوقع بهما كسرنكين فى
الدعوى لكن البرتغالي لم يطق الامر فوجه اليه
كـلاما قاسيا قائلا انه رجل من الاسـراف من
حاسية الملك وانى انا ايضا رجل عريق في النسب
وان من السخافه تفسدي وسرع بفك قيدي فصاح
الكاتب قائلا معاومه، وفي الحين وطأ خادمان
له ـ بين حلاوة وجمالين ـ معطفـيهما وجـلا

تلابسها كما اعتادا ان يفعلا ليدلا على الكلمات التي لم يفع وبطلبا من الملك الحق واجراء العداله واجرا فكا رداطي واذ ابصر الكاذب انه ليس هنالك من احد ليساعده قال «وحق فلان» ان هذا لا يمكن ان يقع معي ولو لم يكونوا من اسم لكلفكم الامر غاليا فامروا بارضاء هؤلاء الشهود وفكروا باني احدكم دون غايه وبعد ذلك ابصرت خطه فاخرجت ثمانيه دراهم ونقدته اياها وقد حدثتني نفسي اذاك بان ارجع اليه ايضا العصي التي اعطاني اياها ولكني صرفت صفحا عنها لئلا اعترف باني ثلقيتها وتركته وذهبت بنفسيهما بعد ان شكرتهما على اطلاق سبيلي وفدائي، محمر الوجنتين من شده اللطم وجريح الظهر من اثر العصي وكان القطلوني يكثر المزح على حسابي ويقول للفتاه ان تروح تي ليعكس المثل القائل «ذنوب فمعصو فيصير معصو فذنوب» (1) ويدعي

---

1) في الاسبانيه مثل يقول «ذنوب فمعصو (اي مضروب العصا) ومع هذا يامرونه ان يرقص»

ان العصى التى نالها قد اتت على وهرتى هرا ومجمل القول انه زجنى في مازق حرج مخجل بملابساته هذه وصرت اذا دخلت عليهم سرع يلوح بالاعواد او الاخشاب كانه يعصو بخصا آخر ونا رأيت نفسى مضحكه ورأيت انهم بدأوا يسخرون بإخبالي سرعت احاول مغادرة الدار ولئلا ادفع ثمن الاكل والاقامه الذى كان يبلغ قدرا وافرا اتفقت مع طالب من هورنوس (2) سمى برانداالاغاس وصديقه له احرين على ان يأتوا المنوى ليلا ويعاونونى فوصلوا فى الليله المتفق عليها وابلغوا ربه المنوى انهم قادمون من لدن

وهو يضرب تمثلا بين عصاه بمصيبه بنو اخرى وطلب منه الا يحزن وقد اتى المؤلف هنا بجناس فاستعمل الكلمه ن معصو وديوت بمعناهم الجمعى اشاره الى العصى التى تلقاها بطل القصه ومن يسطره اذا تزوج من خداع زوجته له لما ذكر عن سيرتها سابقا فلذا قدم قوله معصو على ديوث
(2) بلدة من مقاطعه بلد الوليد

محكمة المفتش وانه من الاولى ان تبقى الامـر محاطا بالكتمان فارتعدنا خوفا لانى كنت انبأتهما فيما مضى بانى عالم بفن السحر ولهذا حبس احرجت لم نبسا ببنت سفه ولكن حين اخـرج متاعى اعترضنا طالبتين ان يحجز معادل مـا في ذمتى من دين فاجابوهما ان ذلـك المتاع ملك محكمة المفتش فلم يحرك احد ساكنا وتركناهم يخرجون بالمتاع وبقينا هنالك يرددان انهما طالما حسبنا وقوع ما وقع ثم اخبرتنا المطلوبين والمرتعالى بامر من جاءوا في طلبى وانهم من الجن وان لي اقارب بينهم وحين اخبرناهما بشأن المال الذي عددته والا انه كان يظهر مالا لكنه ليس بمال في واقع الامر واقتنعنا بذلك وهكذا بحوث بالبيتى ولم ادفع ثمن طعامى

واتفقت مع من ساعدانى على استبدال زيى بالبسه توافق الزى الرائج فلبست سروالا قصيرا وقبعه واسعه واستعضت عن خادم بخادمين صغيرين اذ كان هذا ايضا من الرائج اذاك وقد سجعونى

على ذلك وحسبوه في وجهه - - في
ظهور مظهر غني من نفع ... ...
مؤكدين على ان ذلك ليس من النادر في العاصمة
واضافوا بقولهم انهم يرشدوني الى عرس موافق
واشاروا على بان انهما لما قد نجد فما كان مني
مع ما ابدا عليه من التحمل والطمع في اصطياد
زوجه الا ان عزمت على الامر فرزت من جوانب
الدلاله ما لا يحصى واشتريت جهاز العرس
واستفسرت عن موضع اكراء الخيل فاعلنت اليوم
الاول جوادا لكني لم اجد خادما فخرجت الى
الشارع الاكبر ووقفت ازاء حانوت يباع فيه عدد
الخيل كمن يتناول في شراء واحده

وما هي الا فتره حتى وصل اثنان من اهل
السوق كل على فرده فسألاني عما اذا كنت
اقاول على شراء فرس ابيض كالذي لدي قوته
فارحت لدي واعطيتهما معي ذلك مجاملة واخبرا
والا انهما ذاهبان الى الترادو للنزهه فقلت لهما
اني ارافقهما ان لم يعصهما ذلك ووصفت التاجر

انه متى جاء خادماي فلبوحهما الى المرادو واعطيته علامة الرداء الذي يلبسونه ووقفت بين الفارسين وباشرنا السير وبينما نحن سائرون سرعت افكر في انه ليس بوسع من برانا ان يحكم لمن هم الخدم او من منا يسير بدونهم فجعلت اتكلم بصوت عال عن ساق طليرة وعن فرس لي ابيض اللون بمارجه الزرقه وبالغت في وصف جواد آخر قلت انهم سيأتونني به من قرطبه وكلما التقيا بخادم يقود فرسا اوقفته وسألته لمن الفرس واستفسرته عن علاماته وعما اذا كان صاحبه يرضى بيعه ثم اطلب منه ان يدور به دورتين في الشارع واخيرا اقول له ان به عيبا في اللجام وان لم يكن لذلك اصل واسر عليه بما يجب صنعه لاصلاح ذلك العيب وساء حسن طالعي ان اجد فرصاً عديدة لتكرار حيلتي واذ انصرف رفيقي يسيران منذهلين ولاح لي انهما يقولان «من عساه ان يكون هذا النبيل المعدم الجحاف؟» ـ لان احدهما كان يرتدي بدلة الاشراف فوق صدره

والاحر نحمل سلسله من الماس نحمت جائث كبدلة
وساره معا ـ فلت ادى افتش عن خيل طمنه لى
ولاس عم لى لانامفلون على نعص الاعباد ولمابلغنا
الدرادو، احرحب فدمى من الركاب وحعلت عرقوبى
حارحا واحدت ادور متبرها على هده الحاله وكان
معطفى ملفى على كتفى وفبعتى فى بدى. والكل
ينظرون الى فمن فائل الا انى ابصرت هـذا
ماسا، ومن مردد منهكما ما احلى الساطر فى
سره هذا! اما انا فكنت اواصل النزهه متغاضيا
كأنى لم اسمع سيئا.

ونلغ رفيقاى عرده نعل سنداب وطلبا منى
ان امازحهن فبره ما فبركت لهما حادث العباس
وانصرفت الى الام والخاله وكادت العجوزان ممن
نحس المرح احداهن تفارب الخمسين سنه والاخرى
تعل عنها نعض السى فاسمعتهما من حلو
الكلام ورطبه الشئ الكثير واثبتنا الى نفرح
لانه ليس فى الدنيا امرأه مهما ساحب اكبر سنا
منها ادعاء ووعدتهما بهدايا وسالتهما عن حالـه

السدس اللس نرافقادهما فقالنا ادهما مارالنا
فادس وكان ذالك بدو في حدسهما فاحدث دالمالوف
اى مممسا لهما ان نرداهما دسعدان دسرواح حسب
استحقاقهما فاعجبهما دمسادى وسالبادى عما افوم ده
في العاصمه فقلت ابى قدمبها هاربا مسن ابى وامى
لانهما يريدان ترويجى بالرغم عن ارداتى دهماه
قسجه المنظر دليده ومن اصل حقر لعظم مهرها
واضفت قائلا «وادا با سيدى افصل امرأه دطيفه
معدمة على يهوديه مريه فان ملكسى ولله الحمسد
دحله اربعون الف دكه سوبه وادا نجحت في
دعوى لى قد اصبحت على وسك النهاده فادى لن
احتاج فيما بعد سيئا البته» فقاطعنى الخاله نفولها
احل ادها السيد! وكم انت مصيب! لا! لا تتزوج
الا على خاطرك ولا نكن رواجك الا بامراه عريقه
في النسب وانى اوكد ابى مع قله ثروتى لم ارض
زواج ابنه اختى مع كثره من طلب يدها من
المثرين لانهم لم نكونوا من محتد كريم الا ادها
والحق نقال فقيره اذ ليس لها من مهر سوى سنه

الاف دكه، لكنها لا يحاربها احد في السبب،
قلت : في رأيي انك احسنت صنعا.

وبينما نحن في هذا انتهى الحديث بالعابثين الى طلب شيء للعدوفه من صاحبي فاذا بهما عند هذا الطلب يصح فيهما قول الشاعر

وكان كل واحد يصوب بطرانه الى الاخر
فيما الجمع دز بحف لجاهم، (3)

ولما ابصرت الفرصه سانحه قلت اني استطلب

---

3) هذا البيان مأخوذان من نشيد «موت صوت الوتصو اعلار حيث نقرأ ان الملك فرناندو بينما كان يغزو غرناطة جمع كبار فرسانه وسألهم قائلا «من منكم ايها الاصحاب يتوجه عند اي جمل السارات، فيضع رايتي فوق المسرة؟»

فأخذوا يصوبون بطرانهم بعضهم لبعض دون ان يخرج كلمه «نعم» من فم واحد منهم لان الذهاب خطر والاوبه عسر اكيده ففي وسط هذا الخوف المسجود عليهم كان الجمع يرجف لجاهم، لولا صوت الوتصو المسمى اعلار

خدمي فلس لدى من ارسله الى الدار لبادمنـي
دمعض الصادىق الصغيره فشكرنى على دلـك
ورحودهن ان دذهن فى الغد الى دكاسا دل كامو ،
حىـ ارسل لهن لحوماً بارده فعلن دعودـى
ودالمنى على دارهن وسألننى عن دارى ثم ابعدت
عرىنهن وسلكت انا ورفيقاى طرىـق الاودـه الى
الدار ولما امصرا سخائـى فى دعوى السىـدات
لعدوفه العصر ارادا ان بقلدانى فصلا تجرى على
مقابلته بالمثل فدعوانى الى العشاء معها ىلك الليله
فامتنعت فى بادئ الامر لاحملهما على الالحـاح فى
الدعوه وان كان امتناعى لم ىطل، ثـم دعىـت
معهما وبعث فى طلب خدمى مقسما انى ساطردهم
من دارى ودعت الساعه العاشره فعلت لهما انى
على موعد غرامى فى تلك الساعه ورجونهمـا ان
يعذرانى وذهبت بعد ان اتفقنا على ان نلتقى
عشيه اليوم التالى في كاسا دل كامو

وحين ودعتهما ذهبت الى صـاحب الحصان
فارجعته له ومن ثم توجهت الى الدار فوجـدت

الرفاق ىلعمون ىالورق لعىه الكىىولىاس» فاحىرىهم
ىما وقع وىالاتفاق الذي حصل وقررىا ان ىرسل
دون ىاحىر عدوقه العصر وان ىىفق فيها مئتى
درهم ورفدىا ىعد ان اىفقىا على هذا العزم واعىرف
انى لم اطىق حفى ىلك الليلة وانا افكر فيما
عساى ان افعله ىالمهر وما كان موضع ىرددى فى
ىفسى هو ما اذا كان من الافضل ادفاقه فى ىناء
دار او ىسليمه ىالفائده ان لم اكن ادرى اى
الوجهىن احسن وانفع لى

الفصل السابـع

وفيه يتلو الكلام على القصه نفسها وعلى غير ذلك من الحوادث والنكبات الخطـره

اصبح الصباح فافقنا ونهضنا على عجل نفكر في انه طريقه بعد الخدم والانيه والعصرونيه ولكن بما ان البستار هو السيد المطاع الذي لا يحجـم عن احترامه احد فقد حصلت على مسعاى بواسطه صانع حلوى مقابل كميه ابعدته اياها فمدني بالانيه وتولى تقديم العصرونيه بنفسه بمعاونـه ثلاثه خدم ومضى الصباح في اعداد العده وعند العصر كنت قد استأجرت مهرا ولما جاءت الساعـه المضروبـه سلكت طريق «كاسا دل كامبـو» وقد حشوت جيبي اوراقا كمذكرات وفككت بعض ازرار من المعطف فاطلت من تحته بعض الاوراق

ولما وصلت كانت السيدات والسيـلان قد

سعودي الى حيث تواعدنا على اللقاء فاستقبلني هن بكل حنان بيد ما احد السلان خاطبني بلسان المخاطب (1) توددا وتقربا فقلت لهم ان اسمي ضون فلبي ترديسان . وطيلة النهار لم يسمع سوى اسم ضون فلبي تتداوله شفاه الجميع

فشرعت اقول لهن اني انهمكت باشغال اصاحب الجلالة واخرى تعلق بملكي الى حد اني كنت احشى الا اتمكن من الوفاء بوعدي محاولا بذلك ان اهيأهن للعصرونية فجأة وبينما انا في الحديث هذا اذا بصانع الحلوى قد اقبل بالعدة والانية والخدم فصارت بطرات السيدات والسلس مصوبة الي بينما لزمت ألسنتهم السكوت فامرته بان يذهب الى العريش وان يجهز العصرونية

---

(1) كان المخاطب بلسان المخاطب Vos دلالة على رفع الكلفة بين المخاطبين والا كان بلسان الغائب مع تقديم كلمة . حضرتك، فيقول (حضرتك جاء او جائت)

هىالك رىما ندهب الى العدران ولكن العجوزىن
ما عىمىا ان ىلعىاىى لىحعاىى ىعض الهداىا وفد
اردىت اىىراحا حىن اىصرت الفاىىن مكسوفىى
الوجه لانى لم ار ىىن خلق الله احمل وجها من
ىلك الىى فكرت ىها لىكون روحىى ىىصاء سمراء
ىحمرة الوجىىن صغىرة الفم كىىرة العىنىن
خضراءهما ممسوقة القد حمىلة البدن فى لساىها
ىأىأة ولم ىكن الاحرى ىىىىجة السكل واىما
وجدىها اقل حىىه وجاىىىى السك فى انها كىىرة
المىال وسرىا الى العدىر واىصرىا كل سىء وعلمت
خلال الحدىث ان روحىى العىىدة لو عاىىت فى
عهد هىرودس لكانت عرضة للهلاك كواحدة من
حملة الادرىاء (2) اجل انها لم تكن عالمة ولكن
ىما انى لا ارىد المرأة مرسدة ولا مهرجىة ىل

---

2) ىطلق كلمة ىرىء inocente من ىاب المجاز
على قلىل الفطىة و«الادرىاء» ىعنى ىهم الاطفال
الذىن قىلهم هىرودس حىن علم ىولادة ىسوع
المسىح

الفاسمي الفرانى، وان كانت قبحة ورصينة فكانى الفاسمه مع ارسطاطاليس او سسكا او كمان ما، فانى اسعى ن تكون دات حسن وحمال

ثم وصلنا الى جانب العرس وبينما انا امر بسجيه ادا بزينه طوفي يعلق بشجرة فسحرق فلبلا واداك افلت الفتاه وامسكته بحلاله من القصه وقالت لى امها ان ارسل الطوق فى العد الى دارها لصلحه صوبها آنا – وهو اسم الفتاه – وكان كل شيء راصبا بدوقه وافره من طعام حارح وبارد وفاكهه وحلوى واخيرا رفع الخوان وبينما نحن في هدا ادا بفارس قد اقبل علينا من الروض المحادى يصحبه خادمان فعرفت فيه صاحبي صوبن دمعوكوروبنل وافبرت هو مني واد كنت بدلك الرى احد يعرس في بم حاطب المستدير داعيا اباهما يبات عمه وخلال هدا كله لم يكن عيناه المعارفانى وكنت انا حينئد انحدث مع صانع الحلوى بينما رفيقاى الاثنان كانت نرعاهم ...

صداقه مسه كانا مماديين في الحدث معه فسألهما
ـ حسبما ظهر بعدئذ ـ عن اسمي فاجاباه صون
فلسى ترديسان، وهو من عائله نبله وذو سرف
رفيع وثروه واسعه فرأيته حينئذ درسم على وجهه
اسارة الصلب مستعيذا واخيرا اقترب مني على
مرأى من الجمع وقال «سماحا ايها السيد لانني
حسبتك قبل ان اعرف اسمك شخصا آخر على
طرفي نقيض مما انا هو حيث لم ار قط شبها
بين شخصين مثله بيك وبين خادم كان لي في
سقوبيه اسمه داداوس» ابن حجام من تلك المدينه»
فضحك الجمع ضحكه عريضه وسعيت بدوري لئلا
يبدو لي لون وجهي وقلت انني ارغب في رؤيته
ذلك الرجل لانني قد سمعت من اناس عديدين ان
بيني وبينه شبها عظيما فقاطعني صون دييغو
بقوله «وبا له من شبه! في القامه والكلام
والحركات! وحقك انني لم ار شبيها كهذا!» واذاك
قالت السيدتان ـ الخاله والام ـ كيف يمكن ان
يحصل شبه كهذا بين نبيل من الروعه بهذا المقام

ومحال ساول كذلك، واضافت احداهن بقولها دفعا
لكل سهه «اني لاعرف صوت ملمس حق المعروه
وهو الذى اضافنا بامر من روحى في بلدة اوكاناما»
ففهمت مقصدها وتنبت على كلاميا بقولى ان
زعمي كانت ولم ترل في حدمتهن قدر استطاعتي
اذى كان وإداك عرض على صوت دسعو صداقته
واستسمحنى عن الاهانه التي وجهها الي باحدى
ابناى باسم الحجام واضاف قائلا ان حضرتك قد
لا تصدق ما اقوله لك عنه : فامه كانت ساحره
وابوه لصا وحاله جلادا وهو من خلق الله واكبرهم
دناءه وما قولك بما سعرت به حين سمعت عن
نفسي هذه المنكرات؟ فالحق عال لقد كنت
- وان حاولت الاخفاء - كمن على الجمر واحيرا
حاولنا الاوبه الى المدينه فودعنا السيدات وصوب
دبيعو انا ورفقاى وركب صوت دسعو العربه
معهن فسألهن عن معرى هذه العصروبه واجتماعهن
بى فاجابه كل من الام والخاله انى ذو ملك رفعه
السنوى كذا من الذكاء وانهما يريدان ان تزوجانى

دآدبكا (3) وقالنا له ان يستفسر عنى فيرى ان الامر مصيب وان فيه سروا عظيما لكل عائلتهن

واثناء هذا الحديث دلف دارهن الواقعة في شارع الارنال بالقرب من كنيسة سان فيليبي اما نحن فذهبنا الى الدار جميعا كالليلة السابقة، وطلبت مني رفيقاي ان ألعب طاولة في سلبي ففهمت مقصدهما وجلست واخرجا الورق – وكانت الاوراق مرورة بالحاوي – وخسرت اللعبة الاولى لكني ما لبثت ان عاودت الكرة وربحت منهما نحوا من ثلاثمائة بلوين ثم ودعتهما وعدت الى داري فالتقيت برفيقي المأذون برادلاغاس وبترو لويس اللذين كانا يدرسان في زهر النرد بعض الحيل الناجحة فلما ابصراني ادركا ما هم فيه وسألاني عما وقع لي فلم ارد على القول باني وجدت نفسي في مأزق حرج واخبرتهما كيف انفقت نصوص بدعو وما حصل لي فسلماني واشارا

3) تصغير آنا

علي بالحكم والا اتراجع عن قصدي باية طريقة او وسيلة

وبينما نحن في هذا تلعبنا انه تسقط في دار جار لنا صبدلاني حلقة للعب بالورق لعبة الوقوف وكنت انا احسن هذه اللعبة اذ كان لدي ورق مرور يمكنني من الغش فقررنا ان نذهب الى داره لنفجع من عدة نميت ـ اذ نعني بهذا الاسم دون صرة ما ـ وسبقني اليها صاحباي وسألوا من هناك عما اذا كانوا يرغبون ان يلاعبوا راهبا يدكينا قدم منذ قليل للاستسقاء في دار بنات عمه وانه اقبل مريضا ومعه كيس من الدنانير والملابس الثمينة (4) ففتح الكل اعينهم وصاحوا قائلين اهلا وسهلا بالراهب على الرحب والسعة فاضاف عمرو اونيس بقوله لا نخف عليكم انه ذو مكانة في رهبنة ولكنه يريد ان يسلي وهو خارج عن الدير فان نلعب فذاك لنا في اللعب من حدث

4) الملبوس الثمين بعد قصي كان يواري تمامه بلابس من الفضة القديمة

اكثر من اي شيء آخر فاخذوه ذاهبة بقولهم
، فلربما كان قصده، فعطف عليه بزاندالاغاس
بقوله : من اجل الحسمه . فقاطعه الصدلاني قائلا
« لا حاجه الى زياده البحث في الموضوع » وبهذا
انطلت عليهم الحيله واقتنعوا بانهم سيقعون على
غنيمة باردة وعاد صاحباي الى الدار فاذا بي قد
وضعت منديلا على رأسي وارتديت ثوب راهب
تنكري – وكان هذا الثوب قد وقع بين يدي
في احدى الفرص – ووضعت نظاره فوق عيني
ولحيه مستعاره لم يكن ليعوق لانها كانت ممسطه
فدخلت مواضعا وجلست ثم بدأ اللعب وكان
الثلاثه الاخرون قد تآمروا علي لكن صفقتهم خائبة
خاسره لاني كنت ادرى منهم باللعب فسقطوا في
شراكي ولم تمض ثلاث ساعات حتى ربحت منهم
ما يربو على الف وثلاثمائه فلوين واخيرا اعطيت
الحلوان وودعتهم قائلا الحمد لله رب العالمين،
واوصيتهم ان لا يروا في لعبي دابا للنسك لاني ما
لعبت الا للتسلية

لكنهم ـ وقد خسروا كل ما عندهم ـ اخذوا
يستعبدون بالابالسه فودعتهم وانصرفنا عائدين الى
الدار على الساعه الحاديه والنصف ورقدنا بعد ان
تقاسمنا الغسمة وقد عراني هذا بعض السيء عما
انا فيه وفي الغد ذهبت باحثا عن حصان اركبه فلم
اجد واحدا اكتريه فتبين لي من ذلك ان كثيرين
من الناس مثلي لان السير على الاقدام
كان يعسر علينا وخصوصا في ذلك العهد فتوجهت
الى حي سان فيلبي فالتقيت بخادم للأدون بحرس
حوادا كان صاحبه قد نزل عنه منذ هنيهة وذهب
يسمع القداس فنفحته باربعة دراهم ليسمح لي ان
احول جولتين على متنه في شارع الارذال وهو
شارع محجوبي ريثما خرج مولاه من الكنيسه
فرضي بذلك وامتطيت الجواد وجلت به جولتين
من طرف الشارع الى طرفه الاخر دون ان ارى
احدا وعند الجوله الثالثه اطلت صبيتا آنا فلما
رأيتها اردت ان اتطرف معها ولما كنت اجهل
احوال الحصان ولم اكن خيالا ماهرا فاذا به بعد

ان سطنه سوطنن وشددت لجـامه نسو ويلـط
لمطبن تم دركب رأسه وادا دى اهوى في مسـمع
هنالك واقبل الصبان من كـل صوب نحدقـون
دى فلما رأيت نفسى على هده الحالة وكـل دلك
على مرأى من محووسى لم اتمالك مـن الصباح
غاضبا آه با ادن الفاجرة! هب انك من حمـل
بالروبلا (5) لما عفوت عنك! وانك لندفعن غالبا
ثمن هذه الوقاحه! احل لقد اخبرت بنزواته هده
لكن اردت ان اجربها بنفسى، وعاد الخادم بالفرس
فوقف وركبه ثانيه وكان ضون دنعو كورونال
نعيم في دار بباب عمه فلما سمع الضوضاء اطل
لبرى مصدرها واد ابصرته سقط فى بدى فسالنى
هل اصبت بمكروه فقلت ان لا وان كانت احدى
ساقى قد عطبت وكان الخادم يلح علي ان اسرع
قبل ان يخرج مولاه وبراه لانه متوجه الى القصر

---

5) نوع من الخيل الاصيل اشهر بتحسين
نسلها جوان دى بالروبلا سائس الدوكـى دى
سدسا فاطلق عليه اسمها

لكن ما لبث حتى أعيى ان يصل في ذلك الحصان [illegible]
الحصان فاذا من الورد والخاتم يدور في ان يذهب
فمرت جولته وهوى على الخاتم كلها وكما تماما
على صورة ما له من الحلاوة ان يعطي فرصة لشخص
آخر ولا يكفي أنه [illegible] الى وقال لي عاصما ان
[illegible] لي [illegible] وصوت [illegible] ونحوي [illegible] ساعدني من
بحري فوالله ان هذا [illegible] لم يلحق واحد من
الناس ولا انسى من [illegible] وكان [illegible]
[illegible] وجعلنا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
في [illegible] من [illegible] واحد [illegible] من [illegible]
[illegible] المأذون و[illegible] في حال [illegible] [illegible] [illegible]
لكن [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
واني قد [illegible] فرسي [illegible] في [illegible] [illegible]
وهو [illegible] ومن [illegible] [illegible] [illegible]
فاني [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
حسب هواي و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
فرسا آخر ان استطع [illegible] وهو فرس [illegible]

المأدون ـ فاردت ان احرته ، والحق تقال انه من الصعب ان يصدق المرء ما يقال عن صلابة عجزه فضلا عن سوء سرجه ولولا معجزه ارادها الله لارداني قتيلا فقال صوت ديعو نعم انها لمعجزه ومع هذا كله ارانك تشكو من هذه الساق فقلت اوانك ناحل انها تؤلمني واود لو ذهبت فركبت حصاني وعدت الى داري اما الفتاه فقد اطمأنت الى ما سمعته حينئذ مني واظهرت عليها علامات الاسف والغم بسبب سقوطي لكن صوت ديعو حاصره الريب في ما رآه من امر المادون وما جرى في الشارع فكان سبب شقائي زياده عن مصائب احرى عديده وقعت لي واعظم تلك المصائب واصلها كلها هو اني حين تركت الدار وتقدمت لاري صديقا اودعت فيه خمسة جوب كل ما بقي لي من ميراثي من المال وما ربحته في اللعب ـ عدا مائة درهم كنت احملها ـ فاذا بالمادون الطبيب يراقب الاغاني ويرو اودس قد ذهبا به ولم يتركا وراءهما من اثر فجمد الدم في عروقي

وبقيت حائرا في امري لا ادري اي طريق اسلك

ولبثت اردد في نفسي قائلا وهل لي بقي بالمال

الحرام فانه يعود من حيث اتى! واحسرتاه! ما

عساني صانع! ولبثت مترددا بين ان احرى ورائهما

ناحيا عنهما او اخبر العدالة بشأنهما لكن هذا

الوجه الاخير لم يبد لي صائبا لانهما لو قبض

عليهما لما نجحا من الاقتصاص بعقوبة الذي اراه انا

الذي لبسته وتأمر اخرى غيرها وذلك معناه الموت

على اعواد المشنقة اما ملاحقتهما فلم يكن بالسهولة

لاني لم اكن ادري اي السبل اتخذا

واخيرا ولئلا اخسر صفقة الزواج ــ اذ عرفت

اعتبر ان اموالي بسقطها الشهر ــ قررت ان ابقي

ولو كلفني ذلك ان ابدد حرامي بيدي! فقمت

فاكلت وعند العصر استأجرت مهرا وسرت نحو

شارع مجهوليني ولما لم يكن معي خادم ولم ارد

ان يراني بدونه صبرت في احدى الزوايا حتى ان

مر واحد من الناس يكون عليه امارة فاذا ما

جاز خرجت وراءه فيبدو كانه خادمي ولو لم يكنه

في واقع الأمر وحين ابلغ طرف الشارع انعطف حادما
الى ان يعود واحد آخر عليه اماراته فاعيد الكرة
واحول حولة اخرى ولست ادري اذا كانت قوة
خفية تكوني انا غير ذلك الشاطر الذي داخلت
صور ذعه رغبة في امره اذ هي الرغبة التي
ساورته منذ جعلني المأذون وخادمه وما جرى
لي بعد اذ اي سبب آخر، ولكن الواقع هو انه
جعل يسعرني عن شخصي ومواردي عيشي ونسرفني
واخيرا كان من نتيجة معه انه اطلع على الحقيقة
فاغرب الوسائل واعجبها لأني كنت امسك بقبضة
الروح مسبحا بعض الزنائق وكانت السيدات
يجدن عند ارتميهن الخارة في الفراغ من القصة
وبينما هو يسعى وراثي المعني بالمأذون فانسا
— وهو الذي اضافني يوم كنت اسكن مع الفرسان —
وكان هذا غاضبا علي كل الغضب لأني لم اعاود
زيارته ولما كان يعلم اني كنت فيما مضى خادما
عند ضون ديغو احمره تلقف انه رآني ودعاني الى
الغداء عنده وكيف انه اتصرني منذ يومين على

من فرس في زي أنيق وقف حذوه باب البرج

بعد ذلك بزوده وأتبعه فلم يكن من صوت يدعو

إلا أن عاد إلى داره وبينما هو في الطريق التقى

بعد باب السجن بصاحبي البيت ثم قد تعرف

إلى مجهولين يرفعهما فقص عليهما القصة كتبها

وقال لهما إن سعدا قاد حراسي ليلا في الشارع

فلتحذر رأسي وإنما ستعرفاني بالعصا السوداء

باسمه فإني أكون بالنسبة أداة ولهم [illegible]

الأمر [illegible] وظل يعظم موقفهم في كما في

تلك الساعة وبابن الحديث حول ما يحسن أن

يصنعه ليلا وحينئذ ودعا الفارسان وسار في

سبيلهما في الباحة المجاورة من الشارع وبعد لما

وصول [illegible] فقعد [illegible] [illegible]

[illegible] الشارع [illegible] صوت يدعو [illegible]

عليك هلا [illegible] معطفي [illegible] [illegible]

أن أمر من هما دون أن عرف فقد [illegible]

[illegible] واحد [illegible] [illegible]

معطفي في ساعة [illegible] [illegible]

عنه لكنه وقد اسر في نفسه ان يوقعني في الشرك قال انه يفضل السير وحده ومن الاحسن اولى ذاهبا

فما كدت احيد عنه حتى شاء الرحيم ان كان هنالك شحصان ينظرانه ليمسكا به بسبب احدى النساء فانصرفني وانا لابس معطفه وحسباني اياه وانهالا علي ضربا بعرض السيف فاخذت اصيح وعلى الصباح وبعد ان تفرسا في ادركا انني لست بعنون دنعون فولا هاربين وبقيت في الشارع وحدي اشكو آلام الضربات ووقفت برهة لا اجرؤ على دخول الشارع واخيرا على الساعة الثامنة عشرة وهي موعد حددته مع محبوبتي طلعت باب دارها فاذا باحد الرجلين اللذين كانا ينتظرانني اعتقادا بانني صون دنعو يتصدى لي ويهال على بعصا وينلني ضربتين على ساقي فيرميني على الحصص واذا بزوجه يتقدم مني فجر شعر رأسي من اذن الى اخرى ثم نزعا مني المعطف وتركاني مرميا على الارض وهما يقولان هذا جزاء الكذابين المحتالين الساقطي الاصل فاحدث اصيح واستغيث

غير أني لم أكن لأعلم حقيقة الأمر وإن خامرت
نفسي ريبة مما سمعته منهما بأنه قد يكون صاحب
الصوت الذي خرجت منها تلك الجملة التي تصفها
بدعوى تداخل محكمة التفتيش أو السحار المخدوع
أو رفاقي الهاربين وخلاصة القول أني كنت أنتظر
الضغطة من كل جهة — بحيث لم أدر لمن أنسبها — حاشا
أن يخشى من جانب صوت دفعو وكنت أصيح
بملء شدقي قائلا بأسره العواطف فأقبل رجال
الأمن ورفعوني ولما أبصروا في وجهي جرحا بليغا
وأذني بلا معطف ولم يدروا ما هي القصة ذهبوا
بي للعاجوني فأدخلوني دار أحد الحراس فضمد
جرحي وسألوني عن مسكني ثم حملوني إليه

فرقدت وبقيت تلك الليلة حائرا مفكرا بالأمر
وجيبي المسروق وجسمي المرضوض وساقي المجلس
وقد عجزنا عن حملي ولم أكن لأحس بهما وهكذا
بت مجروحا مسروقا بحيث لم يبق بوسعي أن ألحق
بأصحابي ولا أن أحاول الرواح ولا أن أبقى في
العاصمة ولا أن أغادرها

الفصل الثامن

فى سعاشى وعىر دلك من الحوادث العرىىه

اصبح الصباح فادا ىى ارى ووق رأسى ربـه
الدار وهى سحه طاعنه فى السن مىحعده المعاىىم
معىره الوحه كىىره الى طاىب طحىىا ان سىلت
عن سىها احادىب ىادها ما زالت فى رىعان الصىا مع
انها ذات وحه كىىر الىعور لحاء عوراء لا ىعرى
ولا ىىهى وهى مىال العحور الساحره وكانت
ذات سهره فى الحى وما اكىر من كانوا ىصاحعونها
ومن سانها ان ىىىع الادواى وىحىع ىىن الىهوات
وىسىها ىلاىه ىى لعىا وكانت ىىكرى دارها
وىعىىى عن مكىرىى الدور احرى ولم ىكن الىىوى
لىحلو من الناس طول الىىه واىك ىىعحب انو
رأىىها ىدرب العىىاب فى فن الانىدار وىعلمهن ما
ىحىىن ىهن كسىه من وحوههن اولا فالىىىاء

يعنيني أن ... ولو في ... وذات الذين

اخ... عن اظهارهما والشعر ...

... وخرج طرف صغيره من ...

العنف والاذى والجماعة ... ان ...

حدقتها فاره ... وطورا ... الى

... وكان من احاديثها في العصر ان لو ...

... الى ...

وجوه ... لا يعرفهن احد لا ...

... وكان ...

... في ...

... ووضعا ...

ما يكون في ...

... في ...

وكلما ...

واملة ... الى ...

على ... والجماعة

والعماد ... من ...

والامر ... ان ...

واسالمـ احرى لطاب السلاسل والحلى ودسسسهد
دلاىلداىاد. رمىلىها في الملعه و .ىلادوساد. رمىلمها
في ىرعس وكاماهىا مں المارعاب في ور الاحىال
والكدب

وفد سردت هدا كله امداحـل السعمه فلت
من درى دمن الة ابد سعطت ومعدر حمر دعددـر
ما ودمىه لى من الحجج وحىث لـم دكن لمىكلم
دسى' فمل ار دصرب علده الامىله ىدأب دعولهـا
•اعلم ىا ىي صوں وىاسى اىه مر حىث دحرج ولا
ترند سرعار ما ىلع الععر المعمـد، وكما دكون
المراب ىكوں الوحل وكما دكون الاعراس دىكون
الحلوى وانا لىسب اعرفك ولا اعرف طرىعه عىسك
ولكىك فىى ولا ىهوامى ان تىـدر ممـك دروات
السىاب دون ار دحـسب اىىا ودحـىں ىىام دسىر
دحو اللحد وانا ككىله من المراب نوسعى انـــ
اكلمك دهدا الكلام وهل من حدىد في ان دعال
لى انك ادلعـب دروه واسعه دون ار دسعر بها
وانك سوهدت دوما طالما وآحر ساطرا وىالما دسلا

وليس هذا من جراء الصحبة التي تلبس بها؟ لا
فإن لي نا سي من فراقي وانا اقول لك من انبيا
الا ان كل نعمة وصاحبها واعلم ايضا بأنني ان
الحذر منجاة للمرء لأن الفرق قد صنع بين الند
والعم واهمأ ابها الآباء فان اقصت علبك مصجعك
رغبة في النساء فاعلم اني الاثمة على تلك السلعة
في هذه الدار واني اعنس مما ارجحه في هذه التجارة
وسواء على الدلالة ام السر وعالما ما تجمعت بهن
في الدار وليس عاملك ان يعمل من صحبة سطر
الى ساطر آخر بعضا ورا معمره مسرحة تهب تذبيها
لن تقدم لها صحن طعام وجعلت انك لو سلمتني
ذاتك لوفرت على نفسك كثيرا من الدنانير التي
تنسب بين تحت المال ووجود الارزاق وموديان
والنية الصالحة التي ارعبها ما كنت تصنعت حتى
بما لي عندك من اجره النوى لولا حرمي الشية
لسراء بعض الاعسات والنيات - لانها كثيرة
تستعين بالمساحيق دون ان تكون عقاقيره ويعطي
السحر لن تدفع لها عنه اجرا

ولما انصرف عطيها قد انبهت بالمطالبه اوقد
احرته مع انه موضوع حديثها ولم يبدأ به كما يفعل
العقيه ثم احرج ازرارها ولم تقم بها سابقا حين
لا ينزلها وانما وقع ذلك ذات يوم وقدمت فيه عرفتي
انعقد لي عما سمعته من حديث اناس لي عن
شؤون تجربه وان العداله حاولت ان تقبض
عليها فاحتبت الدار والشارع عن نظر رجالها
وجاءت تسرع من رأسي ذلك الوهم قائله ان التي
فعلت تلك الفعله امرأه اخرى تدعى عساء ولا
عجب ان يحار الطريق جميعا حين يسير وراء
اداه كاولئك (1) واخيرا عدت بها مالها ونسما
انا اعطيتها اياه سأ الخط العابر ـ الذي لا يساوي
قط ـ والناس الذي يذكرني دائما ان يدخل
مأمورو العداله اقبضوا عليها بتهمة الربا وقد
علموا ان تسعيها عندها اداة قد حاولوا عرفتي

---

1) اي المؤلف يجانس حول كلمه عما
التي معناها الدلال وقد استعملها اولا كاسم علم
ثم تبعها الجمعي

وجد ب العروس في الفراش وهي الى جانبي انها لو
سلمنا جسمها بالضرب الشديد وتعبوني مرارا ثم
جروني خارج الفراش اما هي فامسكتها امام
منهم وصفا عندها ولا من النسائم ناعمين
انها ساحرة ساحرة ومن كان لبطل هذا الحس
بمره جدايها على الشكل الذي وصفته وعلى رغم
الأمور وبأوهي الكسرة رجل العسق - وهو
بائع فاكهة وكان اذات داخل الدار - هارب فلما
انصروه وعرفوه ما قاله واحد حر من ثورة
لنوى اني اسب صاحبها اطلعوا وراءه وامسكوه
بعد ان يركوني ممنوعا مصروبا ومن كل مصيبتي
كـ ب اضحك مما كانوا يقولونه العجوز فقد
كان احدهم دطر اليه قائلا ما احسن ان تكون
معه الا وعلى رأسك تاج السعي (1) ولد ...

---

(1) كان المحكوم عليهم بجرم الزنى و السحر
يطاف بهم في الشوارع وعلى رؤوسهم تاج ... يغطى
... الجمهور و شعار ... حتى يرموهم بالحصى
والفواكه وغيرها

ان اراك ترسمين ثلاثة الاف امرأة تكون في
خدمتك وتقول الاخرى ان المسايخ قد اعدوا الرئيس
وهم في انتظارك لتدخلي مرداته واخيرا جاؤوا
بصاحبيها وربطوهما معا واستعفراني عما صدر منهم
نحوي وانصرفوا بعد ان تركوني وحدي فسري
عني قليلا حين رأيت مصفقي على تلك الحالة
وهكذا لم تبق اي من هم الا ان اقوم على عجلة
لا يمكن من رميها بتر بقاله (1) وان كنت - لما
سمعته من خادمة تعيش في الدار - لم ابق كل
الثقة بنجحها لانها قالت لي كلاما لا اذكره
بالتفصيل عن الطيران وامور اخرى لم تقع من
اذني خير موقع فمكثت في الدار اعالج فيها
خلال ثمانية ايام اكاد لا اقوى اثناءها على
الخروج وقطبوا الى خرج وجهي اثنى عشرة قطبة
واضطررت الى حمل عكازين
وهكذا وجدت نفسي صفر اليدين لان المئة
درهم ذهبت في ما اديته عن الفراش والاكل

---

(1) راجع الحاشية السابقة

و لاقامه وقد لم نعد نمن لدي فلس واحد عرمت
دفعا لمصروف لم اعد قادرا على تحمله ان أخرج
من الدار بعكازتي وانا اتسوى واتطواف وارتدي
وكانت كلها من النوع الفاخر وهذا ما فعلته بم
اشتريت بما تجمع لدي من ثمنها رغيفا حلقا من
النسيج العرطني وكيسا من المساوه ورداء طويلا
مرقعا وسروالا ضيق الساقين وحذاء كبيرا وادخلت
قبعه الرداء في رأسي وتلففت في عمقي سحه وصلت
من العمر بعد ان بعثت تاوهات السائلين وعباراتهم
المؤثره وتحديهم البائسه من قصير شارع في هذا
العمر وهكذا شرعت امارسه في الاسواق وحضرت
بين درهما عشت لي في قماري واصرفت لي
مهنه الفقر متكلا على جوده كلامي وتحولت على
هذه الحاله في الاسواق طيله ثمانيه ايام متوقعا
بصوت الم مرددا عبارات كهذه تصدق بم
المصرانى لصالح يا عبد الرب تصدق على هذا
البائس المعطوب اوانني اسعق على عيني من
ان يكون في هذه الحاله وهذا ما كتب فوق

ايام العربان اما الايام الاعياد فكنت اعبر صوتي

واستعمل مشاعر اخرى فاقول ايها النصارى المؤمنون

بما عنده الرب استحلفكم بالاماره الرفيعه سلطانه

الملائكه وام الرب هلا تصدقوا على معقد يائس

ضريبه بيد الرب ثم اتوقف هنيهه وذلك من

الاهميه بمكان ثم اضيف قائلا ان ربحا قادرا في

ساعه جنس بينما كنت استعمل في كرم قد افقدني

وبين اعصابي واغد كنت وبما مضى صحيحا سالما

كما انتم وكما ستكونون والحمد لله

وكانت الدراهم بهذه الحماسه تتساقط بين

يدي بغزاره فاكتسبت مالا وافرا واولا فني وفتح

اوطع بفضل احدى الساقين تبرز فوق عجله صغيره

في نفس الشوارع التي ارتدت فيها انا فتجمع من

الصدقات قدرا وافرا لكان كسبي اكبر بكثير

وكان ذلك الفتى يرتدد بصوت ابح بنغمه صائحا

دعواته تذكروا ما جلبه المسيح عذاب الرب لي

على خطاياي فتصدقوا على المسكين بما تلمون من

الله وصفق قائلا. اسرجكم باسم جيشو (1)

الصالح فيكسب من كل عدا ما لا يحصى فاتشبهت

الى اسلوبه ولم من بعدئذ وقط حسوس بل

جيشو بحذف النس فانه اكثر تحريكا للقلوب

واست حمل لها على السفعه واخيرا عرفت عماراتي

وحملت منه كثيرا وكنت امشي متوكئا على

عكازين وساقاي في حيره من الحالد وقد فقدتا

بعماية غريبة. وكنت في مدخل دار حراج يرفعه

احد وعرت الاروه وكان عدا في طلعه ما خلق

الله من الحماس. واسع المروة. يتصرف كسجينا

فيكسب كثير من الجمع وكانت له اثره كبيره

وكان يرفض دراعه بحيط رافعا اياه الى اعلى

... وكأنه صورة الماء اقطع ومحدودب في آن

واحد ويرمي عن ظهره في موضعه وقطير من به

من الخارج كانها كره فيصيره (2) ويقول ...

---

(1) جيشو اي شوع

(2) والعرس الذي يقصب ... وذراعه

عصا ... ويمسك على ذلك لبنه فاذا ... واخذ في

العمر وهبه الرب للمصرانى» فان مرت به امرأه قال «ايها السيده الجميله! ليكن يد الله معك!» وكان السواد الاكبر من النساء يمررن به وان لم يكن تلك طريقهن ويصدقن عليه ليدعوهن بهذا اللقب وان مر به جندي قال «آه! يا حضرة البورباسي» وان كان المار من عرض الناس قال يا حضره الشريف وان رأى واحدا يركب عربه سماه بعدئذ بصاحب السعاده. وان ابصر سماسا على ظهر بغله سماه «رئيس شمامسة» ويحمل القول انه كان لا يداني في فن الرياء والزلفى وكانت له اساليب اخرى للاستعطاء ايام اعياد القديسين وقد توطدت بيني وبينه روابط الصداقه فانتهى الي ذات يوم بسر اعيادا بهارين وهو ان

الدم مسحه بشيء من صابون ودم الاحوين وقطر عليه شيئا من سمن والصق عليه خرقه وكشف بعضه فلا يشك من رآه ان به الاكله او بليه منه الاكله. والقلور الذى يحتال لخصيته حتى يريك انه آدر الجاحظ: كتاب البخلاء – ص 55 طبعه ليدن

صاحبي هذا كان عنده ثلاثة صبيان يسحبون
في الأسواق ويحملون ما يطلبه أبوهم ثم يدفعون
إليه ما يجمعونه فيحتفظ بالكل وكذلك كان بعض
صبيين مكلفين بإدراج الصدقات للكنائس فيسلبهم
وأباهما ما يحملانه معها

أما أنا فبعد أن تعبت بنصائح مثل هذا المعلم
وسمعت منه هذه الدروس قررت أن أحذو حذوه
وصوبت خطواتي شطر الأنس فما كاد يمر علي
شهر حتى جمع عندي ما يربو على مئتي درهم
خالصة وفي آخر الأمر أدى في [illegible]
[illegible] وسرق [illegible]
[illegible]
[illegible]
بذلك فخرج وسأل عن [illegible]
[illegible]
أصل [illegible]
[illegible] واحد عن [illegible]

وتجمع لدى خمسون دينارا وسقطت قدماى وان كنت لم ازل اسير بهما متعثرا

واخيرا عزمت على مغادرة العاصمة والتوجه الى طليطلة حيث لا اعرف احدا ولا احد يعرفنى فاشتريت ثوبا قديم اللون ورثا وسخا وودعت للكاسار ـ وهو القصر الذى تحدثت عنه ـ وبحثت فى الفنادق عن ركوبة تحملنى الى طليطلة

الفصل التاسع

وفيه اتعاطي التمثيل والشعر ومغازلة الراهبات(1)

في أحد الأعياد صادفت جوقا من الممثلين يستعدون للسفر إلى طليطلة وكان لديهم ثلاث عجلات وشاء الله أن أجد بينهم واحدا كان لي

---

(1) مغازلة الراهبات – كان من المألوف في ذلك العهد حسبما يستنتج من كثير من الشواهد الأدبية والتاريخية تردد الرجال إلى أديار الراهبات لمحادثتهن في أيام وساعات معينة من وراء حجر مشبك يعرف باسم Locutorio أي محل التكليم وكان بعض الشبان يتخذون من ذلك فرصة للاسترسال في مغازلة الراهبات على نحو ما نرى في هذا الفصل لكن هذه العادة ما لبثت أن ألغيت من أنظمة الراهبات

يوما أيام الدراسة في القلعة ثم انصرف عن الدرس
إلى التمثيل وأعلنت رغبتي في مغادرة العاصمة
إلى طليطلة، ولم يعرفني إلا بعد جهد جهيد من
خلال الحرج الذي يوخزني. ولم يكرر رسم إشارة
الصليب مرتعشا وأخيرا نزل عند رغبتي حيا
بالي. وحصلت بين الآخرين مكانا يشبر بعضهم
فيه ربا وقد أحاط الرجال بالنساء وانصرفت واحدة
منهن وهي الراقصة وكانت تمثل فوق ذلك أدوار
الملكات وأبطال الأدوار البهية في المسرحيات فإذا
بها غاية في الكيد والدهاء وصدف أن زوجها
كان جالسا إلى جانبي فعلمت أنه مدفوعا برغبتي
في امتلاكها — دون أن أعرف من هو — هذه
المرأة بنية صورة يمكننا أن نعانقها الحديث أسعق
عليها عشرين دينارا لأنها في نظري غاية في الجمال؟
فقال الرجل لا يصلح بي وأنا زوجها أن أجيبك
على سؤالك هذا ولا أن أبحث في الأمر. ولكن
— واعلم أني أقول هذا بلا تحجر — يمكنك أن
تتفق عليها ما أردت من الدنانير لأنك لن تجد

أنها مقيمة في الجمال والثروة، وما أن فرغ من كلامه
حتى قفز من النافذة وتسلق إلى شجرة أخرى
متسلقا في الجبال — حسبما ظهر — أجسامها وقد
أضحكني سرا جواب الرجل وذهبت أبحث عن رجال
مثل هذا لكي أقول إنهم دنيا وحكاياتهم ليس
لهم فإنه يدل على حب الإنسان للسائر وتقمص
شخصية يتأدى الإنسان إلى أن أحب وسمّا عن
مآلي وحياتي واحدا وبعد ذلك كثير أحد العمر
في ما بعد وتحولنا إلى طاقات وواكبنا المسير
في حمر

وبينما نحن سائرون خطر لي خاطر فأخذت
أمثل قطعة من مسرحية سان أليخو التي كنت
أحفظها منذ الصغر وقد أخذت في التمثيل لـ

12 سان أليخو San Alejo — وجد مسرحيتان
تحملان هذا العنوان الأول مؤلفها خوان دو بـ
دي وسدا وقد صدرت في مدينة بلنسية سنة 157
والثانية من تأليف أحد أفراد الشاعر مجهول سابقة
دفعو كتابتها

حد انهم طمعوا في ضمي الى صفوفهم ولما كانت المرأة مطلعه بواسطة صاحبي الذي درافقهم على دكماني ومصائبي عرضت على الانضمام الى جوقهم ودالعوا أمامي في الناس على حماه الممثلين ولما كانت الفتاة قد أعجبتني وداخلني رغبة في التقرب اليها تعاقدت مع مدير الجوق لمدة سنتين وأمضيت له تعهدا بمعاشي الى جانبه واعطاني حصتي وادواري وانما هذا كله لعلها طلبناه فاسندوا الى حفظ بصفة مبادئ بعربية لاهي فيل بمثل المسرحيات وادوارا أمثل فيها اشخاصا دوي لحي كنت أحسن تقليدهم بصوتي فذاب حل عنادي والعب المديح الاول في المدينة وكان على اساس مركب أهل مشككا بلا مؤونة ومطلعه هذا هو المرفأ وكان بحلله باهب عرض الناس ملأ واستعارهم عن الهفوات واستحسانهم لنا سنمثل وحين فرغت من العائلة فوبلت بعاصفة من التصفيق ثم غادرت خشبة المسرح وقد احسنت بتمثيل دوري

وبعد ذلك مثلنا مسرحية من تأليف احد

مملمًا وقد عجبت من أن يكون بينهم شعراء

لأني كنت أعتقد أن الشعر لا يحسنه إلا العلماء

الكبار ولم يدر قط بخلدي أن الناس مثلهم نصيبا

منه ولكن الشأن الآن في هذا الباب هو أنه لا

يخلو صاحب حوق من أن يؤلف مسرحيات ولا

عجب من أن معظم مبارك تدور حول مناوشات

المسلمين والنصارى وأني لأذكر أن الحالة كانت

فيما مضى بعد هذه الغيبة البعيدة عنا هي غيرها الآن لأنه

إذاك لم يكن يسمى مسرحيات إلا أنا كنت [illegible]

للوبي دي بيغا أو الراموين (1) وإلا فلا وأخبر

[illegible] المسرحية في اليوم الأول ولم يعجبها أحد

وفي اليوم الثاني بدأنا بها [illegible] وشاء الله أن [illegible]

[illegible] معركة [illegible] فجرحت ساقها ومرورت [illegible]

---

(1) رامون الراهب Ramon الموصوف [illegible]

أو رامون، مؤلف مسرحي إسباني [illegible]

[illegible] وأوصى [illegible] وتحت [illegible] مؤلف

[illegible] مسرحية [illegible]

سنة [illegible]

واولاه اسقطت نحت وابل من السعرحال الردئ
وبقايا الحصر وقسور البطيخ ولم ير قط روبعة
كهذه والحق يقال ان الرواية كانت جديرة بذلك
لانها كانت بمال ماكنا بورماندنا لامجال لظهوره
بموت مالك وحادمس لاثاره الضحك وعند حل
العقدة بروح الجميع وهكذا تنتهي الرواية ولهذا
فوبانا سا بستحقه وأساسا معاملة الرفيق الساعر،
ولما لسب احيي عاده باللائمة وامثلا له ان نقصر
فيما يخوبا منه واعتبر قال لي انه امس له سيئ
مما في الروايه وانما صنعها مسويا على عدة مقاطع
لمختلف الروائيين ومن مجموعها حاك مسرحية
فجاءت مجموعة رقاع كرداء الفقد وانه اذا اخطأ
في حاطئها واعترف لي ان كل الممثلين الذين
يؤلفون مسرحيات انما هم مكلفون بالارجاع لانهم
يمدون اباديهم الى ما سبق لهم ان مثلوه من
مسرحيات وذلك سهل جدا وان الطمع في كسب
ثلاث او اربعمائة درهم هو الذي يدفع بهم الى
ذلك التعزيز ومن جهة اخرى حيث انهم يرددون

على هذه الاماكن فان الكثيرين يقرؤون انهم مسرحيات فاحتووها اطلعوا عليها واذا سرقوها فيضعون انها نزهة ويجدون عبارة جديدة ويسمون المسرحية بنفوسهم وصرح لي احدا بانه لم يوجد قط ممثل احسن [illegible] الا على هذه الطريقة

فلم استطع الحيلة واعترف اني سعيت [illegible] الى استعمالها لما كنت احسبه من تعدي [illegible] الى الشعر اضف الى ذلك اني كنت قد تعرفت على بعض [illegible] وجاءت مقولة [illegible] (1) وهكذا [illegible] رأي على الاعتراف ان هذا [illegible] فاصبحت [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] مسرحية [illegible] [illegible] وبذلك اصبحت مشهورا وعرفت [illegible]

(1) [illegible]

احدى [illegible]

دالوبصسى (5) لادى قلت ان اسمى الوبصو ومن
جهه احرى كنت الف «دالفاسى» لادى مثلت في
احدى المسرحيات دورا بهذا الاسم اعجبت فيه
كل الاعجاب الرجاع والعامه من الحاضرين –
حتى صار عندى ثلاثه ازواج من الاكسيه وصار
بعض مديرى الاجواق المسرحية يحاولون انتزاعى
من الجوق الذى انا فيه واصبحت احدث كمن
له خبره فى فن المسرحيات واتحلى بالملائمه على
الممثلين المشهورين فاقلد حركات سانشو وامشى
على هدوء سانشس وطراوه مورالس (6) وكنت
استشار فى ترتيب المسارح وتجميلها وان جاءنا
احد ليقرأ علينا مسرحيه ما كنت انا السامع لها

---

5) تصغير الوبصو

6) سانشو Sanchez وسانشس Pinedo ومورالس
Morales ثلاثه ممثلين بارعين حازوا قصب السبق
في هذا الفن منذ سنه 1599 و 1613 وقد مثل
الاول كثيرا من مسرحيات لوبي دي بيغا

واخيرا سجعني هذا النجيب فاخرجت باكورة
شعري قصيدة عامية واعقبتها برواية قصيرة قوبلت
بالاستحسان

ثم حدث في الجرأة الى وضع مسرحية طويلة
وبتلا بعونها ان تكون ذات صلة بالامور الالهية
جعلت موضوعها مريم العذراء سيدة السبحة (7)
وكان مطلعها نشيدا ديريا على نغم المزمار وفي
خلالها تظهر الطقوس المتطيرة والاناشيد اذ كانوا
يستعملون في ذلك العهد مصنجون [illegible] عند
الخروج [illegible] عند الدخول وقد استحسن
سكان المكان اسم السلطان محللا الادوار وكانوا
بعد ذلك يتنافسون فيما بينهم حول بعونه من
السماء وغير ذلك وفي نهاية الامر [illegible] مسرحيتي
[illegible] الجمع [illegible] على
العام [illegible] على [illegible]
منظومات كانوا [illegible]
[illegible] في وصف [illegible]

---

(7) Nuestra Señora del Rosario

-ردها في وصف البدين او السعر وفس على دلك
وكان لكل دمه وان كنت اسع منظوماتي باتمان
-حمصه لوحود حواسب اخرى دماع فيها السلعة
عسها

اما المراتيل وحدب ولاحرح فان داري كانت
بعج بالوافهس ومرسلات الراهبات وبالعمال ايضا
- وكنت اتفاصى دءابه دراهم عن كل دسد -
وادكر ابي في دلك العهد دطمب دسد القاضي
العادل، وهو دسد فحم حرل ددعو الى الاحسان
ودظمب الابيات المسهوره الابه لاعمى كان
يسدها باسيا اباها لدعسه وهي
يا ام الكلمه المجسده
يا ابه الاب الاله
اعطني دعمه طاهره الح

وكان اول من حمم الابسد دالمواعظ دعباره
النعمه في هده الدنيا والسعاده في الاحرى ودلك
في المنظومه الابه على لسان احد اسارى دطوان
، فليلمس دون ربا

من الملك الاعلى الذي جل عن كل عيب
ان يلهمنا الى قوة عميدنا
ويجود علينا بنعمة
وبالسعادة في الدنيا الاخرى آمين .

فبهذه الامور كلها كانت احوالي على احسن ما ارغب وناهيك عن عني واردها ان اسمع في حجرتهما واصبحت اطمع في تأليف جوف يسلى حب اذ رب وكان مرلي فحر الزمة لاسي وفعت - صعا في الحصول على زرادي رخصه - على حملة سطانية وهي ادى اسربت كمية كبيرة من احلال العادو المرسومة عليها اسلحه السلاطين وعدتها على الجدران فكانت ما بري وبي حر سه وتسرين وملابس ثمون وكانت وفي ان ترى من كل ما تملك من نوعها لان من حلالها كان نرى تمرقيها سما له من حلال هده نمكن نرى سي (18)

---

18 اتي المؤلف حماس في كدسي para ver

وحصل لي ذات يوم حادث غريب لا بد
لي من قصه ولو كان فيه عار علي وهو انى حين
كنت اكتب روايه ما كنت احيانا فى غلمة المنزل
وهنالك ادعى واكل وكانت الخادم تحمل الطعام
الى الغلمة وتتركه لى فيها وكان من عادتي ان
ارفق الكتابه بالتمثيل كما لو كنت على خشبه
المسرح فسائنا انظر انه بينما كانت الفتاه صاعده
على الدرج — وهو ضيق مظلم — وبين يديها قدر
وصحفان · كنت انا القى مقطعا من رواتى فى
وصف الصيد فاصيح باعلى صوتي قائلا
«الا فامسك الذئب! الا فامسك الذئب!
لانه سيمزقنى اربا
ويمزق ورائك فاذهب»
او يدرى ما فهمت الفتاه — وهى غاليسيه[1]

— — — — — —

ومعناها الاول حذر بان يرى والثانى باري
باعتبار para معادلة للام السيه

[1] اى من غاليسيا وهى مقاطعه في شمال
اسبانيا

من كلامى حمر سمعتنى اقول «سمرقنى وتندفع
وراءك؟» لقد ظنت ان كلامى حق وانى احذرها
من الدب فولت هاربة لكنها فى اضطرابها تعثرت
بذيل ثوبها وهوت تتدحرج حتى اسفل الـدرج
واهرقت القدر وحطمت الصحفس وخرجت تصيح
فى الشارع قائلة ان دبا هاجم رجلا ومع انى هرعت
اليه مسرعا حين وصلت كان الجيران قد اقبلوا
كلهم مستفسرين عن الدب وبالرغم مما قصصته
عليهم من ان ذلك جهل من الفتاة لان الامر هو
ما اخبرت به عن الرواية فانهم اصروا على ان
لا يصدقونى فلم اذق طيلة ذلك اليوم طعاما وبلغ
الخبر رفاقى ومناقشة انتشر فى المدينة كلها وقد
حصل لى الكثير من هذه الحوادث طيلة تصرافى
الى احترف الشعر ومع هذا كله لم يرا منى
سوء الحال

وحصل انه لما ذاع الخبر بان احوالى مدين
حوفى كانت تسير باضطراد فى شئون المحاج صدر
امر بحاشى حجز اموالى بسبب دين ودين واودع

السحر — وهي حاسمه حمسع من ىنعاطون هذه
المهنه ىسسسا الدى سا وولى كل ما وحهه سطر
ىاحىه اما انا والحق ىقال والمرعم عن الحاح الرفاق
على المسمىلودى الى حوق آخر لما انصرىت نفسى
صاحب مال وهىدام اىىق ولم اكن راعىا فى مىل
هده الحرفه وانما ىعاطىتها محىاجا وصلت الانصراف
الى الراحــه والعىس الرعىــد ووودعىهــم حمىعــا
وانصرفوا الى حال سىلهم اما انا وقد حسىت انى
ىىركى احىراف الىمىىل احرح من حىاه الىحــور
فقد اىخذت معارلىه الراهىات لى مهنه حدىده وقد
ادانى الى هدا اعىقادى ىان رىه الجمال «فينوس»
انما هى زاهده ىطمىث ىرولا عىد طلىها كىىرا
من الاناشىد المىلادىه وقد علقت ىى حىن ساهدىى
امىل فى مسرحىه ددىىه دوم حىمىس الحسد دور
العدىس ىوحىا الادىحىلى وصارت ىعىسى ىى كل
العىانه وقالت لى انها انما ىاسف لمعاطاتى حرفه
الىمىىل — لانى ىظاهرت امامهــا ىانى ادىن احــد
الىىلاء الكىار — وىىرو لحالى واحىرا قررأىى على

ان اكتب لها الرقعه الاتيه . لقد تركت الخوف

ارضاءً لخاطرك اكثر منه فاما تما تهمنى لان

كل صحيفه (10) لى دونك انما هى وحدة موحشه

وكلما كنت ملكا لنفسى كنت ملكا لك.

فاعلمني سمات المواجهه وعرف متى احظى

بمحادثتك

وذهبت المرسله بالرقعه وليس بالامكان وصف

الفرح الذى استولى على الراهبه حين علمت بحالي

الجديده فاجابتني بما يلي

الجواب

انى لا اهنئك على حالك الجديده بل انتظر

التهنئه ولو لم تكن ارادتى ومصاحبتك واحدة

لكان ... نقول الان انك ... اذ نفست

عليه ... الا ... وستسعى ... عنك

مبادرة من الارجح ان الوجهه ان تكون ...

ممكنه ولكن لا تتاخر عن ... صلاة

---

(10) اى المؤلف ... (compagnie)

... ولا ... حوى ودنه ... صحه

المساء وهنالك دمامل ولعلى ادمكن بعدئذ من الحبل على الرئيسه لاحادثك الى اللقاء.

فسر دمى الرقعه لان المرأه كانت في الواقع وطنه وحمله وبعد ان اكلت ارتديت الثوب الذى كنت ارتديه للمعازله في السرحات وقصدت الكنيسه وصليت ثم جعلت احمل نظري في جميع ثقوب السكه (11) لعلى اراها وبينما انا في هذا بسأ الله وحسن حظي - بل ابليس وسوء طالعى - ان اسمع اشارة المعارف القديمه وجعلت اسعل ولا سعله برناس وانما كان قصدى ان اتظاهر بالزكام فجاء سعالى كما لو ان ارض الكنيسه قد رشت بالفلفل الحار واخيرا بعد ان عببت من السعال اطلت من وراء السكه عجوز بسعل بدورها فابصرت بعاسى وفهمت ان السعال علامه بعارف في العجائز عاده ومن الناس من يسمع صوتا فينتظر ان يرى بلبلا فاذا به يبصر بومه ومكث

---

11) اي السكه التى تفصل بين المحل المحفوظ للراهبات وبقيه الكنيسه

درهه طويلة في الكنيسه حتى بدأت صلاه المساء فسمعتها كلها ولذا يسمى غربل الراهبات العسو المعجم، (12) لما له من العسادا كالاعماد الفخمه ومن خاصته انه لا يخرج قط من عشه العرج لان دومه لا يصل ابدا ومن المستحيل ان تصدق قولي ان ذكرت كم مرة سمعت صلوات المساء ومنذ شرعت بالمعازله استطال عمقي دراعي من كثرة ما اسرأت ارؤيه حسني وصاحب الواقه والصبي الذي ساعد الكاهن لاقامه القداس وقد أحسن هذا استعمالي وكان ذا روح جميعه، يمشي منتصبا كأنه يعدي سافد ويمشي مرارتو

12) اي المؤلف جناس في كلمه solemne ومعناه المعجم، واصا الاحتفالي حين يعت بها الصلوات وكذلك اي جناس آخر في كلمه visperas ومعناه «عشيه» واصا «صلاه المساء» وهي تصلى بشكل احتفالي وهو يعني ان معارك الراهبات يكثرون من حضور صلوات المساء الاحتفاليه لكن من دون جدوى فكان عشهم ليس بها صباح

من هنالك توجهت الى قاعة المقابلة وهي
غاصة من بهو فسيح ومع هذا لم يكن بد من
الحصول على مكان منذ الساعة الثانية عشرة كما
لو كان لحضور مسرحية جديدة واخيرا احتللت
مكانا حيث امكنني ذلك وداهمني عما رأيته من
مواقف المحبس المختلفة فمن ناظر لا يطرف بعين
ومن ممسك قبضة السيف بيده وبالاخرى السبحة
تمثال حجري فوق اللحد ومن رافع يديه وباسط
ذراعيه كالملائكة ومن غاد وآت اكثر من المرأة
السؤول مريبا حسبته احساسا من وراء جاموسة دون
ان يمس بيت يمينه ومن ملتصق بالجدار مملا
على الاخر كأنه يقاس بين عشيه والزاوية ومن
آخر يمشي كأنه لا بد ان يجب لسيره زهوا كما
يجب الفحول ومن ممسك رسالة كالحجة بين
يدي الصياد كأنه يدعو الله بارا
اما الحساد فقد رأيت منهم عصابة اخرى
فبعضهم في حلقة يضحكون ويسطرون النهر والبعض
الاخر يقرأون بأسد ويرددهن اباها ومنهم من يراه

اشارة للعبرة تمشي في الشارع المحاذي وقد تبد
امرأة ومنهم من نراه يتحدث الى خادم ارسلهـا
تتجسس وقد جاءته بنبأ ما كان هذا كان يجري
في القسم الاسفل حيث كنا اما في الطابق الاعلى
حيث كانت الراهبات فقد كان المنظر اشد حذرا
بالمشاهدة لان واجهة المقابلة كانت تتألف من برج
صغير مليء كوى وحائط محرم يبدو بدوره كأنه
زجاجة عطور وكانت جميع الكوات آهلة بعيون
ترصد فكنا نرى ارجلا وايادي مجتمعة وهناك
يدا او رجلا منفردة وفي مكان آخر نشاهد ما
الى استعمالة نوم السبت من رؤوس والسنة
وان بعضها الادمغة وفي جهة اخرى نرى جانوت
مجوف فالواحدة ترى النسخة والاخرى تنظر
متدليا وفي ناحية اخرى نعلو فنار وهناك نتوق
شريط اخضر والبعض منهن تكلمن بعد وقت
قريب وغيرهن سعدن ومنهن من يبدين بالمتعة
كما لو انها تخرج العنكبوت بصناعتها وكنا
بان نرى كيف انهم في الصف لا يسقون على

حر الشمس فحسب بل يسقطون واعجب به مطرا
ان تراهن يثاب بقدر ما تراهم مسوبين وفي الشتاء
يحدث ان واحدنا تنبت فوقه من جراء الرطوبه الجرجير
وغيرها من البقول ولا يلح بقونا ولا مطر الا نبلغه
احساما وكل هذا في نهايه الامر لرؤيه امرأه من وراء
شبكه ورجاج كما شاهد عظام القديسين فان تكلمت
كان امره كمن يعشق محرورا في قفص وان سكتت
كمن يغرم بصورة لا غير وما هذا الغي سوى لمس
حقيقي لا يرقى فقط الى صدره محكمه فلا يتعدى النظر
بالاصابع ومن حديد الشبابيك يدخل الرؤوس
ومن الكوى يطاق اليهم الغزل كان جوهر
نعمه المخفي والك بعد ذلك ان تنظر الى العاشقين
يتكلمون همسا كانهم يصلون ويحملون توبيخ
عجوز واوامر بوابه وكدب ناطره واعجب من
ذلك كله ان تراهن يغرن من النساء اللواتي
خارج الدير مؤكدات ان الحب الحقيقي انما هو
حبهن وما ادراك بما يأتين به من امور سلطانه
اساسا الدعواهن واخيرا صرت ادعو رئيسه الدير

بالسيدة، والنائب الروحي «بالاب» والواقة بالاخ،
وكلها امور يلغيها النائب بالشارة ومرور الزمان

ولكني اخيرا بدأت اسمع من المحاطرات
يطردني والراهبات يسألنني وفائك بين عند
ما ادفعه ثمنا للجحيم ورخص ما يدفعه الاخرون
وبامل ــ الطرق الضالة التي اسلكها لا محالة واني
سائر الى الجحيم بسبب حاسة اللمس وحدها ...
وانني حتى اتكلم ــ الا بسبعين ... من ...
امام السائلات ــ ... الى رؤوسهن الى ...
... الحياة ... تلامذتها في ...
طينة ... والنكهم بصوت ...
... يسمعه فلا ... ولا يرى احدا ...
... لعنه الله عليك يا ماكرا بالراهبات ...
حتى اسوأ ...

وهكذا ... حعلني ... الكثيرة
وكاد ... على ... الراهبة ...

---

(18) اي لانه لم يكن ... و ...
كان ... الراهبة لا ... اصابع ...

فوني وعزمت على ذلك يوم عيد القديس يوحنا
الانجيلي لاني في ذلك اليوم اكملت معرفة ما هن
الراهبات وحسبك ان تعرف ان راهبات يوحنا
المعمدان يحجرن جميعهن قصدا وكانت اصواتهن
وهن يرتلن القداس يحسبها اكثر منه ترتيلا
وكذلك لم يغسلن وجوههن ولا يلبسن الا الالبسة
القديمة كما ان اصدقاءهن وقد بالغوا على ان
يعتدوا العبدروتية جاءوا الى الكنيسة بصفات بدلا
من الكراسي وكثير من السطار من الزجاج
ولما رأيت بعضهن يسبب احد القديسين
والبعض الاخر بسبب آخر يعاملونهم أسوأ معاملة
احدث من راهبي ما قيمته خمسون أسكودا من
الانسجة المطرزة والجوارب الحريرية وصرات العنبر
والحلوى لاتبعه بالفرقة واتبعها بالثمن فلما صارت
تلك الاشياء بين يدي سلكت طريق اسبلية لاخرب
حظي في بلاد اوسع نطاقا اما ما ساور نفس الراهبة
من ألم وحسرة على ما ذهبت به اكثر منه على
فلسأمله القارئ الورع

الفصل العاشر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

اكبر منه رحلا وعن سرد عيوب نفر منها الناس
لئلا يكون مدعاه الى الاقتداء بها ولكن لعلى
نسرد بعض الحيل والمعاذير احذر الغافلين من
عاقبه عملهم واذا ما اطلت على قرائى حمله بعد
قراءتها فانما نفع الذنب على نفوسهم

لا تركن ايها الانسان الى دفع ورقات لعبك
لانهم يتداولونها لك بعسرها وهم يفرطون السمعه
واحفظ ورقك من ان يمس بالقسط او الصقل
وفيما يعرف سوء الطالع واعلم ان كنت ساطرا
انه فى المطابح والاصطلاحات يعزز في الاوراق حلائل
او يطوى ليعرف من السقوف وان لاعبت اناسا
ذوى مروءه فاحذر من الورق لانها منذ المطبعه
حمل بها بالاتم فيكفي ان يادي الورقه محالفه
ليعرف مافيها. ولا تثق بالورق المطبع لان مايريك
منظرا جميلا ويخفظ باكبرها بطاقه (3) هو في

معانيها الصفو اى الغش في اللعب وبه استعملها
هنا ثم استعملها بمعناها المعروف
(3) اي بالمال

الواقع وسح وان لعسب بالورق فاحذر حدن حلطها
الكلف بذلك ان بعوس الصور - حاسا الملوك -
وهو تطويها اكسر من نعمه الاوراق لان ذلك
التعويس انما هو من احل مالك المرحوم

واحذر ان لا تعطيك الورع من فوق ما تعاه
عنه من دحب واسع وان لا تطلب اوراق بالاصابع
تتحرك بينها ولا بالمحو الى الاحرف الاولى من
الكلمات.

ولا ارند ان ادلك على عسر هذه الحيل فهي
تكفيك لتعلم ان علمك ان تعسى حذرا لانه من
المؤكد انى اطوق سعيى على الكابر منها فهم
يسمون عن جدارة الاسملاء على المال بامانة
والحياة على الصديق سطارة ولغموضها (4) لا
يفهمونها و مرذوحون من تعود التسدح لتسدح
جلودهم هؤلاء التسالون و بالمص من سلمت

---

(4) أتى المؤلف بحماس في كلمتي revesa ومعناها حيلة و revesada ومعناها غامض

ـمه وطانت سرعته كالخبز و ،اسود، من حانب
آماله واخعمت مساعبه

فهذه اللعه (5) وهدهالحمل دلعب اسبلنة وممال
الرفاق دوعت احـره البعال ومن تـرلأ العـدف
كسب تمن الطعام ومالا آحر احمعطت ده

وبعد هدا دهب لايرل في فـدق المـورو
فالتعب بأحد رفعاء الدراسه في العلمه واسمه ماطاه
وقد استدل اسمه لاعساره اياه فليل الروبق باسم
ماطورال وكان تاجر بالارواح وعنده حانوت
لبيع المساحيق ولم يكن تجارته كاسده وفى
وجهه انموذج (6) من بضاعته وبالطعنات التى تلقاها

---

5) كـان للسطار لغه اصطلاحيـه خـاصه
والكلمات التى أوردها المؤلف فى هـذه القطعـه
مثال على ذلك وكانت تسمى germaniá جرمانيه
وفى معجم اللغه الاسبانيه الذى نشره المجمع اللغوى
يجد القارئ المعانى الاصطلاحيه للكلمات فى هده
اللغه

6) اى المؤلف يحاس فى كلمه cuchillada

كان يعزز اتساع وعمق التي سيعطيها بدوره ويقول: ألا معلم كالمطعون في وجهه ونعم القول لأن وجهه كان كصدره من جلد وهو نفسه يجد مدفوع ويتغاضى الى تناول الغشاء معه ومع [illegible] آخرين وأعدائي تابعهم متحمسين للرجوع الى العمق

فدهشنا وقد لمعنا سواه قال لي ان عشت المعطف المطهر بمطهر الزجاجة فانك [illegible] هذه سمة حسرة ابناء اسلافه واحصن الرجولة لئلا يعسر وشمحينا واحر طهرت ولكن معطفات سقطا — لأننا غائبنا يسير ساقطي المعاطف (7) — وانت بحركات عن يمينك وعن يسارك والعض الخاء هاء والهاء حاء (8)

فاستعملها أولا بمعنى فمساحرة ثم بمعنى شعبة وهو معنى قواه دق وجهه نموذج من جماعته

7) تعبير أساسي نقصد به سوء الحال وقد أعطي المؤلف دماس بين المعنى الحقيقي والمجازي

8) منذ أواسط القرن السادس عشر أخذ لفظ الحرف ع حسن بعضه أو ا والحرف ا حسن بعضه

---

a o u نعرب من لفظ حرف ر بالفرنسيه (اى كالخيم العربيه) وما عبم ان السين لفظ هذين الحرفين بلفظ حرف x (وهو كالسين العربيه) وبما كان هذا الابدال يقع فى المخاطبات بين المثقفين كان لفظ حرف x (اي السين) بين العامة ينقلب الى لفظ يشبه لفظ الهاء العربيه وكان هذا اللفظ يمثل حينئذ بحرف h فقط فى الكلمات المأخوذه من اللاتينيه وفيها حرف f او من العربيه وفيها الهاء او الخاء ومع ان هذا الابدال لم يثبت ان عم استعماله فاده في الثلث الاول من القرن السابع عشر اوهو تاريخ وضع هذا الكتاب) كانت المبالغه فى اخراج تلك الحروف من ممرات السحعان فى انسلله ويستدل من معلومات كثيره ان اللفظين كانا مستعملين فى آن واحد دون ان يفرق بينهما بصوره فاصله ولذا كانت العامة تخلط فى هذا الباب خلط عشواء مستبدلة حرفا

و«هامالى» و «هارو» من السراب (١) وحفظت هذه الكلمات عن ظهر قلبي واعارني صاحبي خنجراً نصح فيه هذا الاسم لعرضه واما لطوله فهو اولى ان يدعى حساما ثم قال لي: «اشرب هذه الزجاجة من الخمر الصافي لانك ان لم تتصاعد من انفاسك رائحة الخمرة فلا تبدو شجاعاً» وبينما نحن في هذا وقد تركتني الراح نشوان اذا باربعة منهم قد دخلوا بوجوه كأنها قدت من جلد ثخين مرتجحين لا يعطفهم معاطف وعلى اوساطهم احزمة مشدودة وفوق جباههم قبعات مرفوعة الحافات

بآخر على هواها وذلك امر ثابت ومعلوم في تاريخ الشاطر والمقطع السابق مثال على ذلك

(1) «جريدا» بدلا من «هريدا» اى مجروحة، و«موجبنو» بدلا «موهبنو» اى جرذان و«جومو بدلا من «هومو» اى دخان و«موهار» بدلا من «موحار» اى ابل و «هامالى» بدلا من «حامالى» اي الهلوف و«هارو» بدلا من «حارو» اي الابريق وهى مأخوذة من العربية «جرة»

كأنها نحاس بعلو رؤوسهم وعلى حواسهم معاطف سوف
قدر ما في دكاكين حديد وقد بدوا مستفدين العرافيب
حافيي الاعين حادي الابصار، مفتولي الشوارب
مقصوصي اللحى فاتوا بحركة بافواههم ثم قالوا
لصاحبي - بصوت حرد مستعبين من الكلمات
انصافها - «ايها السيد» فاجاب مديري «ماذا يا
رفيقي؟» فجلسوا وارادوا ان يسألوا عني فلم
ينسوا ببنت شفة بل نظر احدهم الى «ماطورالس»
وفتح فاه واخرج لسانه وادارة نحوي مسيرا الى
فارضاه معلمي بعضه على دقنه والنظر الى تحت
علامة الايجاب واذاك نهضوا جميعا حولين
وعانقوني وابدوا فرحا عظيما واذا كذلك فكنت
كأني ذقت اربعة اصناف من الخمور

ثم جاءت ساعة العشاء واقبل للخدمة على
المائدة بضعة سطار كبار اسماهم السحعان «مدافع»(10)
فجلسنا جميعنا حول الخوان وجيء بالكسر واذاك

---

(10) كلمة cañon ومعناها «مدفع» تطلق في لغة
السطار على «الساطر المتسرد».

بدأوا يسردون ـ برجسا بي ـ بحث سرفي والحق
اني ما عرفت قط ان عندي منه هذا المقدار حتى
رأيتهم يسردون بحثه ثم حضر السمك واللحم
فاكلنا جميعنا بشهية الظمآن وكان على الارض
جرن مملوء خمرا وامامه سطح من اراد ان يقابل
بالمثل من سردوا بحثه اما انا فاكتفيت بالقارورة
وما اتى عليهم دوربان حتى اصبحوا ولا يعرف
احدهم الآخر فبدأت الخطب الجريئة وترددت
الايمان وتبن بحث وآخر هوت رؤوس عسرين
او ثلاثين رجلا دون ان يترك لهم اجل للاعتراف
ووصفوا لصاحب المظالم الف طعنة واتوا بالحديث
على الطبسي الذكر «دومنغو تساندو (11) وغايون (12)

---

11) كان «دومنغو تساندو» هذا جلاسا حرفته
صانع معجنات وقد ذكره كسندو في مؤلفه «حاكار»
12) كان «غايون» احد سجعان ذلك العهد
المشهورين ومسكر طعنه فتاله وقد ذكره كسندو
في مؤلفات اخرى. وكذلك ذكره لوبي ذي بيغا
في «مسرحيته «امه معارلها»

واهرقوا حمرا عردرا ترحما على دمس «اسكاماء»(13) والدس ادار السكر ممهم السحن نكـوا من اعمـاق ملوبهم المرحوم «الوبصو النارىس» (14) وامام هذه الامور كلها اصبب رومى معطل فى عمردي ساعة دماعه وادا به ىممص نكلما ىدىه على قطعه من الحمر ويحدق دصره دالنور قائلا دصوب مارحنه البحه ٠وسما دهدا الدى هو وحه الله ودلك النور الذى حرج من مم الملاك انه لا دد لنا ان دمصى الليله على دلك الحلور الدي لحق دالاعور«(15) المسكس» فعالت اصوانهم بالصاح واحرحوا حناحرهم وافسموا واصعس ادديهم على حافه الحرن ثم ارتموا حوله

---

13) كان اسكاماء واسمه ىدرو داسكبس دى اسكاما سماكا للدماء مسهورا في دلك العهد ومات على اعواد المشنقة

14) كان «الوبصو النارىس ساعرا وشاطـرا من اسىلىه دوفى امصا موق اعواد المسىه وفد درحم له الكاتب الكىىر صون فردسيسكو رودرىعث ماربں

15) اشارة الى الوىصو البارىس

يعبون ويقولون. «كما نشرب هذه الخمرة هكذا سنشرب دم كل متربص» فسألت ادالت قائلا «من هو الوحش البارس» هذا الذي عم الاسى لموته؟ فقال احدهم «هو فتى مكافح شجاع ذو بندقية حديدية ورفيق نعم الرفيق» هنا ثم فان الانانية توسوس لي وهكذا خرجنا من الدار سعيا وراء جلاوزة يصطادهم واذ كنت مستسلما للخمرة وبين يديها وضعت حواسي كلها لم اشعر بالخطر الذي تعرضت له

بلغنا شارع البحر، حيث يتصدى لنا العسكر فما كدنا نراهم حتى جردنا سيوفنا وهجمنا عليهم ومثل رفاقي فعلت وفي الصدمة الاولى نرعنا من جسم جلوازين روحيهما الخبيثتين فولى المامور هاربا في الشارع يصيح مستنجدا ولم نتمكن من اللحاق به لانه سبقنا في العدو فلجأنا اخيرا الى الكنيسة الكبرى حيث احتمينا من صرامة العدالة وبقينا الوقت الكافي ليسحر الخمر الذي كان يغلي في رؤوسنا ولما عدنا الى نفوسنا

هالنى ان تكون العدالة فقدت حلواربن والمامور
ولى هاربا امام عنقود عنب واداك كما نحن دلك
العنقود

افمنا في حرم الكنيسه على احسن ما درام
لانه على رائحه المبخر اصلت غـادات نبعرين
لبلبسنا وعلقت بى : لاعراجالنس» والسنتى
حديدا من لو ـ ادواتهـا فراق دلك فى عمـى
واستطبت هده الحياه اكثر مـن كـل حياه
احرى وعرمت ان اعمـس الى جانبهـا حتـى
الموت ودرست فنون الشعهاء ولم يمض سوى
ايام قليله حتى كنت استاد الاخرين لكن العداله
لم تكن لتغافل عن طلبنا ولا تبارح رحالهـا
ابواب الكنيسه ومع هدا كله كنا نخرج بعـد
نصف الليل متعسس ونتجول فى المدينه دون ان
يدرى بامرنا

ولما رايت ان هذه الحاله قد طالت كثيرا
واكثر منها اصرار الحظ العـاثر عـلى ملاحقتى
قررت ـ لا معتبرا لادى اسف عاقل الى هده الدرجة

بل بعما كحاطى عمد بعد ان اسسرت لاعراحالبس»
اولا فى داـلك ان اسعل معهـا الى الهنـد (14)
لعلي اذا بدلت موطنى ودىاى بحسن حطى، لكن
السحه جاءت بالعكس. وازدادت حالى سوءاً لانه
لن يحسن حـالا من دمصر على يدـل موطـنه
ولا يبدل حياته وعاداته

---

(14) راجع الحاسة رقم 1

فهرس

الاخطاء المطبعية
الواردة في الكتاب

صفحه	سطر	خطأ	صواب
61	9	علهم	عليهم
64	7	اسنانه	اسانه
82	2	رائحه سم الخنزير	رائحة الخنزير
93	6	ويقولون	وهم يقولون
104	1	وبعد	وبعد هذا
139	2	الخنزير الوحشيه	والخنازير البريه
152	3	الخاصر	الخاضرين
196	2	لما ترك	لما ان ترك
211	12	فيقصي	فيبقصى
212	1	قبض	حتى قبض
244	10	يصردونه	يضربوه
256	1	الفصل الثاني	الفصل الخامس

صفحه	سطر	خطأ	صواب
266	1	الفصل الرابع	الفصل السادس
268	2	لم نفع	لم نفل
273	14	احداهن	احداهما
296	2	شفائی	شمائی
296	2	العربیه	العردمة